ي اليهودية



في ميزان القرآن الكريم

من آدم إلى إبراهيم

الدكتور

صلاح عبد الفتاح الخالدي



للنشر والتوزيع

دراسات في اليهودية «٣»

سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم

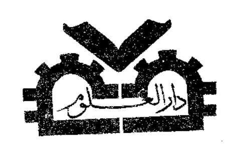
من آدم إلى إبراهيم

الدكتور

صلاح عبدالفتاح الخالدي

الطبعة الأولى

١٤٢٥-٢٠٠٤




بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم الدولي: ISBN: 9957-29-010-X

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٤/٩/٢٣٢١)

العنـــوان: سـفر التكـوين في ميـزان القـرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم

تأليف: د. صلاح عبدالفتاح الخالدي

الصف والإخراج: ابن مقلة - عمان - الأردن

+ ٩٦٢ ٧٧٣٧٢٤٠٣

تصميم الغلاف: دار الفن - عمان - الأردن

+ ٩٦٢ ٦ ٥٦٥٨٧٨٧

عدد الصفحات:

القياس: ١٤ * ٢٠

دار العلوم للنشر والتوزيع

العبدلي - مقابل البنك العربي

تلفاكس: ٥٦٦٤٣٢٨ - ٥٦٢٧٨٢٨ (٦ ٩٦٢ +)

ص.ب ٩٢٥٠٣٢ عمان ١١١٩٠

عمان - الأردن

aloloum@hotmail.com

مقدمة

إِنَّ الحمدَ لله، نَحمدُه ونَستعينُه، ونَتوبُ إِليه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللهِ من شُرورِ أَنفسِنا، ومن سيِّئاتِ أَعمالِنا، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأَشهدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه أَجمعين.

أَما بعد:

فإِنَّ الكتابَ المقدَّسَ الذي يؤمنُ به النَّصارى، على اختلافِ طوائفِهم وفِرَقِهم، مُكَوَّنٌ من قسْمَين:

القسمُ الأَول: العهدُ القديم: وهو كتابُ اليهودِ الديني، الذي يَزعمونَ أَنَّ اللهَ أَنزلَه على رسلِهم وأَنبيائِهم، وهذا يُؤْمِنُ به النَّصارى أَيضاً، على أَنه كلامُ الله.

القسمُ الثاني: العهدُ الجديد: وهو الإِنجيلُ الذي يُؤْمِنُ به النَّصارى، على أَنَّ الله أَنزلَه على عيسى عليه السلام، وهذا القسْمُ لا يؤمنُ به اليهود، ولا يَعتقدونَ أَنّه كلامُ الله، لأَنهم لا يُؤمنونَ أَساساً أَنّ عيسى عليه السلام رسولٌ من عندِ الله.

أَيْ أَنه في الوقتِ الذي يؤمنُ فيه النصارى بكتابِ اليهودِ الدينيّ،

ويَعتبرونَه جزءاً من الكتابِ المقدَّس، فإنَّ اليهودَ لا يُؤْمِنونَ بكتابِ النَّصارى الديني، ولا يَعْتقدونَ أَنَّ عيسى رسولُ الله، وأَنَّ الإِنجيلَ كَلامُ الله.

وأَطلقَ اليهودُ على كتابِهم الدينيّ العَهْدَ القديم، لأَنهم يَزْعُمون أَنَّ الله عَهِدَ به إِليهم، وأَنه تَعَهَّدَ لهم فيه أَنْ يكونَ معهم دائماً، وأَنْ يُبقيهم شَعْبَه المختار، وأبناءً وأَحْباباً له، وأَنْ يُعطيهم أَرضَ الميعاد -فلسطين- إِلى الأَبَد، فهو تَعَهُّدٌ من اللهِ، التزمَ به أَمامهم فلا يتخلّى عنه!!

وهذا الكتابُ مُكَوَّنٌ من عِدَّةِ أَسْفار، وهناك خلافٌ بين طوائفِ النصارى في اعتمادِها.

الأَسفارُ عندَ البرُوتِسْتانتْ تسعةٌ وثلاثون سِفْراً، والأَسفارُ عندَ الكاثوليك ستةٌ وأَربعونَ سِفْراً، فالخلافُ بينَهم في سبعةِ أَسفار، يَرى النصارى البرُوتِسْتانتْ أَنها أَسفارٌ مكذوبةٌ مَنْحولة، ويُسَمّونها «أَبوكريفا».

وأَهَمُّ أَسفارِ العهدِ القديم هي الأَسفارُ الخمسةُ الأُولى، ويُسمّونها أَسفارَ التوراة، ويَزْعُمونَ أَنَّ اللهَ أَنزلَها على موسى عليه السلام، وهو على جَبَلِ الطورِ، وهذه الأَسْفارُ يؤمنُ بها جَميعُ فِرَقِ اليهودِ والنّصارى.

وأَسفارُ التوارةِ الخمسةِ هي:

سِفْرُ التكوين: ويتحدَّثُ عن تكوينِ الكون، ونشأَةِ الإِنسان، وحياةِ البشريةِ من آدمَ إِلى وفاةِ يعقوبَ ويوسف عليهما السلام في مصر.

سِفْرُ الخروج: ويتحدَّثُ عن اضطهادِ وتَعذيبِ بني إِسرائيلَ في مصر، ثم خروجِهم مع موسى عليه السلام إِلى الأَرضِ المقَدَّسة.

سِفْرُ اللّاوِيّين: أَو سِفرُ الأَحْبار، ويتحدَّثُ عن بَني لاوي أَحَدِ أَسباطِ بني إِسرائيل، الذينَ منهم نبيُّهم موسى عليه السلام، والذينَ جعلَ اللهُ الزعامَة الدينيةَ لليهودِ فيهم.

سِفْرُ العدد: ويَتحدَّثُ عن أَسباطِ بني إِسرائيل الإِثْنَيْ عَشَر، وعن مَزايا كُلِّ سَبْط، ويورِدُ إِحصائياتٍ كثيرةً عن أَعدادِ الأَسباط.

سِفْرُ التَّثْنِيَة: ويتحدثُ عن بعضِ التشريعاتِ والوصايا والأَحْكام التي أَنزلَها اللهُ على موسى عليه السلام، وأَمَرَ بني إِسْرائيلَ بالالتزامِ بما فيها.

وإِذا كانَتْ هذه الأَسفارُ الخمسةُ هي أَهَمَّ أَسفارِ العهدِ القديم، فإِنَّ سِفْرَ التكوينِ هو أَهَمُّ الأَسفارِ الخمسة، وهذا معناهُ أَنَّ سِفْرَ التكوينِ هو أَهَمُّ أَسفارِ العهدِ على الإِطلاق! ولذلك افْتُتِحَتْ به أَسفارُ العهدِ القديم.

ولا بُدَّ أَنْ نَنْظُرَ إِليه من هذه الزاوية، وأَنْ نَتَعامَلَ مع رواياتِه وإِصحاحاتِه وفَقراتِه وموضوعاتِه على هذا الأَساس، لأَنَّ كُلَّ طوائفِ اليهودِ والنّصارى يُؤْمنون بكلِّ ما فيه.

ورَمْزُ سِفْرِ التكوينِ في الكُتُب هو: «تَكْ»، وهو مُكَوَّنٌ من خَمسينَ إِصْحاحاً، والإِصْحاحُ مصطَلَحٌ خاصٌّ بفُصولِ الكتابِ المقَدَّس، وهو

بمثابةِ الفَصْلِ، لأَنه يتحدَّثُ عن موضوعٍ معيّنٍ، تاريخيّ أَو تشريعيّ أَو وعْظِيٌّ.

وكلُّ إِصحاحٍ مُكَوَّنٌ من : «فَقَراتٍ»، الواحدةُ منها جملةٌ صغيرة، تَتحدثُ عن جزئيَّة، وأُعطيتْ كلُّ فقرةٍ رَقماً خاصّاً، فكلُّ إصحاحٍ مُكَوَّنٌ من مجموعةٍ من الفَقرات، وأَرقامُ الفقراتِ متفاوتةٌ حسبَ حَجْمِ الإِصحاحِ.

وسَمّاهُ الأَحْبارُ سِفْرَ التكوينِ، لأَنَّه يتحدَّث عن بدايةِ الخَلْقِ وتكوينِ الكَوْن .. وهو يقومُ على فكرةٍ إسرائيليةٍ يهوديةٍ عنصريةٍ استعلائية، خُلاصَتُها أَنَّ اللهَ اختارَ لنفْسِه شَعْباً خاصّاً، هو بَنو إِسرائيل -أَو اليهودُ- فصارَ شَعْبَ اللهِ المختار، وصارَ أَفرادُه أبناءَ اللهِ وأَحِبَّاءَه.

ومن أَجْلِ هذا الشعب اليهوديِّ المختارِ كَوَّنَ اللهُ الكونَ، ومَلَّكَ هذا الشعبَ الأَرضَ المقَدَّسَة، وسُمِّيَتْ أَرضَ الميعاد، وهي الأَرضُ الواقعةُ بينَ النيل والفُرات، واللهُ إِلهٌ حافظٌ لهذا الشعبِ فقط، وجعلَ باقي الشعوب، عَبيداً له.

ويُمكنُ تقسيمِ سِفْرِ التكوينِ إلى أَربعةِ أَقسام:

القسمُ الأول: تَكوينُ العالَم قبلَ إِبراهيم عليه السلام، وهذا في الإصحاحات: ١-١١.

القسمُ الثاني: حياةُ إبراهيمَ عليه السلام، في الإِصحاحات: ١٢-٢٥.

القسمُ الثالث: حياةُ إسحاقَ ويعقوبَ عليهما السلام، في الإِصحاحات: ٢٦-٣٦.

القسم الرابع: حياةُ يوسُفَ عليه السلام في الإِصحاحات: ٣٧-٥٠.

وينتهي سِفْرُ التكوينِ بوَفاةِ يَعقوبَ ودفْنِه في مصر، ثم وفاةِ يوسُفَ ودفنِه في مصر، ويأتي بعدَهُ سِفْرُ الخروجِ لِيتحدَّث عن اضطهادِ فرعونَ لبني إِسرائيل، ثم خروجِهم من مصْرَ إلى الأَرضِ المقدَّسَة، بقيادةِ نبيِّهم موسى عليه السلام.

ونحنُ نعتقدُ أَنَّ سِفْرَ التكوينِ صِناعةٌ بشريَّة، كَتَبَهُ الأَحبارُ في القرونِ المختلفة، وأَخَذوا مادَّتَه من ثقافاتِ الأَقْوامِ الكُفّار، الذينَ عاشوا بينَهم، كالبابلِيّين والفرسِ والكنعانيّين.

وقد صَرَّح الرهبانُ بهذه الحقيقةِ في تَقْديمهم لترجمتِهم العربيةِ للكتابِ المقَدَّس، قالوا: «ولا بُدَّ من التذكُّرِ أَيضاً بأَنَّ سِفْرَ التكوينِ لم يُؤَلَّفْ دفعةً واحدة، بل جاءَ نتيجةَ عملٍ أَدبيّ، استمرَّ عدةَ أَجْيال..».

وقالوا: «وهذا ما نَلْمَسُه في الكتاباتِ المتتالية، التي كَوَّنَت النَّصَّ المقَدَّس، لكنَّ هذه الكتاباتِ لم تُبْطِل المحاولاتِ الأَوَّلية التي قامَتْ عليها، بل أَغْنَتْها بنصوصٍ موحاةٍ جديدةٍ..».

وقالوا: «لم يَتَرَدَّد مُؤلّفو الكتابِ المقدَّس، وهم يَرْوونَ بدايةَ العالَمِ والبشريةِ، أَنْ يَسْتَقوا معلوماتِهم بطريقةٍ مباشرةٍ أو غيرِ مباشرة، من تقاليدِ الشرقِ الأَدْنى القديم، ولا سيِّما من تقاليدِ ما بينَ النهرَيْن، ومصر، والمنطقةِ الفنيقيةِ والكنعانية.

إنَّ الاكتشافاتِ الأَثَرِيَّةَ منذُ نحوِ قَرْن، تَدُلُّ على وجودِ كثيرٍ من الأُمورِ المشتركة، بينَ الصَّفحاتِ الأُولى من سِفْرِ التكوين، وبينَ بعضِ النصوصِ الغنائيةِ والحِكَمِيَّة واللِّيترجِيَّة، الخاصَّةِ بسومَرَ وبابلَ وطيبةَ وأُوغاريت..

ولكنَّ عِلْمَ الآثارِ يدلُّ على أَنَّ المؤَلّفين الذين أَعادوا النَّظَرَ في الفُصولِ الأُولى من سِفْرِ التكوين، وأَضْفوا عليها اللَّمساتِ الأَخيرة، لم يكونوا مُجَرَّدَ مُقَلّدين عُمْيان، بل أَحْسَنوا إعادةَ مُعالجةِ المصادرِ المتوفّرةِ بين أَيديهم، والتفكيرَ فيها، بالنسبةِ إلى التقاليدِ الخاصَّةِ بشَعْبِهم..» ا.هـ.

يَعترفُ الرهبانُ في هذه العباراتِ الصريحةِ بأَنَّ الأَحبارَ هم الذينَ أَلَّفُوا سِفْرَ التكوين، وأَخذوا مادَّته من الأَقوامِ الذين كانُوا بينهم، وهذا مَعْناهُ أَنَّه ليسَ كلامَ الله، وإنما هو من كَلامِ الأَحْبار.

وهذا الكلامُ شاهِدُ صِدْقٍ للآياتِ القرآنيةِ التي صَرَّحَتْ بتحريفِ اليهودِ للتوراة؛ منها قولُه تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩].

لقد أَضافَ الأَحبارُ في أَسفارِ العهدِ القديمِ كثيراً من مزاعِمِهم إلى التوراة، التي تَناقلوها عَبْرَ أَجيالِهم، والتي أَضاعوا كثيراً منها خلالَ تاريخِهم، وهذا مَعْناه أَنَّ في أَسْفارِ العهدِ القديم بعضَ الحقِّ، وهو ما حفظَتْه ذاكرتُهم من بقايا التوراةِ الضائعة، ولكن هذا الحَقَّ مختلِطٌ بركامٍ كبيرٍ من الأَباطيل، وهو المتمثِّلُ في المزاعم والادِّعاءات، والأَساطير والخرافات، والأَكاذيبِ والافتراءات، التي سَجَّلَها الأَحبارُ أَثناءَ تأْليفِهم للأَسفار، من هذه المزاعمِ ما أَخَذوه من ثقافاتِ الأُمَمِ من حولِهم، ومنها ما اخْتَلَقوهُ من عندهم ..

وإذا كانَتْ أَسْفارُ العهدِ القديمِ مُحَرَّفَةً فكيفَ نتعامَلُ معها؟ وكيفَ نَعرفُ الصوابَ والخطأَ فيها؟ وما هو الميزانُ الذي نَزِنُها به؟ وما هو الحَكَمُ الذي نُحاكمُها إليه؟

إِنَّهُ القرآنُ الكريمُ، كَلامُ اللهِ المحفوظ، الذي تكَفَّلَ اللهُ بحفْظِه، وكلُّ ما فيه فهو حَقٌّ وصواب، هو المهَيمنُ على كلِّ ما سبقَه من كتبِ الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأَخبرَ اللهُ أَنَّ القرآنَ يَقُصُّ على بني إسرائيلَ قَصَصَهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل: ٧٦].

ومعنى هذا أَنَّ القرآنَ هو الأَصْلُ والحَكَمُ والميزان، وهو المرجعُ لما وردَ في أَسفارِ الكتابِ المقدَّس، لأَنَّه هو الصحيحُ والصَّوابُ والصادق، حفظه الله، وصانَه عنِ التحريفِ والتَّغييرِ والتَّبديل .. وهو الذي يَكشفُ ما في الأَسفارِ من كذِبٍ وتَحريف، ويَفضحُ مُؤَلِّفي تلك الأَسفار.

ومعنى هذا أَننا يَجبُ أَنْ نحملَ الأَسفارَ على القرآن، وأَنْ نَزِنَها بميزانِ القرآن، وأَنْ نُحاكِمَها إِلى آياتِ القرآن، وأَنْ نَنظر لها بمنظارِ القُرآن .. وهذه قاعدةٌ أَساسيّةٌ منهجية، لا بُدَّ أَنْ نُقَرِّرَها في بدايةِ نَظرِنا في الأَسفار.

وعند مُقارنةِ كلامِ الأَسْفارِ بآياتِ القرآن، فَسَنَرى أَنَّ كَلامَ الأَسفارِ لن يَخرجَ عن أَقسامٍ ثلاثة:

الأَوَّل: أَنْ يأْتِيَ القرآنُ مُوافِقاً ومُصَدِّقاً له، فهذا حَقٌّ وصِدْقٌ وصواب، وهذا من البقيةِ القليلةِ التي حَفِظَها اليهودُ من التوراة، ونحنُ نؤمنُ به ونعتمدُه، لا لأَنه وردَ في الأَسْفار، وإِنما لأَنه وردَ في القرآن. مثلُ حديثِ الأَحبارِ الإِجماليِّ عن نوح عليه السلام والسفينةِ والطوفان، ومثلُ حديثِهم الإجماليِّ عن إِبراهيمَ وإسماعيلَ وإِسحاق ويعقوبَ ويوسفَ، عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: أَنْ يأتيَ القرآنُ مُكَذِّباً لما في الأَسفار، بحيثُ يَروي خِلافَه، أَو

ينقضُه ويَرُدُّ عليه، فهذا نجزمُ أنَّه ليسَ من عندِ الله، وإنما هو كذبٌ وافتراء، زَعَمَه الأَحبارُ واختَلَقوه، فَنَرُدُّهُ ونُكَذِّبهم فيه. كزَعْمِهم أنَّ اللهَ خَلَقَ السمواتِ والأَرضَ في ستةِ أيام، ثم تَعِبَ واضْطُرَّ إلى أَنْ يستريحَ في اليومِ السابع! وكَزَعْمِهم أَنَّ نوحاً عليه السلام شربَ الخمرَ وسَكِرَ وتَعَرّى، وكَزَعْمِهم أَنَّ يعقوبَ صارعَ ربَّه المتمثلَ في صورةِ إنْسان، فصَرَعَه وغَلَبَه..

الثالث: أَنْ يسكتَ عنه القرآنُ، فلا يُصَدِّقُه ويعتَمِدُه، ولا يَنْقُضُه ويُبْطِلُه ويَرُدُّه، فهذا نَتَوقَّفُ فيه، ونَعترفُ بعدمِ قدرتِنا على قبولِه أو رَدِّه .. لا نُصَدِّقُه لأَنَّ القرآنَ لم يُصَدِّقْه، فقد يكونُ باطِلاً مَكْذوباً، وإذا صَدَّقْناهُ نكونُ قد صَدَّقنا بباطِل! .. ولا نُكَذِّبُه ونَرُدُّه، لأَنَّ القرآنَ لم يُكَذِّبْه ويَرُدّه، وقد يكونُ صَحيحاً حَقّاً، فإذا كَذَّبْناهُ نكونُ قد كَذَّبْنا بحقٍّ .. فالحَلُّ هو أَنْ نتوقَّفَ فيه، ونكِلُ العلْمَ به إلى الله، ونقولُ: اللهُ أَعلم.

وتَوَقُّفُنا فيه لا يَعْني أَنْ نُرْوِيه ونَذْكُرَه، وأَنْ نورِدَهُ في كتبنا، وإنما يَعْني أَنْ نَسكتَ عنه ولا نَذْكُرَه، وإذا اضطررْنا إلى ذِكْرِه نَذْكُرُه مع تسجيلِ هذه القاعدة، وهي التَّحذيرُ منه وعدمُ قبولِه وروايتِه.

وهذا القسمُ الثالثُ كثيرٌ في رواياتِ الأَسْفارِ، مثلُ كلامِ الأَحبارِ المفصَّلِ عن سفينةِ نوحٍ عليه السلام، وعن الطوفانِ وكمّيتِه ومُدّتِه، وعن أَسماءِ

أبناءِ نوحٍ ومواقِعهم وبُلدانهم ..

هذا هو المنهجُ الإسلاميُّ المأمونُ الصائبُ في النَّظَرِ إلى أَسْفارِ العهدِ القديم، وقد حرصْنا على الالتزام به، والانطلاقِ منه، إنْ شاءَ الله في هذه السلسلة، التي نَوَيْنا تقديمَها إلى القراءِ ليستفيدوا منها: «دراسات في اليهودية».

وقد سبقَ أَنْ أَصْدَرْنا حلقتَيْن من هذه السلسلة، ولله الحَمْد، هما: «حديثُ القرآنِ عن التوراة»، و«جذورُ الإرهابِ اليهوديِّ في أَسْفارِ العهد القديم».

وخَصَّصْنا هذه الحلقة -والتي تليها- للحديثِ عن أَوَّلِ وأَهَمِّ أَسْفارِ العهدِ القديم، وهو سِفْرُ التكوين.

تحدّثْنا في هذه الحلقة عن القسمَيْن الأَوَّلَيْنِ من أقسامِ السِّفْرِ الأَربعة: عن نشأةِ العالَمِ قبلَ إبراهيم، وعن حياةِ إبراهيمَ عليه السلام.

وجاءَتْ هذه الحلقةُ في المباحثِ التالية:

الأَول: تعريفٌ بسِفْرِ التكوين.

الثاني: الإصحاحُ الأَولُ في ميزانِ القرآن.

الثالث: الإِصحاحُ الثاني في ميزانِ القرآن.

الرابع: الإصحاحُ الثالث في ميزانِ القرآن.

الخامس: الإصحاحان الرابعُ والخامسُ في ميزان القرآن.

السادس: قصة نوحٍ والطوفانُ في ميزان القرآن.

السابع: الآباءُ بين نوحٍ وإِبراهيم.

الثامن: كلامُ الأَحْبارِ عن إِبراهيمَ في ميزان القرآن.

التاسع: العهدُ والخِتانُ وتغييرُ الأَسماء.

العاشر: إِبراهيمُ ولوطٌ والملائكةُ والبشارة.

الحادي عشر: سدومُ وعَمورةُ والمؤَابيّون والعَمّونيّون.

الثاني عشر: إِبراهيمُ وسارةُ وأَبو مالك.

ونقدِّمُ هذهِ الدراسةَ لإِخواننا وأَخَواتنا، وأَبنائِنا وبَناتنا، ليطَّلعوا على ما يؤمنُ به أَعداؤُنا اليهود، ويَتَعَرَّفوا على خلفيَّتهم الدينية، ليَعرفوا كيفَ يَحْذَرونَهم ويُواجِهونهم، وتتضحَ أَمامَهم معالمُ سبيلِ المجرمين، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

ونتوجَّهُ إِلى اللهِ بهذا العملِ وغيرِهِ، راجين منه حسنَ القَبول، وجزيلَ

الأجرِ والثواب، ونعوذُ باللهِ من فتنةِ القولِ وفتنة العمل، وفتنةِ سوءِ الفهمِ والتأويل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الدكتور
صلاح عبدالفتاح الخالدي

الاثنين ١٤٢٥/٦/٢٢
الموافق ٢٠٠٤/٨/٩

تعريف بسفر التكوين

سِفْرُ التكوينِ أَوَّلُ أَسفارِ العهدِ القديم، وأَوَّلُ أَسفارِ التوراةِ الخمسة: التكوينِ، والخروجِ، واللاّويين، والعددِ، والتثنية، التي يزعمُ اليهودُ أَنَّ اللهَ أَنزلَها على موسى عليه السلام.

ويتكوَّنُ سِفْرُ التكوينِ من خمسينَ «إِصْحاحاً»، والإِصْحاحُ مصطلحٌ يهوديٌّ ونصرانيٌّ، يُطْلَقُ على أَقسامِ التوراةِ والإِنجيل -العهدِ القديم والعهد الجديد - وهو بمعنى الفصْلِ في اللغةِ العربية. وهو الموضوعُ الواحد، الذي يضُمُّ فقراتٍ عديدة وموضوعاتٍ جزئية.

ويتحدّثُ كلُّ إِصحاحٍ عن موضوعٍ معيَّن من الموضوعاتِ التاريخيةِ القديمة، ويتكوَّنُ من عدةِ جُملٍ أَو فقرات.

ويُسمِّي بعضُهم كلَّ جملةٍ من الإِصحاح آية! لكننا لا نرى إِطلاقَ هذا المصطلحِ على جُمَلِ العهدِ القديم، لأَنَّ الأَحبارَ حَرَّفوه وغَيَّروه وبَدَّلوه، والآيةُ مصطلحٌ قرآني، يُطْلَقُ على الجملةِ القرآنية، التي هي جزءٌ من السورة القرآنية، التي نَجزمُ أَنها كلامُ الله.

والأَوْلى أَنْ نُسميَ الجزءَ من كلِّ إِصحاح جملةً أَو فقرة، لأَنَّ مجموعَ تلك الجُمَل والفقراتِ يُكَوِّنُ الإِصحاح.

تَتَحَدَّثُ إصحاحاتُ سِفْرِ التكوين الخمسون عن تكوين الكونِ والإنسان، وعن خلاصةِ تاريخِ البشريةِ، حتى استقرارِ بني إسرائيل في مصر، زمنَ يوسفَ عليه السلام.

ويَقومُ سِفْرُ التكوينِ أَساساً على فكرةٍ عنصرية، خلاصتُها أَنَّ اللهَ اختارَ لنفسِه شعباً من بين شعوبِ الأَرض، وهو بنو إسرائيل، شعبُ اللهِ المختار، وكَوَّنَ من أَجْلِه الكونَ كُلَّه، سماءَه وأَرْضَه، وخيراتِه ونِعَمه، وآتاه الأَرض المقدَّسة، وجعلَها مُلكاً مُؤَبَّداً له، وأَخضعَ له كلَّ شعوبِ الأَرض، وجعلَهم عبيداً له.

تقديم الرهبانية اليسوعية لسفر التكوين:

في عام ١٩٨٩ أعدَّت الرهبانيةُ اليسوعيةُ أَحدثَ طَبعات الكتابِ المقدَّس بقسمَيْه: العهد القديم والعهدِ الجديد، وفقَ أَفضلِ فنونِ الطباعةِ الحديثة، فكانتْ أَجودَ طبعاتِ الكتابِ المقَدَّس إخراجاً فنّياً، وصدرتْ عن دارِ المشرق في بيروت عام ١٩٩١م.

وأَعَدَّت الرهبانيةُ اليسوعيةُ لكلِّ سِفْرٍ أَسفارِ العهدِ القديمِ مدخلاً هامّاً، يُعَرِّفُ به، ويَذكُر موضوعاتِ إصحاحاتِه .. وقد اعترفت الرهبانيةُ بأَنَّ تلك الأَسفارَ مُؤَلَّفَةٌ ومكتوبةٌ بأَيدي البشر، ومأخوذةٌ من عدةِ مصادرَ بشرية.

ونلخصُ فيما يلي أَهَمَّ ما قالوه في مدخلِ سِفْرِ التكوين.

يَعترفُ الرهبانُ أَنَّ الرواياتِ والأَخبارَ في سِفْرِ التكوينِ تَهُمُّ البشريةَ كلّها: «إِنَّ سِفْرَ التكوين يَروي كيفَ نشأَ العالَم، وكيفَ بدأ عَمَلُ الله في البشرية .. إنه جزءٌ من التوراة، ومع ذلك يَحتوي في جوهَرِه على رواياتٍ، تتعلّقُ بأَجدادِ شعبِ إسرائيل وأبائه، ويفتحُ تاريخاً يستمرُّ إلى اليوم، ويَهُمُّ ليس الشعبَ اليهوديَّ وكنيسةَ المسيح فقط، بل البشريةَ كُلَّها أيضاً».

ويَعتبرونَ فصولَ سِفْرِ التكوينِ من أَهَمِّ فصولِ الكتابِ المقدَّسِ نفسه، فكيف بغيرِه من الكتب؟: «لقد جُمعت الأَحداثُ التي يَرويها عن حياة الآباء، بشكْلٍ يدلُّ على أَنَّ اللهَ تدخَّلَ -دون انقطاع- في حياةِ إبراهيمَ وأُسْرَتِه، ليُعِدَّ خَلاصَ العالَم. لذلك سبقَ تلك الأَحداثَ تمهيدٌ، يُحَدِّدُ مكانَ إبراهيمَ وذريتِه من شُعوبِ الأَرض، ويحتوي على فصولٍ من أَشهرِ فصولِ الكتابِ المقَدَّس..».

تكمنُ أَهميةُ إِصحاحاتِ سِفْرِ التكوينِ عند اليهودِ والنصارى في أَنه يتحدثُ عن بدايةِ نشوءِ شعْبِ الله المختار. يقول الرهبان: «قد نقرأُ باهتمامٍ بعضَ صفحاتٍ من أَشهرِ صفحاتِ التكوين، لكن لا بُدَّ لنا من التذكُّرِ هنا بأَنَّ سِفْرَ التكوينِ لا يُشَكّلُ مُؤَلَّفاً ينفردُ بتاريخِ زمنِ الآباء، بل هو عبارةٌ عن بدايةِ وحدةٍ إِجماليةٍ واسعة، تَروي كيفَ أَنَّ اللهَ كَوَّنَ لنفسِه بين أُممِ الأَرض شَعْباً، كَتَبَ له أَنْ يكونَ شاهداً له».

سِفرُ التكوين صناعة بشرية:

يَعترفُ الرهبانُ بأنَّ سِفْرَ التكوينِ لم يُؤَلَّفْ دفعةً واحدة، وإنما استمرَّ تأليفُه لعدَّةِ أَجيال! لِنقرأْ هذا الاعترافَ الصريحَ الخطيرَ منهم: «.. ولا بدَّ من التذكُّر أيضاً بأَنَّ سِفرَ التكوينِ لم يُؤَلَّفْ دفعةً واحدة، بل جاءَ نتيجةَ عملٍ أَدبي، استمرَّ عدةَ أَجيال!!».

إِننا نعلمُ أَنَّ اللهَ أَنزلَ أَلواحَ التوارةِ على موسى عليه السلام، وهو على جبلِ الطورِ، دفعةً واحدة، وقد كُتبتْ عليها التوراة، فنَفْيُ الرهبانِ كتابةَ سِفْرِ التكوينِ دفعةً واحدة، واعترافُهم بأَنه نتيجةُ عملٍ أَدبيٌّ استمرَّ عدةَ أَجيال، دليلٌ على أَنَّ رواياتِ السِّفْرِ عملٌ بشري.

سِفْرُ التكوين كُتِبَ كتاباتٍ متتاليةٍ بأَيْدٍ بشرية، كما يقولُ الرهبان: «وهذا ما نَلْمَسُه في الكتاباتِ المتتالية، التي كَوَّنَت النَّصَّ المقَدَّس، لكنَّ هذه الكتاباتِ لم تُبْطِل المحاولاتِ الأَوَّلية التي قامَتْ عليها، بل أَغْنَتْها بنصوصٍ موحاةٍ جديدةٍ..».

إِذاً ما أَضافَه الكاتبون البَشَرُ إِلى النصِّ المقدَّسِ في سِفْر التكوين أَغنى ذلك النّصَ! وكيفَ يُغْنيه وهو فِكْرٌ وصناعةٌ بشرية؟

ما هي المصادر البشرية لسفر التكوين؟

بما أن سِفْرَ التكوينِ صناعةٌ بشرية، صيغَ بأيْدٍ بشرية -كما يعترفُ الرهبان- فلا بدَّ أنْ يكونَ مأخوذاً من فكرٍ بشري، وأنْ يأْخُذَهُ الذين كتبوهُ من مصادرَ بشرية، فما هي مصادِرُ سِفْرِ التكوين؟ ومِنْ أينَ أَخَذَ مؤلِّفوه أَخبارَه ورواياتِه؟

يقولُ رهبانُ الرهبانيةِ اليسوعية: «لم يَتَرَدَّدْ مؤلفو الكتابِ المقدَّس، وهم يَرْوُونَ بدايةَ العالَم والبشرية، أنْ يَستَقوا معلوماتِهم بطريقةٍ مباشرة أو غيرِ مباشرة، من تقاليدِ الشرقِ الأَدْنى القديم، ولا سِيَّما من تقاليدِ ما بين النَّهرين، ومصر، والمنطقةِ الفنيقية والكنعانية.

إنَّ الاكتشافاتِ الأَثرية منذُ نحو قرنٍ، تدلُّ على وجودِ كثيرٍ من الأُمورِ المشتركةِ، بين الصفحاتِ الأُولى من سِفْرِ التكوين، وبينَ بعضِ النصوصِ الغِنائيةِ والحِكَميَّةِ واللّيترْجِيَّة، الخاصةِ بسومَر وبابل وطِيبَةَ وأُوغاريت..

ولا عجبَ في ذلك، عندَ مَنْ يعلمُ أَنَّ البلادَ التي أَقامَ فيها بنو إسرائيل كانت منفتحةً على المؤثِّراتِ الخارجية .. وإلى جانبِ ذلك، كان شعبُ اللهِ في تاريخِه على صلةٍ بمختلفِ شعوبِ الشرقِ الأَدْنى.

ولكنَّ عِلْمَ الآثارِ يدلُّ على أَنَّ المؤلِّفين الذين أَعادوا النظرَ في الفصولِ

الأُولى من سِفْرِ التكوين، وأَضْفوا عليها اللمساتِ الأَخيرة، لم يكونوا مجردَ مقَلّدين عميان، بل أَحسنوا إِعادةَ معالجةِ المصادرِ المتوفرةِ بين أَيديهم، والتفكيرَ فيها بالنسبة إلى التقاليد الخاصَّةِ بشعبهم..».

دلالات من كلام الرهبان اليسوعيين:

الكلامُ السابقُ لس كلامَ عالمٍ مسلم، حتى يُتَّهَمَ بالانحيازِ ضدّ الكتابِ المقدَّس والافتراءِ عليه، وإِنما هو كلامُ رهبانٍ نصارى، يؤمنون أَنَّ الكتابَ المقدَّسَ كلامُ الله!

يعترفُ هؤلاء الرهبانُ أَنَّ للكتابِ المقَدَّس مؤلّفين من البشر، هم الذين أَلَّفوه وكَتَبوه بأَيديهم، كما يَعْترفون أَنَّ هؤلاء المؤلّفين استَقَوْا معلوماتِهم من تقاليدِ الشُّعوبِ التي أَقاموا فيها، وأَخَذوا أَخبارَ ورواياتِ الكتابِ المقَدّس من الموروث الثقافيِّ لتلك الشعوب، في بلادِ ما بين النهرين في شمالِ العراق، وفي مصر، وفي لبنان وفلسطين.

كما يُقَرِّرُ الرهبانُ وجودَ كثيرٍ من الأُمورِ المشتركةِ بين رواياتِ سِفْرِ التكوينِ وبين الاكتشافاتِ الأَثَرية، بسومَر وبابلَ في العراق، وطيبة في مصر، وأُوغاريت في سوريا .. وهذا معناهُ أَنَّ المؤَلّفين اليهودَ الذين أَلَّفوا سِفْرَ التكوين -ثم نَسَبوهُ إِلى الله- أَخذوا أَخبارَهم ورواياتِهم من ثقافاتِ الشعوبِ في مصرَ والشام والعراق.

وعندما جاءَ مؤلِّفون آخرونَ من اليهود، أعادوا النظرَ في فصول سِفْرِ التكوين، وأَضْفَوْا عليها لمساتٍ أَخيرة، مستفيدين من ما أَخذوهُ من ثقافاتِ تلك الشعوب. وكانوا يُخرجونَ سِفْرَ التكوين بصيغةٍ مُنقَّحةٍ مُعدَّلةٍ مَزيدة، أَضيفَت لها المعلوماتُ الجديدةُ التي أَخذوها من الشعوب الذين حولَهم! فهل يجوزُ بعد كلِّ هذا أَنْ يُنْسَبَ سِفْرُ التكوينِ إلى الله؟ وأَنْ يَزْعُمَ مؤلِّفوه اليهودُ أَنه كلامَ الله[1]؟

نستحضرُ في هذا الجوِّ قولَه تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩].

الأقسام الأربعة لسفر التكوين:

يمكنُ تقسيمُ إصحاحاتِ سِفْرِ التكوينِ الخمسين إلى أَربعةِ أَقسام:

القسم الأول: تكوينُ العالَمِ قبلَ خَلْقِ إبراهيمَ عليه السلام: الإصحاحات: ١-١١.

القسم الثاني: حياةُ إبراهيمَ عليه السلام. الإصحاحات: ١٢-٢٥.

القسم الثالث: حياةُ إسحاقَ ويعقوبَ عليهما السلام. الإصحاحات: ٢٦-٣٦.

---

(١) انظر مقدمة الرهبانية اليسوعية لسفر التكوين: ٦٤-٦٧ من العهد القديم.

القسم الرابع: حياةُ يوسف عليه السلام. الإصحاحات: ٣٧-٥٠.

وينتهي سِفْرُ التكوينِ بوَفاةِ يوسَف عليه السلام في مصر، حيث حَنَّطَهُ أَهْلُه، ووَضَعوه في تابوت، بانتظار خروجِهم من مصر.

وفيما يلي نظراتُنا في إِصحاحاتٍ سِفْرِ التكوين على هدي حقائقِ القرآنِ الكريم.

الإِصحاح الأول في ميزان القرآن

ابتدأَ الأَحبارُ اليهودُ تأليفَ سِفْرَ التكوين بالحديثِ عن نشأةِ الكونِ والإِنسان.

ذَكروا في الإِصحاحِ الأَولِ الروايةَ الأُولى لخلْقِ الكون، وجاءَ الإِصحاحُ في اثنتينِ وثلاثينَ فقرة. وذكروا في الإِصحاحِ الثاني الروايةَ الثانيةَ التي تحدَّثوا فيها عن خلْق الإنسانِ الأَول آدمَ وزوجِه حَوّاء.

تقسيم الخلق على أيام الأسبوع:

قسَّموا في الإِصحاحِ الأَولِ خَلْقَ السمواتِ والأَرضِ على ستةِ أَيْامٍ من أَيامِ الأُسبوع:

في يوم الأَحد: خلقَ اللهُ النهارَ والليلَ، والظلماتِ والنور.

وفي يوم الإِثنين: خلقَ اللهُ السماءَ، التي هي «جَلَدٌ»، فوقَها ماء، وتحتها ماء.

وفي يوم الثلاثاء: خلقَ اللهُ الأَرض، بما فيها من بحارٍ وأَشجارٍ وزروعٍ وثمار.

وفي يوم الأربعاء: خلقَ اللهُ الشمسَ والقمرَ والكواكب.

وفي يوم الخميس: خلقَ اللهُ الطيور.

وفي يوم الجمعة: خلقَ الله الحيوانَ والإنسان. [التكوين ١: ١-٣٢].

بهذا التفصيلِ للمخلوقاتِ في الأيامِ الستةِ، أنْهى الأَحبارُ تأليفَ الإِصحاحِ الأَولِ من سِفْرِ التكوين.

بدايةً نُقررُ أَنَّ هذا التفصيل، وتوزيعَ خلْقِ السماءِ والأَرضِ والحيوانِ والإنسانِ على الأَيامِ الستة، ليس عليه دليل، فهو قولٌ بدون علْم، وزعْمٌ على الله بدونِ برهان.

ثم إِنَّ الزعمَ بأَنَّ خلْقَ المخلوقاتِ في أَيامِ الأُسبوعِ الستةِ المعروفةِ ليس عليه دليلٌ أَيضا، وهو غيرُ مَقْبول، لأَنَّ الأَيامَ الستةَ التي نعيشُها ناتجةٌ عن خلْق الأَرضِ والشمسِ، وجريانِهما ودورانِهما، وكلُّ يومٍ أَربعٌ وعشرون ساعة، فهي أَيامٌ محدودةٌ قصيرة، ولا يجوزُ ربطُ نشأة الكونِ بهذه الأَيام، لا سيما أَنه لا يوجَدُ دليلٌ على ذلك.

الأيام الستة في القرآن:

عندما تحدَّثتْ آياتُ القرآنِ عن نشأةِ الكون ذكَرتْ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السمواتِ والأَرضَ في ستةِ أَيام، وكان حديثُها مُجْمَلاً بدون تفصيل. من ذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ولا يُرادُ بالأَيامِ الستةِ المذكورةِ في القرآنِ أيامُ الأُسبوعِ الستة، كما زَعَمَ مؤلِّفو سِفْرِ التكوين، وكما قد يَظُنُّ بعضُ المسلمين خطأً.

إنَّ «يَوْمَ» في اللغةِ العربية هو: المدَّةَ الزمنيةُ المحدَّدَة، ويَختلفُ تقديرُ مُدَّتِه، والذي يُحَدِّدُ تلكَ المدَّةَ هو السياقُ الذي وردَ فيه.

أُطلِقَ اليومُ في القرآنِ على النَّهار فقط. في قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة: ٧].

وأُطْلِقَ على اليومِ المعروفِ لنا، الذي هو ليلٌ ونهارٌ، ومدَّته أَربعٌ وعشرونَ ساعة. في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وأُطْلِقَ على يومٍ من أيامِ الله، مُدَّتُه أَلْفُ سنةٍ من أيامِنا المعروفة. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحج: ٤٧].

وأُطْلِقَ على يومٍ آخرَ من أيامِ الله، مُدَّتُه خمسونَ أَلْفَ سنةٍ من أيامِنا المعروفة، قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج: ٤].

هي ست مراحل محددة:

إذا اختلف تحديدُ مُدَّةِ اليوم حسبَ السياقِ الواردِ فيه، فليس معنى خلْقِ

السمواتِ والأَرضِ في ستةِ أَيّامٍ خَلْقَها في الأيامِ الستةِ المعروفة.

إنَّ الراجحَ في المرادِ بالأَيامِ الستةِ المذكورةِ في القرآن أنها «سِتُّ مراحلَ مُحَدَّدَة» خلقَ اللهُ بها السمواتِ والأَرض، وهذه المراحلُ –عند علماءِ الفَلَك- هي:

مرحلةُ الجُرْمِ الابتدائيِّ الأَوَّليِّ، الذي بدأَ منه الخَلْق، والتي سَمّاها القرآنُ: الرَّتْق.

مرحلةُ انفجارِ الجرمِ الابتدائي الأَوَّلِيّ، وبدءِ تَوَسُّعِ الكون، والتي سَمّاها القرآن: الفَتْق.

مرحلةُ السماءِ الدخانية، وفيها تخلَّقَت العناصرُ المختلفة.

مرحلةُ انفصالِ دواماتٍ من الغُلالةِ الدُّخانية، وتَكَثُّفِها على ذاتِها بفعْلِ الجاذبية، لتكْوينِ كُلٍّ من الأَرضِ وباقي أَجرامِ السماء.

مرحلةُ دَحْوِ الأَرض، وتكوينِ أَغلفَتِها الغازيةِ والمائيةِ والصخرية.

مرحلةُ خلْقِ الحياة، من أَبسطِ صُوَرِها إلى مختلفِ مستوياتِها..[١].

نورِدُ هذا الكلامَ من بابِ الاستئناسِ بكلامِ علماءِ الفَلَك والجيولوجيا،

---

(١) السماءُ في القرآن للدكتور زغلول النجار: ١٦٥.

ولا يَعلمُ حقيقةَ ذلك القطعيةَ إلا اللهُ ربُّ العالمين.

من أخطاء الإصحاح الأول:

بالإضافةِ إلى رفضِ كلامِ مُؤَلِّفي سِفْرِ التكوينِ حول تحديدِ المرادِ بالأَيامِ الستة، فإننا نرى الإِصحاحَ الأَوَّلَ المذكور قد ضَمَّ الأَخطاءَ التالية:

هل لله روح ترفرف؟

أ- قولُهم عن خلْقِ الليلِ والنهارِ والظلماتِ والنور: «.. وعلى وجْهِ الغَمْرِ ظلامٌ .. وروحُ اللهِ يُرَفْرِفُ على وجْهِ الماء. وقال الله: ليكُنْ نور: فكانَ نور..» [التكوين ١: ٢].

لقد جَعَلوا لله روحاً، وجعلوا هذه الروحَ تُرفرفُ على وجْهِ الماء. وكأَنَّ هذه الروحَ طائرٌ يطيرُ على وجْهِ الماء، ويُرفرفُ فوقَ الماء.

وهذا تجسيمٌ من الأَحبارِ لله، وأَسفارُ العهدِ القديم والجديدِ مَليئةٌ بِتجسيمِهم لله، وكأَنَّه بَشَرٌ من البشر.

لا تجوزُ إِضافةُ الروحِ إِلى الله، والقول: روحُ الله لما في هذا من محذورٍ عقيدي، يقومُ على جعلِ روحٍ لله، وجعلِ روحِ اللهِ تُرفرفُ على وجْهِ الماء!

وعندما أَخبرَ القرآنُ عن الروح، لم يُضِفْها لله، وإِنما جعلَها من أَمْرِهِ.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وعندما أخبرَ عن الروحِ التي جعلَها في آدمَ عليه السلام، أدخلَ عليها حرفَ الجَرِّ «مِنْ» قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٩].

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ [النساء: ١٧١].

و«مِنْ» في هذه الآيات بيانيَّة، وليستْ تبعيضيَّة، تُبَيِّنُ أَنَّ الروحَ التي جعلَها اللهُ في آدمَ وعيسى عليهما السلام آتيةٌ من عندِه سبحانه، هو الذي خَلَقَها، وجعلَها فيهما.

وصف السماء بأنها جَلَد:

بزعمُهم أنَّ السماءَ وسْطَ المياه، فوقَها ماء، وتحتَها ماء، وذلك في قولهم: «وقالَ الله: لِيَكُنْ جَلَدٌ في وسطِ المياه، ولْيكُنْ فاصِلاً بين مِياهٍ ومِياهٍ، فكان كذلك .. وصنعَ اللهُ الجَلَد، وفَصَلَ بين المياه ولْيكنْ فاصلاً بينَ مياهٍ ومياه، فكان كذلك .. وصنعَ اللهُ الجَلَد، وفَصَلَ بين المياهِ التي تحتَ الجَلَد، والمياهِ التي فوقَ الجَلَد، وسَمَّى اللهُ الجَلَدَ سماءً» [التكوين١: ٦-٨].

أَطْلقوا على السماءِ مصطلحَ: «جَلَد»، ولا أدري لماذا أَطلقوا عليها هذا المصطلح؟

وقد حاوَلَ مترجمو العهدِ القديمِ من الرهبانِ اليسوعيِّين بيانَ معنى «الجَلَد» فقالوا: كان جَلَدُ السماءِ الظاهرِ عند السامِيّين الأَوَّلين عبارةً عن قُبَّةٍ متينة، تُحْبسُ المياهَ المجتمعةَ فوقَها، ومِنْ كُواها سَيَسيلُ الطوفان [سفر التكوين: ٦٨. حاشية: ٦].

إِنهم في شرحِهم هذا يَعترفون أَنَّ مُؤَلِّفي سِفْرِ التكوين أَخذوا أَفكارَه من الأَقوامِ الذين من حولهم، فقد كان السامِيّونَ في بابلَ وغيرِها يعتقدون أَنَّ السماءَ قُبَّةٌ تَحبِسُ الماءَ فوقَها، وأَخَذَ الأَحبارُ عنهم هذه الفكرة، وسَجّلوها في هذا السِّفْر، وهذا معناه أَنَّ سِفْرَ التكوين صياغةٌ بشرية.

و«الجَلَدُ»: الشيءُ الممتَدُّ المطروقُ، وقد فَسَّرَهُ أصحابُ «قاموس الكتاب المقدس» بقولهم: «جَلَدٌ: الكلمةُ العبريَّةُ «رَقيعٌ» ومعناها شيءٌ ممتدٌّ مطروق .. وقُسِّمت المياهُ في وقْتِ الخَلْقِ إِلى مياهٍ فوقَ الجَلَد ومياهٍ تحت الجَلَد، حيثُ قيل: المياهُ التي فوقَ السموات .. وللجَلَدِ طاقاتٌ وكُوى، ومصاريع .. وقد سادَتْ هذه الآراءُ والأَوصافُ عند اليهودِ والجنس السامي عموماً..». [قاموس الكتاب المقدس: ٢٦٣-٢٦٤].

نقض القرآن لخرافات الأَحبار:

ما قدَّمَه الأَحبارُ في كلامِهم عن خلْقِ السماءِ خُرافة، ولم يعتمدوا على

دليلٍ في جعْلِ السماءِ سَدًّا فاصِلاً بينَ قِسمين من الماء: ماءٍ فوقَها، وماءٍ تحتَها.

وهذه الخُرافةُ تتناقضُ مع كلامِ القرآنِ عن السماء.

زَعْمُ الأَحبار أَنَّ السماءَ جَلَدٌ تحتَها ماءٌ وفوقَها ماءٌ، يَعني أَنَّ السماءَ مجردُ سَدٌّ وحاجِز، يَفْصِلُ بين الماءِ الذي فوقَها والماءِ الذي تحتَها.

وقد أَخبرنا القرآنُ أَنها ليستْ سماءً واحدة، وإِنما هي سبعُ سموات، وهي طِباق، ما بينَ كُلِّ سماءٍ وسماءٍ مسافةٌ هائلةٌ لا يَعلَمُها إلا الله.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ ﴾ [الملك: ٣].

طباقاً في الآية صفةٌ لما قبلَها سبع سموات، وهي جمعٌ مفردُه طَبَقَة. ووَصْفُها بأَنها سبعُ سمواتٍ طباقٌ يدلُّ على أَنه بين كلِّ سَماءٍ وسَماءٍ مسافةٌ بعيدةٌ شاسعة، وهي سبعٌ بالعدد، وليس مجردَ سَدٌّ فاصلٍ بين ماءٍ وماء.

والسماءُ الأُولى التي فوقَ الأَرض ليس مجردَ «جَلَدٍ ممتَدٌّ مطروق»، وإِنما هي «سَقْفٌ محفوظ» وصرحَ بهذا قولُه تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

هل الماء فوق السماء وتحتها؟

زَعْمُ الأَحبارِ أَنَّ فوقَ السماءِ ماءٌ وتحتَها ماءٌ، خرافةٌ أُخرى أَيضاً،

ويبدو أنهم أخذوها من أساطيرِ الأقوامِ الذين عاشوا بينهم. فَمَنْ أَدْراهم أَنَّ الماءَ فوقَ السماء؟ وأيٌّ ماءٍ ذلك الذي فوقَها؟ ثم ما مقصودُهم بالماءِ الذي تحتَ السماء؟ هل هو فوقَ الأَرض؟ وفوقَ غلافِها الجويِّ بالتحديد؟ إِنَّ هذا الزعمَ لا يتفقُ مع مُقرَّراتِ العلم.

عَلِمْنا من آياتِ القرآنِ أَنَّ الله خَلَقَ ماءً، وجَعَلَ عرشَه عليه، عندما خلقَ السمواتِ والأَرض، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود:٧].

وهذا الماءُ الذي خلَقَه الله، وجَعَلَ عرشَه عليه، ماءٌ خاصٌّ، لا نعرفُ عنه شيئاً، وهو غيرُ الماءِ المعروفِ في البحارِ والمحيطات، لأَنَّ هذا الماءَ كان قبلَ خلقِ السمواتِ والأَرض.

ويوضِّحُ معنى هذه الآيةِ ما رواهُ البخاريُّ [برقم:٧٤١٨] عن عمرانَ بنِ حصينٍ ﷺ قال: قالَ أَهْلُ اليمنِ لرسولِ الله ﷺ: جئْناك لِنتفقَّهَ في الدين، ولِنسأَلَكَ عن أَوَّلِ هذا الأَمر؟

فقال ﷺ: «كانَ الله، ولم يكن شيءٌ قبله -وفي رواية: كان الله ولم يكن شيءٌ غيرَه- وكان عرشُهُ على الماء، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كلَّ شيء، وخلقَ السمواتِ والأَرض -وفي رواية: ثم خَلَقَ السمواتِ والأَرض-».

خطأ الأحبار في حديثهم عن خلق الإنسان:

جـ- زَعَمَ مؤلّفو سِفْرِ التكوينِ أَنَّ الله خلقَ الإنسانَ في اليومِ السادس من أَيامِ الخَلْق، وهو يومُ الجمعة، كما زَعموا أَنَّ اللهَ خَلَقَ الإنسانَ على صورتِه، قالوا: «وقال الله: لِنصنع الإنسانَ على صورتِنا، كمثالِنا .. فخلَقَ اللهُ الإنسانَ على صورتِه، على صورةِ اللهِ خَلَقَه، ذَكَراً وأُنثى خلقهم..».

تحديدُهم خلْقَ الإنسان في اليومِ السادسِ مردود، لأَنه لا دليلَ عليه، ولم يَذكر القرآنُ أَثناءَ حديثِه عن خلْقِ الإنسانِ اليومَ الذي خلَقَهُ اللهُ فيه.

والكفرُ الذي وَقَعَ فيه مُؤَلّفو السِّفْرِ في حديثِهم عن خلْقِ الإنسانِ، هو تَجسيمُ اللهِ سبحانه، وتحديدُ صورةٍ ومثالٍ له.

هل الإنسان انعكاس لصورة الله؟

اللهُ له صورةٌ مجسَّمةٌ محدودةٌ محصورة، ومن محبَّتِه للإنسانِ أَنه أَرادَ خلْقَه على صورتِه، ولذلك قالَ اللهُ لنفسِه قبلَ أَنْ يَخلقَ الإنسان: «لِنصنع الإنسانَ على صورتِنا، كمثالِنا!..».

وخَلَقَ اللهُ الإنسانَ على صورتِه، فجاءَ الإنسانُ انعكاساً لصورة الله، جسمُ الإنسانِ وهيكَلُه وشكْلُه، كصورةِ اللهِ وجسْمِه وشكلِه! الذَّكَرُ على صورةِ الله، والأُنثى على صورةِ الله! وكيفَ يكونُ ذلك؟ وهل للهِ صورةٌ مجسَّمةٌ محدودة؟ وهل هذه الصورةُ ذكَرِيَّةٌ أَم أُنثوية؟ أَم هي صورةٌ

ذكريةٌ أُنثوية؟!!

لقد أَخَذَ الأَحبارُ هذا الكفرَ من أَساطيرِ وكفرِ الأَقوامِ الذين عاشوا معهم، في مصرَ والعراقِ والشامِ، وفارسَ واليونان، الذين قَدَّموا خرافاتٍ وأَساطيرَ كفريةً، حولَ الآلهة المتصارعةِ المتآمرة، الخائنةِ الكاذبة، التي تحكمُ هذا الكونَ، ومن تلك الآلهةِ ذكورٌ، ومنها إناث.

أَخَذَ الأَحبارُ ذلك الكفرَ، وسَجَّلوه في سِفْر التكوين، ونَسبوه لله كَذِباً وبهتاناً.

إِنَّ الزعْمَ بأَنَّ صورةَ الإنسانِ هي صورةُ الله، كفرٌ و«تجسيمٌ» سَمِجٌ قبيح، لا يقولُه إلاّ كافر.

إِنَّ اللهَ ربَّ العالمين له صفاتُ الكمالِ والجلالِ والعظمة، وهو لا يُشبهُ أَحَداً من خَلْقِه، في ذاتٍ أَو صِفَةٍ أَو اسمٍ أَو فِعل، ولا يُشبهُهُ في ذلك أَحَدٌ من خلْقِه، وشتَّانَ بين الخالقَ والمخلوق، وقد وضَّحَ القرآنُ ذلك في أَكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

من تناقضات الإصحاح الأول:

وقعَ مُؤَلِّفو الإصحاحِ الأَوَّل من سِفْرِ التكوين في تَناقضات، إضافةً إلى

الأَخطاءِ العلميةِ والعقيدية التي تحدَّثْنا عنها.

ومن أَهمِّ تناقُضاتِهم التي تتعارضُ مع مقرراتِ العلم :

التناقض بين خلق النور والشمس:

أ- زَعَموا أَنَّ اللهَ خَلَقَ الظلامَ والنورَ في اليومِ الأَوَّل، قالوا: «وقال الله: ليكُنْ نور. فكانَ نور .. ورأى اللهُ أَنَّ النورَ حَسَن .. وسمّى اللهُ النورَ نَهاراً، والظلامَ سَمّاه ليلاً .. وكان مساءٌ، وكان صباحٌ .. يومٌ أَوَّل».

بعدما خَلَقَ اللهُ الظلامَ خَلَقَ النّور، والنورُ أَفضلُ من الظَّلام، ولذلك رأى اللهُ النورَ حَسَناً .. وهذا كلامٌ صحيح ..

إِنَّ القرآنَ يُشيرُ إلى أَنَّ الظلامَ خُلِقَ أَوَّلاً، ولذلك كان يُقَدِّمُ الظلماتِ على النّور، كما في مثلِ قولِه تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١].

والظلامُ خُلِقَ أَوَّلاً، لأَنَّ الكونَ كانَ مُظْلِماً لا ضِياءَ ولا نورَ فيه، ولأَنَّ النورَ مرتبطٌ بالشمس، والشمسُ مخلوقة، وقبلَ خَلْقِها كان الكونُ مظلماً.

وصارَ الظلامُ مرتبطاً بالليل، بسببِ غيابِ الشمس، وصارَ النورُ مرتبطاً بالنَّهار، بسببِ وجودِ الشمس.

لكن متى خَلَقَ اللهُ الشمسَ والقمر؟

يرى الأَحبارُ أَنه خَلَقَ الشمسَ والقمرَ في اليومِ الرابع، قالوا: «قال الله: لِتَكُنْ نَيّراتٌ في جَلَدِ السماء، لِتفصلَ بينَ النهارِ والليل، وتكونَ علاماتٍ للمواسمِ والأَيّامِ والسنين، وتَكُنْ نَيِّراتٌ في جَلَدِ السماء، لِتُضيءَ على الأَرض، فكان كذلك، فصنعَ اللهُ النَّيِّرَيْن العظيمَيْن: النَّيِّرَ الأَكبرَ لِحكْمِ النَّهار، والنَّيِّرَ الأَصغرَ لحكْمِ الليل .. وكان مساءٌ، وكان صباحٌ: يومٌ رابع [التكوين١: ١٤-١٩].

خَلَقَ اللهُ الشمسَ في اليومِ الرابع، والشمسُ هي مصدرُ الضِّياءِ والنور، وخَلَقَ اللهُ الأَرضَ في اليومِ السابق -الثالث-، وخَلَقَ قبلَهما الليلَ والنهارَ والظلامَ والنورَ في اليومِ الأَول!

كيفَ كان هذا؟ كيفَ يخلقُ اللهُ النورَ قبلَ أَنْ يَخلقَ الشمسَ -التي هي مصدرُه- بيومَيْن؟ وكيفَ يخلقُ اللهُ الليلَ والنهارَ قبلَ أَنْ يخلقَ الأَرضَ بيومَيْن، والتي مِن دورانِها حولَ نفسِها يَنْتُجُ الليلُ والنهار؟

هذا تناقضٌ صريحٌ وقَعَ به مؤَلّفو سِفْرِ التكوين، ولو كانَ كلامُهم من عند الله لما تناقضَ مع بعضِه..

حديث القرآن عن خلق الشمس والنور:

عندما أَخبرَ القرآنُ عن خلْقِ السمواتِ والأَرضِ والظلماتِ والنور، كانَ إِخبارُهُ صحيحاً صادقاً، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام:١].

لقد قَدَّمَت الآيةُ خلْقَ السمواتِ والأَرض، باعتبارِهما مادةً وجوهراً، وشيئاً محسوساً مشاهَداً، ثم عَطَفتْ على ذلك جعْلَ الظلماتِ والنور، باعتبارِهما عَرَضاً، وأَمْراً معنويّاً ناتجاً عن ما قبلَه، ومن المعلومِ أَنَّ الظلماتِ والنور، والليلَ والنهار، مخلوقاتٌ بعدَ السمواتِ والأَرض، وبعدَ الشمسِ والقمر!

واللطيفُ في الآيةِ أَنَّها عَبَّرَتْ عن إِيجادِ المادةِ بلفْظِ: خَلَقَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وعَبَّرَتْ عن إِيجادِ الظلماتِ والنورِ بلفظِ جَعَلَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾.

والعدولُ في الحديثِ عن الظلماتِ والنورِ عن لفْظِ الخَلْقِ إِلى لَفْظِ الجعْلِ مقصودٌ، لأَنَّ الجَعْلَ فيه معنى «التَّضْمين»، كإِنشاءِ شيءٍ من شيء، وحدوثِ شيءٍ من شيء، وهذه إِشارةٌ علميةٌ في هذه الآية، إِلى أَنَّ الظلماتِ والنور، نتجا عن خلْقِ السمواتِ والأَرض!

التناقض بين خلق الأرض والشمس:

ب- وَقَعَ الأَحبارُ في تناقضٍ آخر، وذلك عند زعْمِهم أَنَّ اللهَ خَلَقَ الأَرضَ في اليومِ الثالث، وخَلَقَ الشمسَ في اليومِ الرابع.

قالوا عن خلْقِ الأَرض: «قال الله: لِتَتَجَمَّع المياهُ التي تحتَ السماءِ في

مكان واحد، ولْيَظْهَر اليَبَس، فكانَ كذلك، وسَمّى اللهُ اليَبَسَ أَرْضاً، وتَجَمُّعُ المياهِ سَمَّاهُ بحاراً، ورأى اللهُ أَنَّ ذلك حَسَن .. وكان مساءٌ، وكان صباحٌ، يومٌ ثالث». [التكوين١ : ٩-١٠].

وقالوا عن خلْقِ الشمسِ والقمر: «فصنَعَ اللهُ النَّيِّرَيْنِ العظيمَيْن، النَّيِّرُ الأَوَّلُ لحكْمِ النهار، والنَّيِّرُ الأَصغَرُ لحكْمِ الليل، وكان مساءٌ، وكان صباحٌ يومٌ رابعٌ».

خَلَقَ اللهُ الأَرضَ بعدَ خَلْقِ النّورِ والسماء، وكان خَلْقُها في يومِ الثلاثاء، ثم خَلَقَ اللهُ الشمسَ في اليومِ التالي، يومِ الأَربعاء.

ولم يُخبرْنا الأَحبارُ عن المادةِ التي خَلَقَ اللهُ منها السمواتِ والأَرضَ والكواكب.

الرتق والفتق في القرآن:

الزعمُ بخلْقِ الأَرضِ قبلَ الشمسِ يَتعارضُ مع كلامِ القرآن عن خلْقِهما، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ السمواتِ والأَرضَ والكواكبَ كالشمسِ والقمرِ، كانت كلُّها قطعةً واحدة، بين أَجزائِها رَتْقٌ والْتحامٌ واتِّصال، ففتقَها الله، وفَصَلَ بينَ أَجزائِها، وجَعَلَ كلَّ قطعةٍ منفصلةً عن غيرِها، وجَعَلَ قطعةً أَرْضاً، وقطعةً شمساً، وقطعةً قمراً، وقطعةً سماء..

وتتحدَّثُ الآيةُ عن مرحلتَيْن في نشأةِ الكونِ وبدايةِ خلْقِه:

الأُولى: مرحلةُ الرَّتْق: وهي الالْتصاقُ والالْتحام، وهذا يَعني أَنَّ أَصْلَ الكونِ قطعةٌ واحدةٌ، مرتوقةٌ متصلةٌ متكاملة.

الثانية: مرحلةُ الفَتْق: وهي الفصل، حيثُ فَتَقَ اللهُ الأَجزاءَ المرتوقةَ، وأَبعدَ كلَّ واحدةٍ عن الأُخرى، وجعلَ لها موقعاً ومَداراً.

وتُشيرُ الآيةُ إِلى انفجارِ تلك الكتلةِ المرتوقة، وفَتْقِ أَجزائِها، وهو المعروفُ عند علماءِ الفَلَكِ المعاصرين بنظريةِ «الانفجارِ الكوني العظيم».

ويهمُّنا هنا الإِشارةُ إِلى أَنَّ التعبيرَ القرآنيَّ يُشيرُ إِلى أَنَّ الشمسَ والأَرضَ كانتا جزءَيْن من تلك الكتلةِ المرتوقة، وأَنهما بفتْقِهما وفصْلِهما انفصلا عن بعضِهما، وهذا معناهُ أَنهما خُلِقا معاً في وقْتٍ واحد، لا نفصالهما معاً عن تلك الكتلة.

وبهذا نعرفُ خَطَأَ مُؤَلِّفي سِفْرِ التكوين في زَعْمِهم أَنَّ الأَرضَ خُلِقَتْ في اليومِ الثالث، وأَنَّ الشمسَ في اليومِ الرابع.

التناقض بين خلق النبات والشمس:

جـ- وَقَعَ الأَحْبارُ في تناقضٍ آخَرَ عندما زَعَموا أَنَّ اللهَ خَلَقَ النباتَ والشجرَ في اليومِ الثالث، وخَلَقَ الشمسَ في اليومِ الرابع.

قالوا عن خلْقِ النبات: «وقالَ الله: لِتُنْبِت الأَرضُ نَباتاً: عُشْباً يُخْرِجُ

بِزْراً، وشَجَراً مُثْمِراً يُخرِجُ ثَمَراً بحسبِ صنفِه، بِزْرُهُ فيه على الأَرض، فكان كذلك». [التكوين١ : ١١].

وأَخبروا أَنَّ اللهَ خَلَقَ الشمسَ والقمرَ في اليومِ الرابع، وقد نقلْنا كلامَهم قبلَ قليل. [التكوين١ : ١٦-١٩].

زَعَموا أَنَّ اللهَ أَمَرَ الأَرضَ في اليومِ الثالث أَنْ تُنبتَ عُشْباً يُخرِجُ بِزْراً، وشَجَراً يُثْمِرُ ثَمَراً، فَفَعَلت الأَرضُ ما أَمَرَها الله، وفي اليومِ الرابعِ خَلَقَ اللهُ الشمسَ، النيِّرَ الأَكْبَر.

ومن المعلومِ عِلْمِيّاً أَنَّ للشمسِ ودفئِها وحرارتِها دوراً أَساسياً في النباتِ والشجر، حيث لا يَنْبُتُ النباتُ عند برودةِ الأَرض، وإنما ينبتُ عند دفئِها، وذلك في فصلِ الربيعِ والصيف. فكيفَ نَبَتَ النباتُ على الأَرضِ قبلَ خَلْقِ الشمس؟ وكيفَ نما النباتُ وأَثْمَرَ الشَّجَرُ قبلَ أَنْ تُرسِلَ الشمسُ أَشعَّتَها وحرارتَها إلى الأَرض؟

خُلِقَت الأَرضُ مع الشمس، وصارت الأَرضُ صالحةً للحياة، بما أَنزلَ اللهُ عليها من الماء، وجَعَلَ فيها من الهواء، وأَرسلَ عليها من أَشعةِ الشمس، ونتجَ عن ذلك النباتُ والشجرُ، والزرعُ والبِزْرُ والثَّمر.

الفرق بين ضوء الشمس ونور القمر:

نشيرُ إلى أَنَّ مُؤَلِّفي سِفْرِ التكوينِ لم يُفَرِّقوا بينَ ضَوْءِ الشمسِ ونورِ القمر، أَثناءَ حديثِهم عن خَلْقِهما في اليومِ الرابع، قالوا: «وقالَ الله: لِتَكُنْ

نَيِّراتٌ في جَلَدِ السماء، لتفصِلَ بين النهارِ والليل، وتكونَ علاماتٍ للمواسمِ والأَيَّامِ والسنين، وتكونَ نيِّراتٍ في جَلَدِ السَّماء، لِتُضيءَ على الأَرض، فكانَ كذلك، فَصَنَعَ اللهُ النَّيِّرَيْن العظيمَيْن: النَّيِّرَ الأكبرَ لحكمِ النهار، والنَّيِّرَ الأَصغَرَ لحكم الليل» [التكوين١: ١٤-١٦].

اعْتَبروا أَنَّ الشمسَ والقمرَ على درجةٍ واحدة من النورِ والإِشراق والضياء، وأَنَّ الاختلافَ بينهما في الحجْمِ فقط، ولذلك وَصَفوهما بالنَّيِّرَيْنِ العظيمَيْن، الشمسُ دليلٌ على النهار، والقَمرُ دليلٌ على الليل.

وكلامُهم غيرُ دَقيق، ولا يتفقُ مع مقرراتِ علْمِ الفلك.

أَمّا القرآنُ فقد فَرَّقَ بينَ الشمسِ والقمرِ في حديثِه عنهما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس: ١٠].

الشمسُ ضياء، أَما القمرُ فإِنه ليس ضياءً ولكنّه نور، وفَرْقٌ بين الضِّياءِ والنور، الضياءُ هو ما كان وَقودُه ذاتيّاً، والنورُ هو ما كانَتْ إنارتُه خارجية، ومن المعلومِ أَنَّ وَقودَ الشمسِ ذاتيٌّ، وأَنَّ طاقَتَها منبعثَةٌ من داخِلها .. أَمّا القمرُ فإِنه لا طاقَة ولا ضياءَ فيه، وإِنما هو بارِد، ونورُه الذي نَراهُ هو انعكاسُ أَشعةِ الشمسِ عليه.

فوصْفُ القرآنِ لَه بأَنه نورٌ مقصود، ويَتفقُ مع مقرراتِ العلمِ الحديث، بعكسِ كلامِ الأَحبارِ مؤلِّفي سِفْرِ التكوين!

الإِصحاح الثاني في ميزان القرآن

يتكوَّنُ الإِصحاحُ الثاني في سِفْرِ التكوينِ من خمسٍ وعشرين فَقْرة - يُسَمّيها بعضُهم آية، ونحنُ لا نرى ذلك، لأَنَّ الآيةَ خاصةٌ بالقرآن-.

بدأَ الأَحبارُ الإِصحاحَ الثاني بالحديثِ عن تَعَبِ اللهِ -سبحانه- عندما خلقَ الكون، فاضطرَّ إِلى الاستراحةِ في يومِ السبت. ثم عَرَضوا روايةً ثانيةً لخلْقِ الكونِ مبهمةً مجمَلة، ثم تَحَدَّثوا عن خلْقِ الإِنسانِ الأَوَّل، وخلقِ المرأةِ من ضِلْعِه.

وعندما نَضَعُ رواياتِ الإِصحاحِ الثاني في ميزانِ القرآن، فسنقِفُ فيها على الأَخطاء التالية:

كفر الأَحبار في نسبةِ التعبِ إِلى الله:

قالَ الأَحبارُ الكفارُ عن الله: «وهكذا أُكملت السمواتُ والأَرضُ وجميعُ قُوَّاتها .. وانتهى اللهُ في اليومِ السابعِ من عمَلِه الذي عمِلَه، واستراحَ في اليومِ السابعِ من كلِّ عملِه الذي عملَه، وباركَ اللهُ اليومَ السابعَ وقَدَّسَه، لأَنَّه فيه استراحَ من كلِّ عملِه الذي عملَه خالِقاً». [التكوين٢: ١-٣].

اليومُ السابعُ هو يومُ السبت، لأَنَّ مؤلِّفي سِفْرِ التكوين وَزَّعوا خَلْقَ الكونِ والإِنسانِ على الأَيامِ السِّتّة، التي تَبدأُ من يومِ الأَحَد، وقد سَبَقَ أَنْ

ذكَرْنا خطأَ هذا الزعم.

وفي هذه الكلماتِ من الإصحاحِ الثاني يَزْعُمُ الأَحْبارُ أَنَّه بعدما انتهى اللهُ من عمَلِه الذي عمِلَه استراحَ في اليومِ السابعِ من كلِّ عملِه، وقَدَّسَ هذا اليومَ السابعَ لأَنه استراحَ فيه.

ومعنى استراحةِ اللهِ في اليومِ السابعِ أَنَّهُ تَعِبَ في الأَيامِ الستةِ من خلْقِه الذي خَلَقَه، فاحتاجَ إِلى الاستراحةِ في اليومِ السابع، لأَنه لا استراحةَ إِلا بعدَ التَّعَب!

لماذا يسبت اليهود يوم السبت؟

سُمِّيَ اليومُ السابعُ عند الأَحبارِ يومَ السبت، لأَنَّ اللهَ سَبَتَ فيه، أَيْ: استراحَ من عَمَلِه الذي عَمِلَه.

وجاءَ هذا في وصيةٍ، هي إِحدى الوصايا العَشْرِ التي أَنزلَها اللهُ على موسى عليه السلام، جاءَ في سِفْرِ الخروج: «اذْكُرْ يومَ السبتِ لِتُقَدِّسَه، في ستةِ أَيامٍ تَعملُ وتَصنعُ أَعمالَك كُلَّها، واليومُ السابعُ سَبْتٌ للرَّبِّ إِلهك، فلا تصنَعْ فيه عَمَلاً، أَنتَ وابنُك وابنتُك، وخادمُك وخادمتُك، وبهيمتُك ونزيلُك الذي في داخلِ أَبوابِك .. لأَنَّ الرَّبَّ في ستةِ أَيامٍ خَلَقَ السمواتِ والأَرضَ والبحرَ وكلَّ ما فيها، وفي اليومِ السابعِ استراح، ولذلك بارك الرَّبُّ يومَ السبتِ وقَدَّسَه..». [سفر الخروج ٢٠: ٨-١١].

وأَمَرَ اللهُ موسى عليه السلام أَنْ يُخاطبَ بني إِسرائيل بذلك، قالَ له: «قُلْ لهم: احفَظوا سُبوتي خاصَّة، لأَنها علامَةٌ بيني وبينَكم مدى أَجيالِكم، لتلعموا أَنّي أَنا الرَّبُّ مقدِّسُكم، فاحفَظوا السَّبْت، فإِنَّهُ مُقَدَّسٌ لكم، مَن استباحَه يُقْتَلُ قَتْلاً، كلُّ مَنْ يَعملُ فيه عَمَلاً تُفْصَلُ تلك النَفسُ مِن وسطِ شَعْبِها .. فلْيحفظْ بنو إِسرائيلَ السَّبْتَ حافظينَ إِيّاه مَدى أَجيالِهم عَهْداً أَبَديّاً، فهو بيني وبينَ بني إِسرائيلَ علامةٌ أَبدية؛ لأَنَّه في ستةِ أَيامٍ صَنَعَ اللهُ السمواتِ والأَرض، وفي اليومِ السابعِ استراحَ وتَنَفَّسَ الصُّعَداء..». [سفر الخروج ٣١: ١٢-١٧].

واتّهامُ اللهِ بالتَّعَب، الذي اضطرَّهُ إلى الاستراحةِ والسَّبْتِ في اليومِ السابعِ، كُفْرٌ من مُؤَلِّفي سِفْرِ التكوين، فكيفَ يَصِفونَ اللهَ الخالقَ بأَنه بحاجةٍ إِلى أَنْ يستريح «فاستراحَ يومَ السبت، وتَنَفَّسَ الصُّعَداء!».

إِنَّ الذي يَستريحُ ويتنفَّسُ الصُّعَداءَ هو الإنسانُ المخلوقُ الضَّعيف، فهو عندما يقومُ بعملٍ شاقٍّ يَتْعَب، وعندما يَصعَدُ إِلى أَعْلى تُلْتَقَطُ أَنفاسُه، فيضطرُّ إِلى الاستراحةِ وتَنَفُّسِ الصُّعَداء، أَمّا اللهُ فإِنه الربُّ القويُّ القادر، الذي لا يُعْجزهُ شيءٌ في الأَرضِ ولا في السماء.

القرآن ينفي التعب عن الله:

أَمَا القرآنُ فقد تحدَّثَ عن بدايةِ الخلق، وكانَ حَريصاً على تكذيبِ

الأَحبارِ في كلامِهم السابق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق: ٣٨].

والشاهدُ في الآيةِ قولُه: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ واللُّغوب هو: التَّعَب.

تقول: لَغِبَ، يَلْغَبُ، لَغَباً .. بمعنى: تَعِبَ، يَتْعَبُ، تَعَباً.

أَيْ: لم يُصَب اللهُ بالتَّعبِ واللُّغوب، ولم يحتجْ إلى الاستراحةِ بعد ما فَرَغَ من خلْقِ الكون، لأَنَّه لا يُعجزُه سبحانه شيءٌ في السمواتِ والأَرض. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

وسَمّى الأَحبارُ اليومَ السابعَ يومَ السَّبْتِ لأَنَّهم يَزْعمونَ أَنَّ اللهَ سَبَتَ واستراحَ فيه، والسَّبْتُ في اللغةِ العِبريةِ معناهُ: الراحة.

وردَ في كتاب «قاموسِ الكتابِ المقَدَّس» عن معنى السبت: «سَبْتٌ: كلمةٌ عِبْرانية، معناها راحَة، وقد بَدَأَ التفكيرُ في يومِ السبت -على أنه اليومُ السابع، الذي يَتْرُكُ فيه الإنسانُ أَشغالَه المادية حتى يستريحَ- قديماً، وذلك تِذْكاراً لليوم السابعِ من الخليقة .. وأَمَرَ اللهُ أَنْ يَستريحَ الإنسانُ والحيوانُ ونَزيلُ البيتِ في السَّبت، لا لأَنه استراحَ فيه فحسْب، بل لأَنَّه باركَه وقَدَّسه أَيضاً ..». [قاموس الكتاب المقدس: ٤٥٣].

خطأ الأحبار في حديثهم عن خلق الإنسان:

ذَكَرَ الأَحبارُ روايةً ثانيةً لخلقِ الكون، وهي روايةٌ مجملَةٌ مختصَرَة، مُكَوَّنَةٌ من جُمَلٍ قصيرة، بينما كانت الروايةُ الأُولى لخلقِ الكونِ في الإِصحاحِ الأَوَّلِ مفصَّلَةً مطَوَّلَة، ذَكَروا فيها الأَيامَ الستة، ووزَّعوا الخَلْقَ عليها..

قالوا في الروايةِ الثانيةِ المختَصَرَة: «يومَ صَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ والسمواتِ، لم يكنْ في الأَرضِ شَجَر، ولم يكن فيها عُشْب، لأَنَّ اللهَ لم يُمْطِر على الأَرضِ المطر، ولم يكنْ في الأَرضِ إِنسانٌ لِيَحْرُثَها .. وكان يصعدُ من الأَرض ماء، يَسقي وجْهَ الأَرضِ كلِّه..». [سفر التكوين٢: ١-٦].

وهذا كلامٌ مختَصَرٌ صَحيح، فاللهُ خلقَ الأَرضَ أَوَّلاً، ولم يكنْ فيها عشْبٌ ولا شَجَر، ثم أَجرى على وجهِها الماء، ثم أَنبتَ فيها نَباتَها وعشبَها وشجرَها بعدَ ذلك، ثم جَهَّزَها وهيَّأَها لتكونَ صالحةً للحياة، لاستقبالِ الخليفةِ الذي سيعمرُها!

ويا ليتَ الأَحْبارَ اكتفَوْا بروايتِهم الأُولى عن خلقِ الكون، وجَعَلوها مجملةً مختصرةً كهذه الرواية، ولم يَزْعُموا فيها مزاعمَ لا دَليلَ عليها، ولم يَقَعوا في أَخطاءَ، أَشَرْنا إِليها..

هل نفخ الله في أنف آدم؟

لما تكلَّموا عن خَلْقِ الإِنسانِ بعدَ ذلك قالوا عنه: «وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ

الإِنسانَ تُراباً من الأَرض، ونَفَخَ في أَنْفِه نَسَمَةَ حياة، فصارَ الإِنسانُ نَفْساً حَيَّة» [التكوين٢ : ٧].

وهذه جملةٌ مُجْمَلَة لنا عليها ملاحَظتان:

الأُولى: تحديدُهم موضعَ النفخِ في جسمِ الإنسان، حيثُ زَعَموا أَنَّ اللهَ نفَخَ في أَنفِ الإِنسان، وأَنَّ النفخةَ دخلَتْ من أَنفِه إِلى باقي جسْمِه ..

ونَرى أَنَّ هذا ادّعاءٌ لا دليلَ عليه، فمنْ أَدرى الأَحْبارَ أَنَّ النفخةَ كانت في الأَنف؟

لم يُحَدِّد القرآن موضعَ النفخِ في الإِنسان، كلُّ ما ذَكَرَهُ أَنَّ اللهَ نفخَ في الإِنسانِ من روحِه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: ٧١-٧٢].

وبما أَنَّ القرآنَ أَبقى موضعَ النفخِ مُبْهَماً، فالواجبُ علينا إِبْقاؤُه على إِبهامِه، وعدمُ تحديدِ موضعه.

ما الذي نفخه الله في آدم؟

الثانية: قالوا إِنَّ النفخَةَ كانتْ: نَسَمَةَ حياة! والنَّسَمَةُ هي النَّفْس، دخلَتْ من أَنْفِه إِلى جسمِه فصارَ حَيّاً.

وهذا مخالِفٌ لما ذَكَرَهُ القرآن، حيثُ حَدَّدَ أَنَّ الذي نفخَهُ اللهُ فيه هو روحٌ

آتيةٌ من عنده: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾، وقد سبقَ أَنْ ذكَرْنا أَنَّ «مِنْ» في «من روحي» بيانيةٌ وليستْ تبعيضية، فهي تُبيِّنُ أَنَّ هذه النفخةَ روحٌ حقيقيةٌ من عندِ الله، وأَنَّ إِضافَتَها إِلى اللهِ إِضافةُ تكريمٍ وتشريف.

لقد بيَّنَ الأَحبارُ حيثُ يَجبُ الإِبْهام، وذلك في تحديدِ موضعِ النفخة، بينما أَبهموا حيثُ يَجبُ البيانُ، وذلك عندما زَعَموا أَنَّ النَفخةَ كانتْ نَسَمَةً عامَّة، بينما هي في القرآنِ روحٌ محددة.

ومن المعلومِ أَنَّ اللهَ وحْدَه استأْثَرَ بعلْمِ الرّوحِ وحقيقتِها، ولم يُعْلِمْ بها أَحَداً من خلْقِه، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

مراحل خلق آدم في القرآن:

اللافتُ للنظرِ أَنَّ الأَحبارَ لم يُفصِّلوا في الحديثِ عن خَلْقِ الإِنسان، وخالَفوا عادَتَهم في ذكْرِ تفصيلاتٍ مُمِلَّة، في الموضوعِ الذي يتحدَّثون عنه، بينما كانَ حديثُ القرآن عن خلْقِ آدَمِ مُفَصَّلاً قليلاً.

فاللهُ أَخَذَ حَفْنَةً من تُرابِ الأَرض، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الروم: ٢٠].

ثم جَبَلَ هذا الترابَ بالماءِ فصارَ طيناً، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً﴾ [الأنعام: ٢].

ولما استَمَرَّ في جَبْلِ الطينِ بالماءِ صارَ طيناً لازباً شديداً متماسِكاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ [الصافات: ١١].

ولما تَرَكَ هذا الطينَ اللازبَ قَليلاً صارَ صَلصالاً كالحَمَأ المسْنون، وهو الأَسْوَدُ المنتنُ المتغيِّرُ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ٢٦].

ولما صارَ هذا الطينُ يابِساً صارَ كالفَخَّار، فإذا نَقَرْتَ عليه أَخْرَجَ صَوْتاً، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: ١٤].

وبعدَ ذلكَ نَفَخَ اللهُ فيه من روحِه، فصارَ إنساناً حَيّاً، وأَمَرَ الملائكةَ فسجدوا له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: ٢٦-٢٩].

وفَرْقٌ بين هذا التفصيلِ الصادقِ لمراحلِ خلْقِ آدَم، وبين تلكَ الإشارةِ المجملةِ التي ذكَرَها الأَحبار، وهذا التفصيلُ القرآنيُّ دليلٌ على أَنَّ القرآنَ

كلامُ الله فلو كانَ القرآنُ مأخوذاً من التوراةِ لَذَكَرَ ما ذَكَرَتْ، وتوقَّفَ عندما عنه توقَّفَتْ!!

خطأ الأَحبار في حديثهم عن جنة عدن:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الرَّبَّ بعْدَ أَنْ خَلَقَ الإنسانَ، غَرَسَ له جنةَ عَدْنٍ على الأَرض، وأَجرى له فيها أَربعةَ أَنهار، وملأَها له بالأَشجار.

قالوا: «وغَرَسَ الرَّبُّ الإلهُ جنةً في عَدْنٍ شَرْقاً، وأَسكنَ هناك الإنسانَ الذي خَلَقَه .. وأَنبتَ الرَّبُّ الإلهُ من الأَرضِ كلَّ شجرةٍ حسنةِ المنظر، طيبةِ المأكل .. وكانتْ شجرةُ الحياة، وشجرةُ معرفةِ الخيرِ والشَّرِّ في وسطِ الجَنَّة .. وكان نهرٌ يَخْرُجُ من عَدْن، فيَسقي الجَنَّة، ومن هناك يتشعَّبُ فيَصيرُ أَربعةَ فروع: اسْمُ أَحَدِها فيشون: وهو المحيطُ بكلِّ أَرضِ الحَويلَة، حيثُ الذهب، وذَهَبُ تلك الأَرض جيد، وهناك اللؤلؤُ وحَجَرُ العَقيق، واسْمُ النهرِ الثاني جيحون: وهو المحيطُ بكلِّ أَرْضِ الحبشة، واسْمُ النهرِ الثالث دِجلة: وهو الذي يَجري شرقيَّ أَرضِ آشور. واسمُ النهرِ الرابع: الفُرات .. وأَخَذَ الإلهُ الرَّبُّ الإنسانَ وجعلَه في جنةِ عَدْن، ليَفْلَحَها ويَحرسَها..». [التكوين ٢: ٨-١٥].

زعمهم جنة عدن في جنوب العراق:

يَرى الأَحبارُ أَنَّ الجنةَ التي كان فيها آدمُ كانتْ على الأَرض، وسَمّوها جَنَّةَ عَدْن: «وغَرَسَ الرَّبُّ الإلهُ جَنَّةً في عَدْنٍ شَرْقاً».

إنهم يُحَدِّدونَ موقعَ جَنَّةِ عَدْنٍ بأنّها «شَرْقٌ» والراجحُ أَنَّ المرادَ بالشرقِ هنا شَرْقُ الأَرضِ المقدَّسة فلسطين، أَيْ أَنَّ جَنَّةَ عَدْنٍ كانتْ في العراق، بدليلِ أَنَّ الأَحبارَ جَعَلوا نهراً كبيراً، يخرجُ منها، ولَه فيها فروع، منها: دجلةُ والفرات، وهما يَسيران في الأَراضي العراقية.

قالَ واضعو قاموس الكتاب المقدس عن جَنَّةِ عَدْن: «عَدْنٌ: اسمٌ عِبْرِيٌّ، معناه بَهْجَة، حيثُ غَرَسَ اللهُ في الأَرضِ شَجَراً شهيّاً للنَّظَر، وجَيِّداً للأَكل، وعَمِلَ حديقةً سُمِّيتْ جنةَ عَدْن، من أَجْلِ آدم، ليسكنَ فيها قبلَ الخطيئة، وكان يَسقيها نَهرٌ يَشُقُّ مجراهُ لنفسِه في عَدْن، ويتفرَّعُ إِلى أَربعةِ رؤوس .. أَما موقعُ جنة عَدْنٍ فلا يزالُ غيرَ مُجْمَعٍ عليه حالِيّاً، كما قال غالبيةُ الجغرافيّين واللاّهوتيّين .. وبعضٌ منهم يَعتبرونَ أَرمينيا أَنها عَدْن، لأَنَّ الفراتَ والدجلةَ يَنبعان في أَرمينيا، وهناكَ مَنْ يَرى أَنَّ نَهْرَ عَدْن الذي تَفَرَّعَ إِلى رؤوسٍ ما هو إلاّ نهر الفراتِ - دجلة، الذي يَصُبُّ في شَطِّ العَرَب، منقسِماً على نفسِه إِلى عدةِ فروع، فجنةُ عَدْنٍ بحسبِ رأْيِهم هي القسمُ الجنوبيُّ من العراق، حسبَ الخَصْبِ .. ويُعْتَقَدُ أَنَه أَقربُ الأَمكنةِ إِلى الصَّواب، لأَنَّ فيه الصفاتِ التي وردَتْ في الكتابِ لعَدْن: شرقُ فلسطين، فيه دجلةُ والفرات، وكوش التي بقُرْبها..» [قاموس الكتاب المقدس: ٦١٣-٦١٤].

ولَسْنا مع واضعي قاموسِ الكتابِ المقَدَّس على أَنَّ جنةَ عَدْنٍ المذكورةَ في النصِّ السابقِ واقعةٌ جنوبَ العراق، لأَنها شرقُ فلسطين ..

كما أَنَّنا لَسْنا مع الأَحبارِ مؤلِّفي سِفْرِ التكوينِ على أَنَّ الجنَة التي كان فيها آدمُ كانتْ على الأَرْض، وقد تأَثَّرَ بعضُ العلماءِ المسلمينَ القدماءِ والمعاصرين بهذه الروايةِ الإسرائيلية، وذَهَبوا إلى أَنَّ الجنَة كانتْ على الأَرض، وأَنَّ الله أَعَدَّ لآدَمَ حديقةً جميلةً على رأْسِ جَبَل، فيها مختلفُ الأَشجارِ والثِّمار، فلما أَكَل من الشجرة، أَنزلَه من تلك الحديقة، ونقَلَه إلى مكان آخر!

جنة عدنٍ في القرآن:

الراجحُ أَنَّ الجنةَ التي وردَتْ في قصةِ آدمَ هي الجنةُ دارُ النعيم، التي أَعَدَّها اللهُ للمتقين، ووردَتْ في آياتٍ عديدة، منها قولُه تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة: ٣٥].

إنَّ الأَصْلَ في الجنةِ إطلاقُها على دارِ النَّعيم، ولا يُعْدَلُ عن هذا المعنى الحقيقيِّ إلى معنى آخَرَ إلاّ لقرينة، ولا توجَدُ هنا قرينةٌ صارفَة!

ونحنُ لَسْنا مع واضعي قاموسِ الكتابِ المقدَّسِ أيضاً في أَنَّ عَدْن كلمةٌ عِبْريةٌ بمعنى البَهْجَة، لأَنَّ هذه الكلمةَ عربيةٌ أَصيلة.

تَقولُ: عَدَنَ الرجُلُ بالمكان، أَيْ: أَقامَ به واستَقَرَّ فيه واستوطَنَه.

وتقول: عَدَنَ، يَعْدِنُ، عَدْناً، أَيْ: أَقامَ، يُقيمُ، إقامَة.

وعَدْنٌ إحدى كلماتِ القرآن، وقد وردَتْ في القرآنِ إحدى عشرةَ مرَّة،

وكانتْ في المراتِ كلِّها مضافةً إلى جناتٍ قبلَها، كما في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٣].

وجناتُ عَدْنٍ هي: جناتُ الإقامةِ الدائمة، يُخَلَّدُ فيها المؤمنون في الآخرة .. وإذا كانَ الراجحُ أنَّ آدمَ كان في الجنةِ دارِ النَّعيم، فإنَّ الأَحبارَ قد أَخطأوا عندما ذَهَبوا إلى أَنَّ اللهَ وضَعَ آدَمَ في جنةِ عَدْنٍ ليَفْلَحَها ويَحْرُسَها، وذلك في قولهم: «وأَخَذَ الإلهُ الرَّبُّ الإنسانَ وجعلَه في جنةِ عَدْن، ليَفْلَحَها ويَحرسَها..».

دارُ النَّعيمِ لا حراثةَ ولا تَعَبَ فيها، وكان آدمُ فيها مُنَعَّماً مُرَفَّهاً، لم يعملْ فيها بالحراثةِ والزرع، ولم يُصَبْ فيها بالجوعِ أَو العطشِ أَو التَّعَب.

وقد وردَ هذا المعنى صَريحاً في القرآن، وذلك في قولِه تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ ﴾ [طه: ١١٧-١١٩].

حديث الأحبار عن أسماء المخلوقات الحيّة:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ اللهَ خلقَ الحيواناتِ والطيورَ بعدَ خلْقِ آدم، وقبلَ خلْقِ امرأَتِه، وأَنه بعدَما خلَقَها قَدَّمَها لآدَم، ليُسَمِّيها بأَسمائِها، قالوا:

«.. وجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ من الأَرضِ جميعَ حيواناتِ الحُقول، وجميعَ طيورِ السماء، وأَتى بها الإنسانَ ليَرى ماذا يُسَمِّيها، فكلُّ ما سَمّاهُ الإنسانُ من نفسٍ حَيَّةٍ فهو اسْمُه .. فأَطْلَقَ الإنسانُ أسماءً على جميعِ البهائمِ وطيورِ السماء، وأَتى بها الإنسانَ ليَرى ماذا يُسَمِّيها، فكلُّ ما سَمّاهُ الإنسانُ من نفسٍ حَيَّةٍ فهو اسْمُه .. فأَطْلَقَ الإنسانُ أسماءً على جميعِ البهائمِ وطيورِ السَّماء، وعلى جميعِ وحوشِ الحُقول..» [التكوين ٢: ١٩-٢٠].

إِنَّ هذا الزعمَ لا دليلَ عليه عندنا، في مصادِرِنا الإسلامية الموثوقة، المتمثلةِ في الآياتِ الصريحةِ والأَحاديثِ الصحيحة، ولهذا نتوقَّفُ فيه، فلا نُثبتُه ونعتمدُه، ولا نُكَذِّبُه ونُلْغيه، ونَكِلُ العلمَ به إلى اللهِ سبحانه.

وقد أَشارَ القرآنُ إلى ما جرى بين الملائكةِ وآدمَ في الجنة، قبلَ إنزالِه على الأَرض، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[البقرة: ٣١-٣٣].

تُخبرُنا هذه الآياتُ أَنَّ اللهَ عَلَّمَ آدمَ الأَسْماءَ كلَّها، فَعَلِمَها آدم، ولم

تَعْلَمْها الملائكة، ولذلك لم تَستطع الملائكةُ إطلاقَها على مسمياتِها، بينَما أَطلقَها آدمُ بفضْلِ تعليمِ اللهِ له.

والراجحُ في معنى هذه الآياتِ، أَنَّ اللهَ جعلَ لآدمَ القدرةَ على التعبيرِ عن ما في النفسِ، من مشاعِرَ وخواطرَ وأفكار، والرَّمْزَ بالأَسماءِ للمسَمَّيات، وإطلاقَ الأَسماءِ على الأَشياءِ كلِّها، سواء كانتْ مخلوقاتٍ حيةً أَو جمادات، أَو أَفكاراً ومعانيَ وتصورات.

فَزَعْمُ الأَحبارِ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الحيواناتِ والطيورَ بعدَ خلْقِ آدمَ لا دليلَ عليه، وزعْمُهم أَنَّ الله أَحْضَرَها لآدمَ لِيُطلق الأَسماءَ عليها لا دليلَ عليه أيضاً، والواجبُ علينا الاكتفاءُ بالإِشارةِ القرآنيةِ المجملةِ عن تعليمِ آدم، وتمكينِه من النطقِ، والرمزِ بالأَسماءِ للمسَمّيات..

حديث الأَحبار عن خلق المرأة:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ آدمَ كان وحيداً، ليس معه أَحَدٌ يُؤْنِسُه، فَرَقَّ الرَّبُّ له، وأَرادَ أَنْ يَجعلَ معه أَنيساً، قالوا: «وقالَ الرَّبّ الإِلهُ: لا يَحسنُ أَنْ يكونَ الإِنسانُ وحْدَه، فَلأَصْنَعَنَّ له مُعيناً يناسبُه» [التكوين ٢ : ١٨].

فكيفَ خَلَقَ اللهُ له هذا المُعينَ المُؤْنِس؟ قالَ الأَحبار: «.. أَوقعَ الإِلهُ الرَّبُّ سُباتاً عميقاً على الإِنسان، فنامَ، فَأَخَذَ إِحْدى أَضْلاعِه، وسَدَّ مكانَها بلَحْم، وبنى الإِلهُ الربُّ امرأَةً من الضلعِ التي أَخذها من الإِنسان ..

فأَتى بها الإِنسانَ .. فقالَ الإِنسانُ: هذه عظْمٌ من عَظْمي، ولحمٌ من لَحْمي، هذه تُسمى امرأَة، لأَنها من امرئ أُخِذَتْ.

ولذلك يتركُ الرجُلُ أَباهُ وأُمَّه، ويتَّحِدُ بامرأتِه، فيصيرانِ جَسَداً واحداً»

[التكوين ٢: ٢١-٢٤].

ادّعى الأَحبارُ أَنَّ اللهَ أَلْقى على آدمَ النوم، فنامَ نَوْماً عميقاً، وبينما هو نائمٌ أَخَذَ اللهُ ضِلْعاً من أَضْلاعِه، واستَلَّه من بينِ باقي الأَضلاع، ولم يتركْ مكانَه فارغاً، وإِنما سَدَّه بلَحْم.

وأَخَذَ ذلك الضِّلْع، وخلَقَ منه المرأَة، وقَدَّمَها للإِنسان، وقال له: هذه امرأَتُك!

وأُعجبَ الإِنسانُ بها .. ولما تَفَقَّد أَضلاعَه وَجَدَها ناقصةً ضِلْعاً، وعَرَفَ أَنَّ امرأَتَه خُلِقَتْ من جزءٍ من جسْمِه، من لحمِه وعظمِه، فهي جزءٌ منه، وثيقُ الصلةِ به، لا انفصالَ له عنه!

وهذا زعمٌ اسرائيليٌ ليسَ عليه دليلٌ عندنا، في مصادِرنا الإِسلامية ..

معنى خلق المرأة من ضلع:

لقد أَشارَ القرآنُ إِشارةً مجملةً مبهمةً إِلى خلْقِ كلٍّ من الرجلِ والمرأة قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

المرادُ بالنفسِ الواحدةِ نفسُ آدمَ أَبي البَشَرِ عليه السلام .. و«مِنْ» في: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ بَيانية، وليستْ تبعيضيّة، تدلُّ على أَنَّ الزوجَ خُلِقَتْ من تلك النفس. وضميرُ الغائبِ المؤَّنثِ في مِنْها يَعودُ على «نفسٍ واحدة»، والمرادُ بكلمةِ زوجَها حوّاء.

وتدلُّ الآيةُ على أَنَّ حَوّاءَ زوجُ آدمَ مخلوقةٌ من المادةِ التي خُلِقَ منها آدم، وتَتَّصِفُ بالصفاتِ البشريةِ والإِنسانيةِ التي يَتَّصِفُ بها آدم، الجسميةُ والنفسيةُ والروحيةُ والعقلية، مع الفروقِ الجسميةِ والنفسيةِ التي فَطَرَ اللهُ الرجلَ عليها، ومَيَّزَه بها عن المرأة، وذلك لتتحقَّقَ الخلافةُ على الأَرض، كما أَرادَ اللهُ الحكيم ..

وقد أَشارَ رسولُ الله ﷺ إِشارةً مبهمةً إِلى أَنَّ النساءَ خُلِقْنَ من ضِلْع، وأَوصى الرجالَ بهنَّ خيراً.

روى البخاريُّ (برقم: ٣٣٣١)، ومسلم (برقم: ١٤٦٨)، عن أَبي هريرةَ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «استَوْصُوا بالنِّساءِ خيراً، فإِنَّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلْع، وإِنَّ أعوجَ شيءٍ في الضلعِ أَعْلاه، فإِنْ ذهبْتَ تُقيمُه كَسَرْتَه، وإِنْ تركْتَه، لم يَزَلْ أَعْوَج، فاستوصُوا بالنِّساءِ خيراً».

أَخبرَ رسولُ الله ﷺ أَنَّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلْع، وأنه لا يمكنُ تقويمُ الضلع، وإزالةُ اعوجاجِه..

وقد فهِمَ كثيرٌ من المسلمينَ الحديثَ على ظاهرِه، واعْتَبَروه تَصْريحاً بأَنَّ الله خَلَقَ حوّاء من ضِلْعِ آدم، واستَدَلّوا على صحةِ هذا الفهمِ بالروايةِ الإسرائيليةِ السابقة.

ولكنَّ الراجحَ أَنَّ الحديثَ لا يدلُّ على ذلك، ولا يُصَرِّحُ بأَنَّ أُمَّنا حَوّاء خُلِقَتْ من ضلعِ آدم.

طبيعة المرأة العاطفية:

الراجحُ أَنَّ الحديثَ يتحدَّثُ عن طبيعةِ المرأة، أَيَّةِ امرأة، في أَيِّ زمانٍ ومكان، والمرادُ بالضِّلْع واعوجاجِه المعنى المعنويُّ، وليس الماديَّ المجَسَّم. إنّه يُشيرُ إلى التركيبِ النفسيِّ العاطفيِّ الانفعاليِّ للمرأة، الذي فَطَرَها اللهُ الحكيمُ عليه، لتحقيقِ رسالتِها في الحياة.

ولتقريبِ طبيعةِ المرأةِ الانفعاليةِ العاطفيةِ إلى أذهانِنا، يُصَوِّرُها لنا رسولُ الله ﷺ هذا التصويرَ البليغَ المعبِّر، حَيْثُ صَوَّرَها في صورةِ ضِلْع، ومن المعلومِ أَنَّ الضِّلْعِ أَعْوَج، وأَنَّ أَعْوَجَ ما في الضلعِ أَعْلاه، وأَنه يستحيلُ تقويمُ الضِّلْع وإزالةُ اعوجاجِه، ومَنْ حاوَلَ ذلك فسوفَ يكْسِرُه ..

وهكذا خَلَقَ اللهُ المرأةَ عموماً، عاطفيةً منفعلةً مندفعة، وقَلَّما ترى امرأةً هادئةً موضوعيّة .. إنها انفعاليةٌ مندفعةٌ عندما تُحِبّ، وعندما تَكْرَه، وعندما تَحكُم، وعندما تَتحدث، وعندما تَتصرف. وهي لا تُلامُ على هذه الانفعاليةِ، لأَنَّ اللهَ خَلَقَها هكذا، ولأَنَّ هذا ضروريٌّ لتحقيقِ مهمَّتِها!!

فليس الحديثُ الصحيحُ دليلاً على خَلْقِ حَوّاءَ من ضِلْعِ آدمَ الأَيسرِ، وهو نائم، ولذلك نَرى أَن ما قالَه الأَحبارُ عن خلْقِ حَوّاء ليس عليه دليل، والأَوْلى لنا نحن المسلمين أَنْ نتوقَّفَ في هذه المسألة، فلا نعتمدُ كلامَ الأَحبارِ ولا نُصَدِّقُه، لعدمِ وجودِ دليلٍ يُعْتَمَدُ عليه، ولا نُكَذِّبُهم تكذيباً صريحاً، لأَنَّ الأَمْرَ ممكنٌ من الناحيةِ العقلية، ونَكِلُ العلمَ بذلك إلى اللهِ عَلاّم الغيوب، ونُطبِّقُ على الموضوع توجيهَ رسول الله ﷺ في ما يقولُه بنو إسرائيل، حيثُ قالَ لنا: «إذا حَدَّثَكم بنو إسرائيل فلا تُكَذِّبوهم، ولا تُصَدِّقوهم، فإمَّا أَنْ تُكَذِّبوا بحقٍّ، وإمّا أَنْ تُصَدِّقوا بباطِل». ونقول: اللهُ أَعْلَم، ولا علمْ لنا إلاّ ما عَلَّمَنا!

لم يكن آدم وحواء عريانين في الجنة:

زَعَمَ الأَحْبارُ أَنَّ آدَمَ وحَوّاءَ كانا عُرْيانَيْن في الجنة، قالوا: «وكانا كِلاهما عُرْيانين، الإِنسانُ وامرأَتُه، وهما لا يَخْجَلان». [التكوين ٢ : ٢٥].

إنهم يرونَ أنَّ آدمَ وحواءَ كانا في جنةٍ أرضية، توجَدُ على قمةِ جبَل، في بلادِ العراق، ولم يكنْ معهما أحَدٌ في تلك الحديقة، ولم يكنْ عندهما ملابس، ولذلك كانا عُريانَيْن.

وكانا لا يَخْجَلان من عُريهما، لأنهما لا يَعرفانِ مَعْنى العُرْي، ولا الوظيفيةَ الجنسية لبعْضِ أعضاءِ الجسمِ!

وزَعْمُ الأَحبارِ هذا غيرُ مُسَلَّم، وليسَ عليه دَليل .. وقد رجَّحْنا من قبلُ أنهما كانا في الجنة، دارِ النَّعيمِ المعروفَة، ولا يوجَدُ دليلٌ على أنهما كانا عُرْيانين.

إنَّ ظاهِرَ النصوصِ القرآنيةِ يُشيرُ إلى عدمِ عُرْيِهما، فلما تَحَدَّثَ القرآنُ عن وسوسةِ الشيطانِ لهما، حَدَّدَ هَدَفَه من هذهِ الوسوسة، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وُورِيَتْ عن آدمَ وحواءَ سوءاتُهما، وأُخفيتْ عنهما، ويريدُ الشيطانُ أَنْ يُبْدِيَ ويُظهرَ ويَكشفَ لهما تلك السوءاتِ المواراةِ المخفيَّة.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

كان لآدمَ وحَوّاءَ لباسٌ يُواري سوءاتِهما ويُخْفيها، وكان هدفُ الشيطانِ أَنْ يَنزِعَ عنهما هذا اللباس، ليكشفَ السوءات، ويُريهما إِياها.

إِنَّ ظاهرَ هاتَيْن الآيَتَيْن يُخالفُ ما زعَمَه الأَحبار، من أَنَّ آدمَ وحواءَ كانا عُرْيانين في الجنة!!

الإصحاح الثالث في ميزان القرآن

يتكوَّنُ الإصحاحُ الثالثُ من أَربعٍ وعشرينَ فقرة.

وتتحدَّثُ فقراتُه عن نَهْيِ اللهِ لآدَمَ وحواءَ عن الأَكْلِ من إِحدى أَشجارِ الجنةِ الأَرضية، التي كانا فيها، وعن جهودِ الحيَّةِ المتحايلة في إِغوائِهما، وحملِهما على الأَكلِ من الشجرةِ المحَرَّمَة، وعن ما جَرى لآدمَ وحواءَ بعد الأَكْلِ من الشجرة، وعقابِ اللهِ للحيةِ وللمرأة، وخوفِه من آدمَ الذي تَقَدَّمَ بعلْمِه، ومسارعتِه بإِخراج آدمَ من الجنة، لئلاّ يَصيرَ مِثْلَه!

وعند عرضِ فقراتِ الإِصحاحِ الثالثِ على حقائقِ القرآن، فسوفَ نجدُ عليها الملاحظاتِ التالية:

الخطأ في تعيين الشجرتين:

زعمَ الأَحبارُ أَنَّ الرَّبَّ أَنبتَ في جنةِ آدمَ الأَرضية في العراق شجرتَيْن:

شجرةَ الخلود، وشجرةَ المعرفة، قالوا: «وأَنبتَ الإِلهُ الربُّ شجرةَ الحياةِ في وَسَطِ الجنة، وشجرةَ معرفةِ الخيرِ والشر» [التكوين٢: ٩].

وشجرةُ الحياةِ تَعني الخلود، فَمَنْ أَكَلَ منها كان مخلَّداً لا يموت، أَما شجرةُ المعرفةِ فإِنها تقودُ إِلى العلمِ والتمييز، ومَنْ أَكَلَ منها تَمتَّعَ بالعلمِ والمعرفة.

ولا يوجَدُ عند الأَحبارِ دليلٌ على تعيينِ الشجرتَيْن، وعلى ادِّعاءِ اسْمَيْن لهما: الخلودُ والمعرفة .. كما أنه لا يوجَدُ دَليلٌ على أنهما تثمرانِ ثَمَراً يُمكنُ أَنْ يُؤْكَل، كما تُؤْكَلُ باقي الثِّمار! ومَنْ أَكَلَ مِن ثمرِ الأُولى سَلِمَ من الموت، وكُتِبَ له الخلودُ الأَبديّ، ومَنْ أَكَلَ من ثمرِ الثانيةِ أَحاط عِلْماً بكلِّ شيء! ولا نَدري كيف سيكونُ الخلودُ ثَمَرَةً على شجرة؟ وكيف سيكونُ لونُه وشَكْلُه وحَجْمُه؟ وكيف ستكونُ المعرفة ثمرةً على شجرة، يمكنُ أَنْ يأكُلَها الإِنسانُ فيصيرَ عالماً!

وقد صَرَّحَ القرآنُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الموتَ والحياة، وقَدَّرَ الموتَ على كل مخلوق، فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠].

ولا يُخَلَّدُ أَيُّ بَشَرٍ في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وإذا كان الخلودُ غيرَ ممكنٍ لأيِّ بَشَر، فكيفَ يُنبتُ اللهُ شجرةَ الخُلْد، وتُثْمِرُ ثَمَرَةَ الخُلْد، ويأكُل منها إِنسانٌ ويَخْلُد؟ إِنَّ هذه المزاعمَ الإِسرائيلية تتعارضُ مع الحقائق القرآنية.

لم تكن الشجرة المحرمة شجرة المعرفة:

زَعَمَ الأَحبارُ بعدَ ذلك أَنَّ اللهَ لم يَنْهَ آدمَ عن الأَكلِ من شجرةِ الخلدِ والحياة، وإِنما نهاهُ عن الأَكْلِ من شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشَّرّ، قالوا: «وأَمَرَ

الرَّبُّ الإلهُ الإِنسانَ قائلاً: من جميعِ أَشجارِ الجَنَّة تأْكل، وأَما شجرةُ معرفةِ الخيرِ والشَّرِّ فلا تأْكُلْ منها، فإِنك يومَ تأكُلُ منها تموتُ موْتاً».

وعلى هذا النَّصِّ مأْخَذان:

الأَول: تحديدُ الأَحبارِ نوعَ الشجرةِ المحَرَّمَة بأَنها شجرةُ المعرفةِ، والتمييزِ بين الخيرِ والشَّرِّ. وهذا التحديدُ لا دليلَ عليه، فهو زعمٌ وادِّعاءٌ إِسرائيلي.

ولقد أَبقى القرآنُ الشجرةَ المحرَّمَةَ مبهمة، لم يُبيِّنْ ما هي. قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥].

وظاهرُ الآيةِ أَنَّ الشجرةَ المحرمةَ كانتْ شجرةً حقيقية، وليست مجازيةً، أَو رمزاً لمعنى آخر، وأَنها كانتْ معروفةً لآدمَ وحواء، قريبةً منهما، ولهذا أَشارَ لها باسمِ الإشارةِ للقريب: «هذه».

ويَجبُ علينا أَنْ نُبقيَ هذه الشجرةَ على إِبْهامِها، وأَنْ لا نُحاولَ تَبيينَها، لعدمِ وجودِ دليلٍ نعتمدُ عليه، ولعدمِ تحقُّقِ فائدةٍ علميةٍ من ذلك.

الثاني: زعْمُهم أَنَّ الأَكْلَ من تلك الشجرةِ يُؤدّي إِلى الموت، حيثُ قال الربُّ لآدَمَ: «فإِنكَ يومَ تأْكُلُ منها تموتُ مَوْتاً». وهذا ادّعاءٌ باطل، بدليلِ أَنَّ آدمَ أَكَلَ منها ولم يَمُتْ.

وانطلقَ الأَحبارُ من هذه النقطةِ ليشكّكوا في صحةِ كلامِ الرب، ذلك التشكيكُ الذي صدرَ عن الحيةِ في حوارِها مع حَوّاءَ بعد ذلك.

إنَّ زعْمَ الأَحبار أَنَّ اللهَ نهى آدمَ عن الأكْلِ من شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشّرِّ، معناهُ أَنَّ اللهَ لا يُريدُ للإنسانِ العلمَ والمعرفة، والتمييزَ بين الخيرِ والشّرِّ، والحقِّ والباطل، وإنما يريدُ أَنْ يُبقيَه غافِلاً جاهِلاً، غبِيّاً ساذِجاً، ليتحكَّمَ فيه، ويُسيطرَ عليه..

وهذا كلامٌ باطِلٌ مردود، فاللهُ يريدُ للإنسانِ العلمَ والمعرفة، والفهمَ والوعيَ والإدراك، وأَولُ ما منحهُ لآدمَ بعدَ إحيائهِ ونفخِ الروحِ فيه هو العلم، حيث علَّمَه أَسماءَ المسَمَّياتِ كلِّها، ونطقَ بها أَمامَ الملائكة، ثم أَمرهم بالسجودِ له! فكيفَ يُعَلِّمُه الأَسماءَ كلَّها ثم يَنهاهُ عن المعرفةِ وتمييزِ الخيرِ من الشر؟ هذا تناقضٌ ظاهرٌ وقعَ فيه الأَحبار..

الحوار بين الحية وحواء:

فَصَّلَ الأَحبارُ كيفيةَ السُّقوطِ والزَّلَّةِ والأَكلِ من الشجرة، وسَجَّلوا حواراً، زَعموا أَنه جرى بين الحيةِ وحَوّاء.

قالوا: «وكانت الحيةُ أَحيَلَ جميعِ حيواناتِ البَرِّيَّةِ التي خَلَقَها الربُّ الإله .. فقالَتْ للمرأَة: أَحقّاً قال الله: لا تأْكُلا من جميعِ أَشجارِ الجَنَّة؟!

فقالَت المرأَةُ للحية: من ثَمَرِ الجنةِ نأكل، وأَمّا ثمرُ الشجرةِ التي في وسطِ

الجنةِ، فقد قالَ الله: لا تأكُلا منه ولا تَمَسّاه، لئلا تَموتا..

فقالَت الحية: إنكما لَنْ تَموتا إنْ أكَلْتُما منها، ولكنَّ اللهَ يَعرفُ أَنكما يومَ تاكلانِ من ثَمرِ تلك الشجرة، تَنفتحُ أَعيُنكما، وتَصيرانِ مِثْلَ اللهِ تَعرفانِ الخَيْرَ والشَّرَّ» [التكوين ٣: ١-٥].

سَبَقَ أَنْ ذكَرْنا أَنَّ الأَحبارَ يرونَ أَنَّ الجنةَ التي وقعَتْ فيها أَحداثُ قصةِ آدم كانَتْ على الأَرض، ولذلك ذَكروا أَنَّ الحيةَ كانت في تلك الجنةِ الأَرضية، وأَنها كانت حيواناً برّيّاً مُتَحايِلاً ماكراً مُتَآمِراً خبيثاً.

وافْتَرَضوا في تصوُّراتِهم حُدوثَ حوارٍ بين الحيةِ المتحايلةِ وبينَ حواء. وهذا معناه أَنَّ الحيةَ تُفكِّرُ وتُخطط مثْلَ الإنسان، وتتكلمُ وتتحدثُ مثلَ الإِنسان، وتسأَلُ وتُجيبُ مثلَ الإنسان، وتُحاورُ وتُجادلُ مثلَ الإِنسان .. ولذلك كَلَّمَتْ حواءَ وسأَلَتْها وحاورَتْها!!

وهذا أَمْرٌ لا نَرى صدورَه عن تلك الحية، ونَرى أَنه من المزاعمِ الإِسرائيلية.

وعندما نطّلِعُ على الحوارِ بين الحيةِ الماكرةِ وحواءَ المغَفَّلَةِ نلحظُ أَنَّ الحيةَ عدوةٌ للهِ، حريصةٌ على تكذيبِه ورفْضِ كلامِه، ودَعوةِ حواءَ وزوجِها للخروجِ عليه!

تسأَلُ الحيةُ سُؤالاً ماكِراً: أَحَقّاً قال الله: لا تأْكُلا من جميعِ أَشجارِ الجَنَّة؟!

فقالَت المرأةُ للحية: من ثَمَرِ الجنةِ نأكل، وأَمّا ثمرُ الشجرةِ التي في وسطِ الجنةِ فقد قالَ الله: لا تأْكُلا منه ولا تَمَسّاه، لئَلا تَموتا!.

فتكَذّبُ الحَيَّةُ الرَّبَّ في كلامِه، وتَذْكُرُ خَوْفَه منهما إنْ أَكَلا من شجرةِ المعرفة: «لَنْ تَموتا إنْ أكَلْتُما منها، ولكنَّ اللهَ يَعرفُ أَنكما يومَ تاكلانِ من ثَمرِ تلك الشجرة، تَنفتحُ أَعيُنكما، وتَصيرانِ مِثْلَ اللهِ تَعرفانِ الخَيْرَ والشَّرّ!».

وقد عَلَّقَ الرهبانُ اليسوعيّون على كلامِ الحَيَّةِ بقولِهم: «تُمَثِّلُ الحيةُ هنا كائناً يقاومُ الله، ويُعادي الإنسان، وهو العدوُّ والشيطانُ في نظرِ سِفْرِ الحكمة، ثم في العهدِ الجديد والتقليد المسيحي..» [الكتاب المقدس: ٧٣، حاشية: ١].

وهذا التعليقُ من الرهبانِ يدلُّ على التقاءِ رهبانِ النَّصارى مع أَحبارِ اليهود في ادِّعاءِ عداوةِ الحَيَّةِ لله، ومقاومتِها له..

دفاع عن الحية:

هذا كلامٌ مرفوضٌ عندنا نحن المسلمين، ونَشهدُ أَنَّ الأَحبارَ كاذبون في نسبتِه للحية..

إِنَّ الحَيَّةَ من الزواحف، وهي مخلوقَاتٌ حيةٌ فيها روح، جعلَها اللهُ تَعيشُ على وجهِ الأَرض، وهي بدونِ عقْلٍ أَو فكرٍ أَو قلب، أَو حديثٍ أَو حوار، أَو تحايلٍ ومكر..

وهي كباقي الحيوانات مؤمنةٌ بالله، مُسبِّحَةٌ له، ساجدةٌ له، يَنطبقُ عليها عمومٌ قولِه تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ [الحشر:١]، وعمومُ قولِه تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤].

كما ينطبقُ عليها عمومُ قولِه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحج:١٨].

القرآنُ صريحٌ في أَنَّ كُلَّ المخلوقاتِ مؤمنةٌ بالله، مسبِّحَةٌ ساجدة له، على طريقتِها الخاصَّة في التسبيحِ والسجود، والذي يتمردُ على ذلك هم كفارُ الجنِّ والإنسِ فقط.

فما نَسَبَهُ الأَحبارُ للحيةِ من تكذيبٍ لله هو كذبٌ وزورٌ منهم، نجزمُ بأنه لم يحدُثْ منها، لمعارضتِه لآياتِ القرآن.

ونَسَبَ الأَحبارُ للحيةِ اتِّهامَ اللهِ في حكمِه، فقد نهى آدمَ وحواءَ عن الأَكْلِ من شجرةِ المعرفةِ لأَنه يخافُ منهما! فعندما يأكلانِ منها ستنفتحُ أَعينُهما، وسيَعرفانِ الخيرَ والشر، وبذلك سيَصيرانِ كالآلهة!

إِنَّ هذا الحوارَ المزعومَ بين الحيةِ وحَوّاء مأخوذٌ من الأَساطيرِ والخرافاتِ الكافرة، التي كان يتناقَلُها الأَقوامُ الكافرون السابقون، في العراقِ والشامِ وفلسطين ومصر، وفي الهندِ وفارسَ واليونان، والتي تتحدثُ عن الصراع بين الآلهة، والحربِ بين الإلهِ والإِنسان، وانتصارِ الإِنسانِ عليه في النهاية.

وقد أَخَذَ الأَحبارُ ما أَرادوا من هذه الأَساطير، وكَتَبوها في سِفْرِ التكوين، ونَسَبوها لله كَذِباً وزوراً.

فالحيةُ الماكرةُ تَعرفُ السببَ الذي حَمَلَ الرَّبَ على نهيِ آدمَ وحَوْاءَ عن الأَكْلِ من شجرةِ المعرفة، إِنَّ الربَّ يخافُ من هذا الإِنسان الذي خَلَقَه، أَنْ يُزاحِمَه في سلطانِه، وأَنْ يُشاركَه في مُلْكِه، وإِنْ فَتَحَ عينَيْه عَرَفَ كُلَّ شيء ووصلَ إِليه، فالحَلُّ أَنْ يَخْدَعَ الرَّبُّ الإِنسانَ، ويَنهاهُ عن الأَكلِ من الشجرةِ، بحجةِ الحفاظِ على حياته! والتي كشفَتْ خداعَه هي الحيّة!

الأَحبار يزينون المعصية:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ حواءَ صَدَّقَت الحية، ورغبتْ في الأَكْلِ من الشجرة، قالوا: «ورأَت المرأَةُ أَنَّ الشجرةَ طيبةٌ للأَكْل، وشهيةٌ ومتعةٌ للعين، وباعثةٌ للفهم ومُنْيَةٌ للعَقْل .. فأَخذَتْ من ثَمرِها وأَكَلَتْ، وأَعطَتْ زوجَها أَيضاً فأَكَلَ، فانفتَحَتْ أَعينُهما، فعرفا أَنهما عُرْيانان، فخاطا من ورقِ التِّين، وصَنَعا لهما منه مآزر» [التكوين٣: ٦-٧].

إِنَّ الأَحبارَ في هذا الكلام يُزَيِّنونَ المعصية، ويَمدحونَ المخالفة، ويُحبونَ التمردَ على الله، فالثمرةُ المحرمةُ التي على الشجرةِ المنهيِّ عنها في نظرِ المرأة «طيبةٌ للأَكْل، وشهيةٌ ومتعةٌ للعين، وباعثةٌ للفهم، ومُنْيَةٌ للعَقْل».

أَليسَ هذا الكلامُ دعايةً وتَرويجاً للمعصية، وتحبيباً لها في نفوسِ مَنْ يَقْرَءونَه، ودعوةً لارتكابِ الذنوبِ المحبَّبَةِ الممتعةِ الشهيَّة؟!

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ حواءَ هي التي أَكَلَتْ أَوّلاً، ولمّا تلذذتْ بالأَكْل قَدَّمت الثمرةَ لآدم فأَكَلَ منها بعدَ ذلك، فهي التي أَغْرَتْه ودعَتْه للأكل، وهذا معناهُ أَنه لولاها لما أَكَل هو، فهي التي جَنَتْ عليه!

ماذا بعدما أكلا من الشجرة؟

العجيبُ هو ما ذكَرَه الأَحبارُ بعدَ الأَكْلِ من الشجرةِ مباشرة، حيثُ قالوا: «فانفتحتْ عيونُهما فعَرَفا أنهما عُرْيانان».

زَعَمَ الأَحبارُ أَنّهما كانا عُرْيانَيْن قبلَ الأَكلِ من الشجرة، لكن لم يَعْرِفا معنى العُرْي، ولا وساوسَ النفسِ والجنسِ والشهوة، ولذلك كانا لا يَخْجلان من عُرْيِهما..

أَمّا بعدَما أَكَلا من الشجرة فقد انفتَحَتْ عيونُهما على المعرفةِ، والتمييزِ بين الخيرِ والشَّرِّ، واستيقظَتْ نوازعُ الشهوةِ فيهما، وعَرَفا فوراً أَنهما عُرْيانان.

وهذا زعمٌ إسرائيليٌّ ليس عليه دليل.

وزَعَمَ الأَحبارُ زَعْماً آخَر، حيثُ صارا يَقْطَعان من ورقِ التين، الذي في الجنةِ الأَرضية، وكان الورقُ عريضاً بحيثُ صَنَعا منه مآزرَ يتَّزرانِ بها!

وهذا زعمٌ إسرائيليٌّ آخَرَ ليس عليه دليل.

واللافتُ للنظرِ أَنَّ الأَحبارَ في حديثِهم عن الوسوسةِ والزَّلَّةِ والسقوطِ أَغْفَلوا دورَ الشيطان، فلم يَرِدْ له ذكْرٌ في مسلسلِ الأَحداث، مع أَنَّ الشيطانَ هو الذي تعهَّدَ بإِغواءِ آدمَ وحواء.

لقد نَسَبَ الأَحبارُ كلَّ شيء للحية، مع أَنه لم يَرِدْ ذكْرٌ للحيةِ في مصادرنا الإِسلامية اليقينية .. أَخْبَرَنا القرآنُ أَنَّ الوسوسة والإِغواءَ إِنما كانا من الشيطان، وأَنه وجَّهَ إِغواءَه وخِطابَه إِلى كلٍّ من آدمَ وحواء، وليسَ إِلى آدمَ وحْدَه، أَو إِلى حواء وحْدَها، قال تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ١٩-٢٢].

فروق بين رواية الأحبار والقرآن للحادثة:

من الفروقِ بين روايةِ الأَحْبار وروايةِ القرآنِ للحادثةَ:

١-حَدَّدَ الأَحبارُ الشجرةَ بأَنها شجرةُ معرفةِ الخيرِ والشَّرِّ، بينما أَبهمَها القرآن: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾.

٢-زَعَمَ الأَحْبارُ أَنَّ النَّهيَ عن الأَكلِ من الشجرةِ كان موجَّهاً لآدمَ وحْدَه: «فلا تأكُل منها، فإنك يومَ تأكُلُ منها تموتُ مَوْتاً»، بينما كان النهيُ موجَّهاً إلى آدمَ وحواءَ معاً: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾.

٣-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الحيةَ هي التي زينتْ لحواءَ الأَكلَ من الشجرة، ولم يَذكر القرآنُ شيئاً عن الحية، مما يدلُّ على كذبِ الأَحبارِ في ما نَسَبوه للحية.

٤-أَغفلَ الأَحبارُ دورَ الشيطانِ في الحادثةِ وتجاهلوه، ولم يَتكلَّموا عنه بكلمةٍ واحدة، بينما جعلَ القرآنُ الدورَ كلَّه له، فهو الذي وسوسَ وزينَ وأَغرى وأَقسم، ودلاّهما بغرُور، والصحيحُ قطعاً هو ما قالَه القرآن.

٥-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ حواءَ هي التي أَكلتْ من الشجرةِ أَوَّلاً، ثم قامَتْ بإغواءِ آدمَ وحملِه على الأَكلِ من الشجرة. بينما أَخْبَرَ القرآنُ أَنهما أَكلا معاً، في وقت واحد: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾.

٦-زَعَمَ الأَحبارُ أَنهما كانا جاهلَيْنِ قبلَ الأَكْلِ من الشجرة، ثم انفتحتْ عيونُهما بعدَ الأكل، فعَرفا أَنهما عُريانان .. بينما اكتفى القرآنُ بإشارةٍ مجملة، وهي قوله: ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾، أَيْ: ظهرتْ لهما السوءات، وهي لا تبدو ولا تَظهرُ إلاّ بعدَ أَنْ تكونَ مستورةً مخفيَّة.

٧-حَدَّدَ الأَحبارُ الورقَ الذي سَتَرا به عورتَيْهما بأنه ورقُ التّين، وأَنه كانَ وَرَقاً عريضا بحيثُ صَنَعا منه مآزر، بينما اكتفى القرآنُ بالإشارةِ إلى أَنه كان وَرَقاً من أَشجارِ الجنة: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ومعنى ﴿ وَطَفِقَا ﴾: شَرَعا مباشرةً وفوراً، ومعنى: ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾: يُلصقان ويَستران، أَيْ بمجردِ أَنْ بَدَتْ لهما سوءاتُهما شَرَعا فَوراً في قطعِ الورقِ العريضِ من أَوراقِ أَشجارِ الجنة، وإِلصاقِه على بَدَنَيْهما، لسترِ وتغطيةِ عورتَيْهما..

الرب يبحث عن آدم!

ماذا حصلَ بعدما أَكَلَ آدمُ وحوّاءُ من الشجرة، وسَتَرا سوءاتِهما؟ يُتابعُ الأَحبارُ روايةَ الأَحداث على طريقتِهم العجيبة، فيقولون: «.. سَمِعا وَقْعَ خُطى الرَّبِّ الإِله، وهو يتمشّى في الجنةِ عندَ نسيمِ النَّهار .. فاختبأَ الإِنسانُ وامرأَتُه من وجْهِ الربِّ الإِلهِ، بينَ شجرِ الجنة .. فنادى الربُّ الإِلهُ آدمَ، وقال له: أَينَ أَنت؟! قال آدمُ: إِنّي سمعتُ وَقْعَ خُطاكَ في الجنةِ فخِفْتُ،

ولأنّي عُريانٌ اختبأْتُ!

قالَ الربُّ: فَمَنْ أَعْلَمَك أنك عُريان؟ هل أكلتَ من الشجرةِ التي أَمرتُك أَنْ لا تأكلَ منها؟

قالَ آدَم: المرأةُ التي جعلْتَها معي هي أَعطَتْني من الشجرةِ فأَكَلْتُ..»

[سفر التكوين٣: ٨-١٢].

يزعمُ الأَحبارُ أَنَّ الإلهَ الرَّبَّ خَرَجَ يتمشّى في أَرضِ الجنةِ عند المساء! وكانَ آدمُ وحَوّاءُ بينَ الأَشجارِ يستُرانِ عورتَيْهِما، فسَمِعا وَقْعَ خَطى الرَّبِّ الإلهِ وهو يَسير -حيثُ كان صوتُ قدمَيْه عالياً- فسارَعا بالاختباءِ بين الأَشجار! وصارَ الربُّ الإلهُ يبحثُ عن آدَم بين الأَشجار، فلم يجدْه، ولم يعرفْ مكانَه! فاضطرَّ إلى أَنْ يُناديه: أينَ أَنتَ يا آدم؟ إنني لا أعرفُ أَينَ أَنت؟ فَدَلَّهُ آدمُ على مكانِه، وقال له: ها أَنا، وقد سمعْتُ وقْعَ خُطاكَ في الجنةِ فخِفْتُ، وقد اختبأْتُ منك لأَني عُريان!

فوجئَ الربُّ الإلهُ بمعرفةِ آدمَ أنه عُريان، وهذا معناهُ أنه أَكَلَ من الشجرة، ولم يَعلم الربُّ أَنَّ آدمَ أَكلَ من الشجرة، ولذلك سأَلَ آدَمَ: مَنْ أَعلمَك أنك عُريان؟ هل أَكْلتَ من الشجرة؟ فحمَّلَ آدمُ المسؤوليةَ إلى امرأَته، وتَهَرَّبَ هو منها، ولذلك قال للرب: هي التي أَعطَتْني فأَكَلْتُ!!

يدلُّ هذا النصُّ على عدمِ إِيمان الأَحبارِ باللهِ إِيماناً صحيحاً، وعدمِ

تَقْديرِهِ سبحانه حَقَّ قَدْرِه .. إنهم يَتَحدثون عن اللهِ كما يتحدَّثون عن أَيٍّ إِنسان، ويجعلونَه يتصرَّفُ ويتحدَّثُ وكأنَّه إِنسان، وليس ربَّ العالمين، المتصف بصفاتِ الجلالِ والعظمة!

وقوع الأحبار في سبعة أخطاء عقيدية:

عندما نَنظرُ في كلامِ الأَحبارِ بالمنظارِ الإيمانيِّ الذي أَخذناهُ من حقائقِ القرآنِ، فسوفَ نرى فيه الأَخطاءَ العقيديةَ التالية، التي تقودُ إلى كفرِ قائِليه:

١- فيه تجسيمٌ لله، حيث قَدَّموهُ في صورةٍ ماديَّةٍ مجسَّمَة، محدودةٍ محصورة فهو مثْلُ الإِنسان، وحجْمُه كحَجْمِه، وجسْمُه كجسْمِه، وهذا التجسيمُ المحدودُ المحصورُ كفرٌ بالله .. واللهُ مُنَزَّهٌ عن هذا التجسيم، وقد أَخْبَرَنا عن ذاتِه العلية في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١].

٢- هذا الربُّ المجسَّمُ المحدودُ يتصرَّفُ كالإِنسان، فهو يخرجُ عند مغيبِ الشمس، يُريدُ أَنْ يتمشَّى ويتنَزَّه، ويُغَيِّرَ الجَوّ! ويستمتعَ بالجوِّ الجميل، ويَسيرَ بينَ أَشجارِ الجنة! ويفعلَ كما يفعلُ أَحَدُنا، عندما يخرجُ من بيته عند المساء يتمشّى ويشمُّ الهواء!!

وعندما كانَ الرَّبُّ يتنزَّه، كان لوقْعِ خطواتِه صوت، وهو يَنْقُلُ قدمَيْه

أَثناءَ السير، وكان صوتُهما عالياً مَسْموعاً، يسمعُه مَنْ كانَ حولَه!

٣- آدمُ وحواءُ لا يَعرفانِ مقامَ اللهِ وعظمَتَه، فبينما كانا واقفَيْن بينَ الأَشجار، شاهَدا الربَّ يتمشّى! وسمِعا وقْعَ خطواتِه، فخافَ آدمُ لمخالفتِه وخشيَ إِنْ علمَ ربُّه به أَنْ يُعاقبَه.

الحَلُّ عند آدمَ أَنْ يختبئَ من ربِّه بين الأَشجار، حتّى لا يراه، وهل يمكِنُ لآدمَ أَنْ يختفيَ عن عينِ الله؟ الأَحبارُ يقولون: يمكنُ ذلك!

٤- لما اختفى آدمُ صارَ الربُّ يبحثُ عنه، فلم يعثُرْ عليه، وجهلَ مكانَه، واضطرَّ إِلى أَنْ يُناديَ عليه: أَينَ أَنتَ يا آدم؟

هل هذا ربٌّ أَحاطَ علْمُه وسمعُه وبصرُه بكلِّ شيءٍ؟ آدمُ أَمامَه مختبئاً بين الأَشجار، وهو عاجزٌ عن رؤيته! وكأَنَّ المشهدَ لعبةُ استخفاءٍ بين شخصَيْن يلعبان، يختفي الآخرُ ويبحثُ الثاني عنه، وليس إِخباراً عن اللهِ العليمِ الخبير!

٥- فاجأ آدمُ الربَّ بما كان الربُّ جاهلاً به، فاجأَه بأنه عُرْيان، ولذلك اختبأ منه بين الأَشجار، والربُّ لا يَراه، ولذلك لا يَعرفُ بأنه عُريان!

٦- فاجأ آدمُ الرَّبَّ مفاجأَةً ثانية، بما كان جاهلاً به أَيضاً، إِنَّ عريَ آدمَ معناهُ أَنه أَكلَ من الشجرةِ التي نهاهُ الربُّ عنها، ولذلك سأَلَه الربُّ مستوضِحاً مستَعْلِماً: مَنْ عَرَّفَكَ أَنك عُريان؟ هل أَكلتَ من الشجرة؟

حتى الآنَ لا يعرفُ هذا الربُّ أَنَّ آدمَ وزوجَه أَكَلا من الشجرة، ولا يَعرفُ أَنهما عُرْيانان، ولا يَعرِفُ أَنهما سَتَرا عورَتَيْهِما بورقِ التِّين! فمنْ هو هذا الربُّ الذي يتحدثُ عنه الأَحبار؟

٧- أَخبرَ الأَحبارُ أَنَّ آدمَ تهرَّبَ من التبعةِ والمسؤولية، وحَمَّلَ حواءَ تبعةَ ذلك، وأَخبرَ الرَّبَّ بأَنها هي التي أَعطَتْه من ثمرِ الشجرة، فأَكَلَ بعدما أَكَلَتْ هي!

أَمامَ هذه الأَخطاءِ العقيديةِ الكفريةِ نَشهدُ أَنَّ الأَحبارَ الذين قالوا هذا القولَ عن اللهِ كفارٌ باللهِ، ونُنَزِّهُ اللهَ عن ما نسبوهُ له من نقْصٍ وجهلٍ وضَعْف، ونشهدُ أَنه أَحاط بكلِّ شيءٍ علْماً، وأَنه لا تخفى عليه خافية، وأَنه منزَّهٌ عن التجسيمِ والتحديد، وأَنه ليسَ كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصير.

وأَينَ هذا الضلالُ مِن ما وردَ في القرآنِ العظيمِ عن تلك الحادثة؟ قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٣].

الرب يعاقب ويلعن:

ماذا فعلَ الربُّ بآدمَ وحواءَ والحية، بعدما وَقَعت الجريمة؟ لا بدَّ أَنْ

يُعاقِبَ المذنبينِ عقوبةً شديدة، حسبَ نظرةِ الأَحْبار!

قالوا: «قالَ الربُّ الإلهُ للحية: لأنَّكِ فعلْتِ هذا، فأنتِ معلونةٌ من بينِ جميعِ البهائم وجميعِ وحوشِ البرِّيَّة، على بطنِك تزْحَفين، وتُراباً تَأْكُلين، وأَجعلُ عداوةً بينَكِ وبينِ المرأة، وبينَ نسْلِك ونسْلِها، هو يسحقُ منكِ الرأْسِ، وأَنتِ تُصيبين عقِبَه..

وقالَ للمرأَةِ: لأُكَثِّرَنَّ مَشَقّاتِ حَمْلِكِ تَكثيراً، فبالمشقَّةِ تَلِدين البَنين، وإلى رَجُلِك تَنقادُ أَشواقُك، وهو يَسودُك.

وقالَ لآدَم: لأَنكَ سمعْتَ لصوتِ امرأَتِك، فأَكَلْتَ من الشجرةِ التي أَوْصَيْتُك أَنْ لا تأكلَ منها، تكونُ الأَرضُ ملعونةً بسببِك. بِكَدِّكَ تأْكُلُ طعامَك منها، طولَ أَيامِ حياتِك، وشَوْكاً وعَوْسَجاً وحَسَكاً تُنْبِتُ لك، ومن عُشْبِ الحُقول تَقْتات، وبعرَقِ جبينِكَ تأكُلُ خُبْزاً .. حتى تعودَ إلى الأَرض، لأَنك منها أُخِذْتَ، فأنتَ من التراب، وإلى الترابِ تَعود..»

[التكوين٣: ١٤-١٩].

يرى الأَحبارُ في كلامِهم السابقِ أَنَّ الرَّبَّ عاقبَ الأَطرافَ الثلاثة: الحَيَّةَ، وحَوّاء، وآدمَ، وكان عقابُه يقومُ على اللَّعن.

لَعَنَ الحيةَ من بينِ سائرِ البهائمِ والدواب، وجَعَلَها تزحفُ على الترابِ وتأْكُلُه، وجعلَ العداوةَ الشديدةَ بينها وبين بني البشر.

رد مزاعم الأحبار عن اللعن:

هذا كلامٌ لا نَقبلُه، وقد رفضْنا سابقاً أَنْ يكونَ للحيةِ دورٌ في إِغواءِ حَوّاءَ، وحملِها على الأَكْلِ من الشجرة، وبما أَنَّ الحيةَ ليس لها دورٌ في ما جرى، فلم ترتكبْ ما يوجبُ العقوبة.

ولم يَلعن اللهُ في الإِسلامِ غيرَ المكلَّفين الكافرين، فالحيواناتُ والجماداتُ لم يُكَلِّفْها اللهُ بالتكاليف، ولذلك لم تُخالفْ أَمْرَ الله، وهي مؤمنةٌ باللهِ بالفطرة، ولم يَلعن اللهُ شيئاً منها.

فَزَعْمُ الأَحبار أَنَّ اللهَ عاقبَ الحيةَ ولَعَنَها، زعْمٌ باطِل تَرُدُّه حقائقُ إِسلامنا.

ويرى الأَحبارُ أَنَّ اللهَ لعنَ حواءَ لأَنها أَغْوَتْ آدَمَ، وعاقَبَها عقوبةً شديدة، وجعلَ عقوبَتَها في الحملِ والولادة، عقوبَتُها في آلامِ الحيضِ والدورةِ الشهرية، وعقوبَتُها في آلامِ الحملِ والولادة! وهذا معناهُ أَنه لو لم يُعاقِبْها لما أُصِيبَتْ بالآلامِ والأَوجاعِ عند الحملِ والولادةَ!

أَمّا آدمُ فلم يَلْعَنْهُ الله، وإِنما لَعَنَ الأَرضَ بسببِه: «تكونُ الأَرضُ ملعونةً بسببك».

ولَعْنُ الأَرضِ زعْمٌ إِسرائيليٌّ باطل، يُنْكِرُهُ الإِسلام، لأَنَّ اللعنَ لا

يُصيبُ اللهُ به إلا الكافرين المكلَّفين، والأَرضُ غيرُ مكُلَّفَة، بل هي مؤمنةٌ بالفطرةِ.

وزَعَمَ الأَحبارُ أنه من مظاهرِ لَعْنِ الأَرضِ أَنَّ اللهَ نَزَعَ منها بركَتَها وخَيْرَها، وجَعَلَ آدمَ يتعبُ ويشقى فيها، ولا يأكلُ خُبْزَهُ إلاّ بعرقِ جبينِه..

لم يَتحدث القرآنُ عن لعنِ الحيةِ أَو حَوّاءَ أَو آدَم، ولم يتحدثْ عن لعنِ الأَرضِ بسببِ ذنبِ آدَم، وإنما أَشارَ إلى ما يجدُه آدمُ في الجنةِ من رَغَد، فإن استجابَ للشيطانِ فَقَدَ ذلك الرغَدَ والرخاء، وحلَّ به التعبُ والنصَبُ والشَّقاء، قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩ ﴾ [طه: ١١٧-١١٩].

آدم صار عارفاً مثل الرب!

يَختمُ الأَحبارُ الإِصحاحَ الثالثَ بِفِرْيةٍ كبيرة، يَتَّهمونَ فيها الله، ويذكُرون خوفَه من آدَمَ!

قالوا: «وقالَ الربُّ الإِله: هو ذا الإِنسانُ قد صارَ كواحدٍ منّا، يَعرفُ الخيرَ والشّرّ .. والآنَ لعلَّه يَمُدُّ يَدَه إلى شجرةِ الحياةِ أَيضاً، فيأخذُ منها ويأكُل، فيَحْيا إلى الأَبد!

فأَخرجَهُ الرَّبُّ الإلهُ من جنَّةِ عَدْن، ليَحرثَ الأَرضَ التي أُخِذَ منها .. فَطَرَدَ آدَمَ، وأَقامَ الكَروبينَ شرقِيَّ جنةِ عَدْن، وسَيْفاً متقلِّباً مشتعِلاً، لحراسةِ الطريقِ إلى شجرةِ الحياة..». [التكوين٣: ٢٢-٢٤].

هذا الكلامُ دليلٌ آخَرَ على كفرِ الأَحبار، وعدمِ تعظيمِهم وتقديرِهم لله، ودليلٌ آخرَ على أَنَّ هذا الكلامَ ليسَ من عندِ الله، ولم يُنْزِلْه على موسى عليه السلام، وإنما هو كفرٌ كَتَبَهُ الأَحبار، ونَسَبوه إلى الله كذباً وزوراً.

يزعمُ الأَحبارُ أَنَّ آدمَ عندما أَكَلَ من شجرةِ المعرفةِ صارَ مثْلَ الإله، لأَنه صارَ يعرفُ الخيرَ والشَّرَ، والربُّ هو الذي اختصَّ بتلك المعرفة، ولما حَصَّلَ آدَمُ تلك المعرفةِ التي اخْتَصَّ اللهُ بها صارَ مثلَ الإله!

ولاحظَ الربُّ ذلك، ورأى مشاركةَ آدمَ له بتلك المعرفة، ولذلك قال: «هو ذا آدَمُ الإنسانُ صارَ كواحدٍ منا» فاعترفَ الربُّ أَنَّ آدَمَ نجحَ في مشاركتِهِ له في المعرفة!

وهذا كفرٌ قبيحٌ من الأَحبار، فاللهُ سبحانَه ليس كمثْلِه شيء لا في ذاتِه ولا في صفاتِه، ولا في أَفعاله .. ومهما ارتقى الإنسانُ في علْمِه ومعرفتِه فلن يكونَ مِثْلاً لله، ولا مشارِكاً له، فكيفَ يعترفُ الربُّ -عند الأَحبار- بأَنَّ آدمَ صارَ مثْلَه؟

وسورةُ الإِخلاصِ خيرُ رَدٍّ على هذا الكفر اليهودي: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الرب يطرد آدم خوفاً منه:

وبما أَنَّ آدمَ نجحَ في الوصولِ إِلى إِحدى الشجرتَيْن المحرَّمَتَيْن، شجرةِ المعرفة، فلن يعجزَ عن الوصولِ إِلى الشجرةِ الثانية، شجرةِ الحياة! وإِذا أَكَلَ منها فإِنه يخلدُ ويَحيا إِلى الأَبَد!! وإِذا بقيَ في جنةِ عَدْنٍ فلن يستطيعَ أَحدٌ مَنْعَه من الوصولِ إِلى شجرةِ الحياة!!

الحلُّ عندَ الربِّ أَنْ يطردَه من جنةِ عَدْنٍ طرداً، وأَنْ يُخرجَه منها إِخراجاً، وأَنْ يجعلَه في الأَرضِ التي أَخذَه منها، ليَحرثَها ويَفلحَها: «والآن لعلَّه يمدُّ يَدَهُ إِلى شجرةِ الحياة أَيضاً، فيأْخذَ منها ويأْكل، ويَحيا إِلى الأَبَد!».

إِنَّ هذا الكلامَ في غايةِ الكفرِ والضَّلال، فكيفَ يخشى الربُّ من آدم، ويخافُ أَنْ يأكلَ من شجرةِ الحياة؟ وهل يعجزُ الربُّ عن إِماتتِه وإِنهاءِ حياتِه عندما يُريد؟ وهل للحياةِ شجرة؟ وهل لها ثمرٌ يُؤْكَلُ كما تُؤْكَلُ باقي الثمار؟ وهل هذه الثمرةُ تمنحُ الخلودَ وتُبطلُ مفعولَ الموت؟

إِنَّ هذا من أَساطيرِ الأُممِ السابقةِ الكافرة، التي لا دينَ عندها، وهو من نَتاجِ عقولِها الصغيرةِ الكافرة، وقد أَخَذَ الأَحبارُ هذه الأَساطير، وسَجَّلوها في كتابِهم الدينيّ، ونَسَبوها إِلى الله زوراً وكذباً.

وحتى يضمَنَ الربُّ عدمَ عودةِ آدمَ إِلى جنةِ عَدْنٍ متسلِّلاً، أَقامَ مجموعةَ من ملائكتِه، وهم «الكروبين»، حُرّاساً على طريق شجرةِ الحياة، ومعهم سيفٌ مشتعلٌ ناراً!!

و«الكُروبين»: خرافةٌ يهودية، أَطْلَقَها اليهودُ على نفرٍ من الملائكة. قالَ عنهم مؤلِّفو كتاب قاموس الكتاب المقدس: «كروبين أَو كروبيم»: ملائكةٌ يُرْسَلون من قِبَلِ الله، أَو يُقيمونَ في حضرتِه تعالى، أَقامَهم اللهُ على أبوابِ جنةِ عَدْنٍ، عندما طردَ آدمَ وحَوّاء منها .. ويقالُ إِنهم ذَوُو جناحَيْن.. [قاموس الكتاب المقدس: ٧٧٩].

ولا دليلَ عند الأَحبارِ على وجودِ هذا النفرِ من الملائكة، ولا على وظيفتِهم، ولا على إِطلاقِ هذا الاسمِ عليهم: «الكروبين». ولَسْنا مَعَ مَنْ يُطلقونَ هذا المصطلحَ عليهم، متأَثِّرين بهذه الخُرافة.

دور الشيطان في إغواء آدم:

إِنَّ مَنْ يقرأ أَحداثَ قصةِ آدمَ كما رواها الأَحبارُ في سِفْرِ التكوين، يجدُ

أنهم أغفلوا ذِكْرَ الشيطان، ولم يَجْعَلوا له دَوْراً في التمردِ والكفر، ولا في الوسوسةِ والإغواء.

بينما تكلمَ القرآنُ بوضوحٍ عن دورِ الشيطان، فإبليسُ مخلوقٌ قَبْلَ آدم، خلقَه اللهُ من النّار، وكان من الجِنِّ، وأَمَرَهُ بالسجودِ لآدَم كالملائكة، ولكنّه أَبى وتمرد، فلعنَهُ الله، وحَذَّرَ آدمَ وحواءَ من وساوسِه، وتوجَّهَ الشيطانُ إليهما، وما زالَ يوسوسُ لهما، ويزيِّنُ لهما الأَكْلَ من الشجرةِ المحَرَّمة، ولم يَستجيبا له إلاّ بعدما قاسَمَهما، وحَلَفَ لهما اليمينَ أنه ناصحٌ لهما، عند ذلك اغْتَرَّا بيمينِه، فأَكَلا من الشجرة .. ولما لامَهما اللهُ على أَكْلِهما من الشجرةِ شَعَرا بالذَّنْب، فسارَعا إلى التوبةِ والاستغفار، فتابَ اللهُ عليهما وغَفَرَ لهما.

وأَخرجَ اللهُ الشيطانَ من الجنةِ مَذْموماً مَلْعوناً مَطْروداً. قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨].

وقالَ اللهُ عن توبةِ آدمَ وحواء، وعن الدعاءِ الذي دَعَوا اللهَ ربَّهما به: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ

ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٧].

وهذا معناهُ أَنَّ الأَحْبارَ مُخطِئون عندما زَعَموا أَنَّ الله أَخرجَ آدمَ وحواءَ من الجنةِ عِقاباً لهما، وأَنه لَعَنَ الحيةَ ولَعَنَ حواءَ ولَعَنَ الأَرض، وطَرَدَ آدَم، هم مخطئون في هذا الزعم، لأَنه إِذا تابَ اللهُ عن الذَّنْبِ وغَفَرَ لصاحِبه، فإِنه يسامحُه ويَعْفو عنه، ولا يعاقبُه بعد عفوِه ومغفرتِه.

لم يكنْ إِخراجُ آدمَ وحواءَ من الجنةِ عِقاباً لهما، وإِنما كانَ تحقيقاً لإِرادةِ اللهِ الحكيمِ وقدرِهِ، حيثُ قَدَّرَ إِخراجَهما من الجنةِ بعدَ أَكْلِهما من الشجرة، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩].

الإصحاحان الرابع والخامس في ميزان القرآن

خَصَّصَ الأَحبارُ الإِصحاحَ الرابعَ للحديثِ عن قصةِ ابْنَي آدم، وقصةِ شيتْ وهو مُكَوَّنٌ من ستٍّ وعشرينَ فَقْرَة.

وخَصَّصُوا الإِصحاحَ الخامسَ للحديثِ عن البشريةِ قبلَ نوحٍ والطوفان، وهو مُكَوَّنٌ من اثْنَيْنِ وثلاثين فَقْرة.

قصة ابني آدم بين رواية الأحبار وعرض القرآن:

ذَكَرَ الأَحبارُ قِصَّةَ ابْنَيْ آدمَ مفصَّلَةً في الأَسماءِ وبعضِ الحوادث، وهذا التفصيلُ ليس لهم عليه دليل.

قالَ الأَحبار: «واضطجَع آدمُ مع امرأَتِه حَوّاء، فحملَتْ وولدَتْ قَايِين، فقالتْ: قد اقْتَنَيْتُ رَجُلاً من عندِ الرَّبِّ، ورزَقَني الرَّبُّ ابْناً، ثم عادَتْ وولدَتْ أَخاهُ هابيل.

وصارَ هابيلُ راعيَ غَنَم، وصارَ قايينُ فَلاّحاً يَفلحُ الأَرض .. ومَرَّت الأَيَّام، فقدَّمَ قايينُ من ثَمرِ الأَرضِ تقدمةً للرّب، وقَدَّمَ هابيلُ من أَبكارِ غَنَمه ومن سِمانِها .. فنظرَ الرَّبُّ برضى إلى هابيلَ وتَقدمتِه، ولم يَنظرْ برضى إلى تقدمةِ قايين .. فغضبَ قايينُ جِدّاً، وعبسَ وجْهُه، وأَطرقَ رأْسَه.

فقالَ له الرب: لماذا غَضبتَ؟ ولماذا عبسَ وجْهُك؟ إِذا أَحْسَنْتَ عَمَلاً

رفعتُ شأنَك، وإذا لم تُحسنْ عَملاً فالخطيئةُ رابضةٌ بالباب، وهي تتلهَّفُ عليك، وعليكَ أَنْ تَسودَ عليها[1].

وقالَ قايينُ لأَخيه هابيل: هَيّا لِنخرجْ إلى الحقْلِ .. وبينما كانا في الحقْلِ وَثَبَ قايينُ على أَخيه هابيلَ فقَتَلَه.

فقالَ الربُّ لقايين: أَينَ هابيلُ أَخوك؟

فقال: لا أَعلم، أَحارسٌ لأَخي أَنا؟

فقالَ له الربُّ: ماذا صنعْتَ؟ إِنَّ صوتَ دمِ أَخيك صارخٌ إِليَّ من الأَرض، والآنَ فملعونٌ أَنتَ من الأَرض، التي فَتَحَتْ فاها لِتَقْبَلَ دماءَ أَخيك، وهي لن تُعطيكَ خِصبَها إذا فَلَحْتَها .. تائِهاً شريداً تكونُ في الأَرض.

فقالَ قايينُ للرب: عِقابي أَشَدُّ وأَقْسى مِنْ أَنْ يُطاقَ ويُحتمل، طردْتَني اليومَ عن وجْهِ الأَرض، وحَجبْتَ وجْهَك عنّي، وطريداً شريداً صِرْتُ في

(١) أَخَذْنا هذه الترجمةَ من الكتابِ المقدَّسِ الذي أَصدرَته جمعيةُ الكتابِ المقَدَّس في لبنان، وظهرتْ طبعتُه الأُولى سنة ١٩٩٣، وهي أَوضحُ من الترجمةِ الثانيةِ للكتابِ المقدس الذي أَصدرته دارُ المشرقِ في بيروت عام ١٩٩١، والعبارةُ فيه هي: لِمَ غضبْتَ ولِمَ أَطرقْتَ رأْسَك؟ فإنك إنْ أَحسنتَ أَفلا ترفعُ الرأس، وإنْ لم تحسنْ أَفلا تكونُ الخطيئةُ رابضةً عند الباب؟ إليك تنقادُ أَشواقُها، فعليكَ أَنْ تَسودَها.
وهذه عبارةٌ ركيكة، ليسَ لها معنى واضح، ولذلك عَلّقَ الرهبانُ المترجمونَ على هذه الترجمةِ قائلين: ترجمةٌ تقريبيةٌ لِنَصٍّ مُشَوَّه، يَبدو أَنّه يصفُ التجربةَ التي تهددُ النفسَ غيرَ المتَهيَّأة! واعترافُ الرهبانِ بأَنَّ النصَّ الأَصليَّ مُشَوَّهٌ لـه دلالـةٌ خاصةٌ على تحريفِ العهدِ القديم!

الأَرض، وكلُّ مَنْ وجدَني يقتُلني!

فقالَ له الربّ: كلُّ مَنْ قَتَلَ قايينَ فَيُنْتَقَمُ منه سبعةُ أضعاف.

وجعلَ الربُّ لقايينَ علامةً لئلا يقْتُلَه كلُّ مَنْ وجَدَه .. وخرجَ قايينُ من أَمامِ الربّ، وأَقامَ بأَرضِ نُودٍ شرقيَّ عَدْن.. ». [التكوين٤: ١-١٦].

هذا ما قالَه الأَحبار عن قصة ابْنَي آدم، فماذا قالَ القرآنُ عن قصتهما؟

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

مؤاخذات على رواية الأحبار:

وعندما ننظرُ في روايةِ الأَحبارِ بمنظارِ القرآن فسنجدُ عليها المؤاخذاتِ لتالية:

١-ذَكرتْ روايةُ الأَحبارِ اسْمَي الأَخَوَيْن، الأَولُ قايين، والثاني هابيل، بينما أَبقى القرآنُ الاسْمَيْن مبهمَيْن، ومن المعلومِ أَنه لا دليلَ للأَحبارِ على تعيينِ الاسمَيْن.

٢-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الأَوَّلَ كان صاحبَ زَرْعٍ وحَرْث، وأَنَّ الثاني كان صاحبَ غنم، وهذا لا دليلَ عليه أيضاً.

٣-حَدَّدَ الأَحبارُ أَنَّ الأَكبرَ هو الذي لم يَتَقبَّل اللهُ زَرْعَه، وأَنَّ الأَصْغَرَ هو الذي تَقَبَّلَ اللهُ قُرْبانَه، أَيْ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ الأَصغرَ على الأكبر، وهذا لا دليلَ عليه أَيضاً.

٤-حَدَّدَ الأَحْبارُ أَنَّ قُربانَ الأَولِ كان زَرْعاً سَيِّئاً، وأَنَّ قُربانَ الثاني كان غَنَماً سِماناً، وهذا التحديدُ لا دليلَ عليه، ولذلك أَبهمه القرآن: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾.

٥-أَغفلَ الأَحبارُ الحوارَ المؤثِّرَ المعبِّرَ بين الأَخَوَيْن: الأَخُ الظالمُ والأَخُ المسالم، وقد أَوردَ القرآنُ ذلك الحوارَ، لما فيه من دلالةٍ وعبرةٍ وعِظة: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

واللافتُ للنظرِ أنَّ روايةَ الأَحْبارِ لأَخْبارِ السابقين، تُرَكِّزُ على التفصيلاتِ الشكليةِ الثانوية، التي لا فائدةَ منها، وتُغْفِلُ التركيزَ على الدروسِ والعبر، بعكسِ روايةِ القرآنِ الصحيحة، فلم يكن القرآنُ مَعْنِيّاً بذكْرِ التفاصيلِ الثانوية، إنما كان معنِيّاً بالإشارةِ إلى الدروسِ والعبرِ والدلالاتِ والعظات..

٦-زَعَمَ الأَحبارُ وقوعَ كلامٍ بينَ الرَّبِّ وبين الرجلِ الظالم، الذي سَمّوه قايين -أو قابيل عندَ بعضِ المسلمين- رغمَ أنه ظالمٌ مُعْتَدٍ، مُصَمِّمٌ على قتْلِ أخيه.

يُقَدِّمُ الأَحبارُ الرَّبَّ كما يقدِّمون الإنسان، ويُخبرونَ عنه كما يُخبرونَ عن الإنسان، ويُثْبِتونَ له ما يُثبتون للإنسان، ولا يُراعون ما يستحقُّه من تعظيمٍ وإجلالٍ عندما يتحدَّثون عنه.

فالرّبُّ يَرى قايينَ غاضِباً مُطْرِقاً رأْسَه، فيلومُه ويسأَلُه، وبعدما قَتَلَ أَخاهُ يُخاطِبُه الربُّ ويسأَلُه عن أَخيه، ويَسمعُ السؤالَ من الله، ويُجيبُه على سؤالِه بوقاحة: لا أَعلمُ أَينَ أخي، أَحارسٌ أنا لأَخي؟! .. ويستمرُّ الحوارُ المزعومُ بين الربِّ وبين قايين، يسأَلُ أَحَدُهما ويُجيبُ الآخرَ..

وكأنَّ المعروضَ مشهدٌ بشريٌّ بين رجلَيْن متقابلَيْن، يَتجادَلان ويَتَناقشان ويَتَحاوران! وليس بينَ ربِّ العالمين، وأَحَدِ الرجالِ الظالمين المعتدين!

٧-زَعَمَ الأَحبارُ أَنه بعدَ أَنْ غَضِبَ الرَّبُّ على القاتلِ ولَعَنَه، عادَ ورأَفَ بِهِ ورَحِمَه، فقايينُ يَخشى أَنْ يَقْتُلَه الناسُ لأَنَّ الربَّ طَرَدَه وشَرَّدَه، فيطمئنُه الربُّ بأَنَّ مَنْ قَتَلَه فَسيُعاقَبُ سبعةَ أَضْعافِ فعلِهِ، من بابِ تغليظِ العقوبة، ليرتدعَ النّاس!

وهذا تناقُض، فيكفَ الربُّ يلعنُهُ ويغَضبُ عليه ويطردُه بسببِ جريمتِه، ثم يرحمُه بعدَ ذلك، ويجعلُ له علامَة، ويَحميه، ويُعاقِبُ مَنْ يُحاولُ قَتْلَه بسبعةِ أَضعافِ العقابِ الذي يوقعُه على المذنب العادي؟

٨-أَغفلَ الأَحبارُ ما ذكرَه القرآنُ من جهلِ القاتل، وعجْزِه عن التصرفِ بجثةِ أَخيه، وأَرادَ اللهُ أَنْ يُريَهُ جهْلَه وعجْزَه، ليزدادَ حسرةً ونَدماً، فبعثَ له غراباً يُعَلِّمُه كيفيةَ دفْنِ الجثة، فهذا أَمْرٌ فيه عبرةٌ وعِظَة، ولذلك لا يَعني الأَحبارَ شيئاً، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝﴾.

وإِنَّ تَفَرُّدَ القرآنِ بذكْرِ حادثةِ الغراب، دليلٌ على أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، فلو كانَ من كلامِ النبيِّ ﷺ لأَخَذَ كلامَ الأَحبارِ بكلِّ ما فيه، ولما أَضافَ له حادثةَ الغراب، وإِلاَّ فمنْ أَدراهُ بحادثةِ الغُراب؟

٩-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ طردَ قايينَ إِلى أَرضِ نُودٍ، شرقيَّ جنةِ عَدْن.

جاءَ في قاموس الكتاب المقدّس: «نودٌ: اسْمٌ سامِيٌّ، معناهُ: التائهُ أَو المنْفِيُّ، وهي مقاطَعَةٌ إِلى الشرقِ من عَدْن، هربَ إِليها قايينُ من وجْهِ الرَّبِّ، بعد أَنْ قَتَلَ أَخاهُ هابيل» [قاموس الكتاب المقدس: ٩٨٣].

وهذا الزعمُ من الأَحبارِ ليس عليه دليل، وهو يقومُ على الافتراض .. ولا ننسى أَنَّ الأَحبارَ يرونَ أَنَّ جنةَ عَدْنٍ تقعُ جنوبَ بلادِ العراق، وهذا معناهُ أَنَّ «نود» التي أَقامَ فيها قايِينُ هي جنوبُ بلادِ فارس.

الحديث عن آباء ما قبل الطوفان

خَصَّصَ الأَحبارُ الإِصحاحَ الخامسَ للحديثِ عن آباءِ ما قبلَ الطوفان، وذكْرِ سلسلةِ السلالةِ البشريةِ بينَ آدم وبينَ نوح، وتحديدِ عمرِ كلِّ رجلٍ عاشَ في هذه الفترة.

زَعَموا وجودَ عشرةِ أَشخاص، من آدمَ إِلى نوح، وذَكَروا اسْمَ كُلِّ رجل، والعمرَ الذي عاشَه!

وفي ما يلي قائمةٌ بما ذَكَرَ الأَحبار:

١-آدمُ: عاش تسعمائة وثلاثين سنة.

٢-شيتٌ: عاش تسعمائة واثنتي عشرة سنة.

٣-أَنوشُ: عاش تسعمائة وخمس سنوات.

٤-قَيْنانُ: عاش تسعمائة وعشر سنوات.

٥-مَهْلَلْئِيلُ: عاش ثمانمائة وخمساً وتسعين سنة.

٦-يارَدُ: عاش تسعمائة واثنتين وستين سنة.

٧-أَخْنُوخُ: عاش ثلاثمائة وخمساً وستين سنة.

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ اخْتَطَفَ أَخنوخ بشكْلٍ سِرِّيّ، وأَخَذَهُ إِليه في السماء، فهو عندَ الرب، وكانَ من أَقْصَرِ الآباءِ عُمراً، حيث عاشَ على عددِ أَيامِ السنة!

٨-مَتُوشَالَحُ: عاش تسعمائة وتسعاً وستين سنة.

٩-لامَكُ: عاش سبعمائة وسبعاً وسبعين سنة.

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ لامَكَ كان عدوانِيّاً شَرِساً قاتِلاً، قَتَلَ رجُلاً لأَنه جَرَحَه، وقَتَلَ فتىً لأَنَّه ضَرَبَه، وافْتَخَرَ بذلك قائلاً: أَنا لامَكُ: قتلْتُ رَجُلاً لأَنه جَرَحَني، وقتلْتُ فتى لأَنه ضَرَبَني.

١٠- نوحٌ: عاش تسعمائة وخمسين سنة [سفر التكوين: إصحاح ٤-٥].

ويُمكنُ أَنْ تكونَ سلسلةُ نَسَبِ نوحٍ كما ذَكَرَها الأَحبارُ هكذا: نوحُ بنُ لامَكَ بنِ مَتوشَالَحَ بنِ أَخْنوخَ بنِ يارِدَ بنِ مَهْلَلْئِيلَ بنِ قَيْنانَ بنِ أَنوشَ بن

شيتَ بنِ آدَمَ.

وتكون الفترةُ الزمنيةُ بين آدمَ ونوحٍ كما حَدَّدَها الأَحبار، بما فيها عمرُ نوح هي: ثمانية آلافٍ وخمسَمائةً وخمساً وسبعين سنة.

ملاحظات على حديث الأحبار:

ولنا على كلامِ الأَحبارِ عن آباءِ ما قبلَ الطوفانِ الملاحظاتُ التالية:

١-لا دليل لدى الأَحبارِ على أَسماءِ الرجالِ العَشَرة، من آدَمَ إِلى نوحٍ عليهما السلام، ولعلَّهم أَخَذوا أَسماءَهم من أَساطيرِ الأَقوامِ الذين عاشُوا بينهم كالمصريّين والبابليّين والفنيقيين وغيرهم.

ونحن نتوقَّفُ في هذه الأَسْماءِ، فلا نَقولُ بها ولا نَرُدُّها، لعدمِ وجودِ دليلٍ في النفيِ أَو الإِثبات، ونسكتُ عن ما سكَتَ عنه القرآنُ والسُّنَّة.

٢-حَدَّدَ الأَحبارُ الفترةَ الزمنيةَ من بدايةِ حياةِ آدمَ إِلى نهايةِ عمر نوحٍ بأَنها ثمانيةُ آلافٍ وخمسُمائة وخمسٌ وسبعون سنة، وهذا تحديدٌ يقومُ على الافتراض والزعم، لا دليلَ لهم عليه..

ونحن نتوقَّفُ في تحديدِ هذه الفترةِ الزمنية، لعدمِ وجودِ دليلٍ معتمدٍ عندنا. وقد قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ما بينَ آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ

كُلُّهم على الإِسلام، لكنَّ هذا الكلامَ موقوفٌ على ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وليس مَرفوعاً للنبيِّ ﷺ، وهذه المسائلُ الغيبيةُ تحتاجُ في اعتمادِها إلى آياتٍ صريحة، أو أَحاديثَ صحيحة، مرفوعةٍ للنبيِّ ﷺ.

قصة نوح والطوفان في ميزان القرآن

انتقلَ الأَحبارُ من الحديثِ عن ما قبلَ نوحٍ والطوفانِ إلى الحديثِ عن نوحٍ والطوفان، وهم ما زالوا يتحدَّثون عن نشأةِ العالمِ والبشرية، وهو القسمُ الأَولُ من أَقسامِ سِفْرِ التكوين.

وقد خَصَّصوا للحديثِ عن نوحٍ والطوفان ثلاثةَ إِصحاحات: الإِصحاحُ السادسُ والسابعُ والثامن..

أبناء الله يتزوجون بنات الناس!!

بدأَ الأَحبارُ الإِصحاحَ السادس بفقرةٍ كافرةٍ ضالّة، قالوا: «ولما ابتدأَ الناسُ يَكْثُرونَ على وجْهِ الأَرض، وَوُلِدَ لهم بنات، رأى بنو اللهِ أَنَّ بناتِ الناسِ حِسان، فتزوَّجوا منهنّ، من كلِّ مَن اخْتاروا!

فقالَ الرَّبّ: لا تَثْبُتُ روحي في الإِنسان للأَبَد، لأَنه بَشَر، فتكونُ أَيامُه مائةً وعشرين سنة.

وكانَ على الأَرض جبابرةٌ في تلك الأَيام، وبعد ذلك أَيضاً حينَ دخلَ بَنو اللهِ على بناتِ الناس، فولَدْنَ لهم أَوْلاداً، وهم الجبابرة الأَبطال، الذين ذاعَ اسْمُهم من قديمِ الزمان..». [التكوين٦: ١-٤].

زعمَ الأَحبارُ الكافرونَ أَنه لما تكاثَرَ الناسُ أَنْجَبوا بناتٍ حساناً

جميلات، ولا مشكلةَ في هذا، إنما المشكلةُ في أنَّ الأَحبارَ الكفارَ زَعَموا لله أَوْلاداً وبَنيناً، وأَنَّ هؤلاء البنينَ أُعْجِبوا بجَمالِ وحُسْنِ بناتِ الناس، فتزوَّجوهن، وأَنْجَبوا منهنَّ أَولاداً، فيهم طبيعةٌ إلهية وطبيعةٌ بشريةَ، ولذلك كانوا جبابرةً أَقوياءَ أبطالاً، مَشْهورين بقوَّتِهم وجَبَروتِهم.

وزَعَمَ الأَحبارُ الكفارُ أَنَّ الربَّ غضبَ على أبنائِه، لأَنهم تَزوَّجوا من بناتِ الناس، ولذلك قَصَّرَ عمرَ أَحفادِه بحيثُ يكونُ عمرُ الواحِدِ مائةً وعشرين سنة!! وهذا كفرٌ صريحٌ بالله، صَدَرَ عن هؤلاء الأَحبارِ الكافر، حيثُ جعلوا له أَبناء!! وإِنْ لم يكنْ هذا كفراً بالله فما هو الكفرُ به إِذَن؟

وخَيْرُ ما يُرَدُّ به على هذا الكفرِ اليهوديِّ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص].

وقولُه تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

والعجيبُ أنه لما أرادَ الرهبانُ في ترجمتِهم سِفْرَ التكوينِ تَفسيرَ هذا الكفرِ حاوَلوا تَبريرَه والاعتذارَ عن قائِله، قالوا: «يَعودُ المؤلِّفُ إلى أُسطورةٍ شعبيةٍ عن جبابرة، يُقالُ إنهم وُلِدوا من زواجٍ بين كائناتٍ بشريةٍ وكائناتٍ سماوية، وهو لا يُبدي رأيَه في قيمةِ هذا الاعتقاد، ويُخفي وجْهَهُ

الأُسطوري، فيقتصرُ على التذكيرِ بهذا الجنسِ الوقحِ من الجبابرة، كَمَثَل للفسادِ المتزايدِ الذي سوفَ يُسببُ الطوفان. اليهوديةُ اللاحقةُ وجَميعُ المؤلِّفين المسيحيين الأوَّلين تقريباً رأَوا في «بَني الله» هؤلاء ملائكةً مُذْنبين .. لكنَّ جميعَ آباءِ الكنيسةِ منذُ القرنِ الرابع، فَسَّروا جميعُهم بَني الله ببَني شيث، وبناتِ الله بذريةِ قايين». [الكتاب المقدس: ٧٧. حاشية: ١].

وأَياً ما كانَ تَفسيرُهم وتبريرُهم، فإنه لا يُلغي اعتبارَ قائلي هذا الكلامِ كافرين، لأَنهم جعلوا لله بَنيناً، وكافرينَ مرةً ثانيةً عندما نَسَبوا هذا الكفْرَ لله، واعتبروهُ كلامَه الذي أنزلَه على نَبيِّه موسى عليه السلام!

الرب يتأسف ويندم!

من مظاهرِ كفرِ الأَحبارِ بالله إخبارُهم عن الله، بما لا يَليقُ بعظمتِه وجلالِه، حيثُ زَعَموا أنه تَأَسَّفَ ونَدمَ لأَنه خَلَقَ الإِنسان.

قالوا: «ورأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنسانِ قد كَثُرَ على الأَرض، وأَنَّ الناسَ يتصورون الشَّرَّ في قلوبهم، ويتهيئُون له ليلاً ونهاراً، فنَدِمَ الربُّ على أَنه صنعَ الإِنسانَ على الأَرض، وتَأَسَّفَ في قلبِه!! وقالَ الربُّ: أَمحو الإِنسانَ الذي خَلَقْتُ عن وجْهَ الأَرض، هو والبهائمُ والدوابُّ وطُيورُ السماء، لأَنّي ندمْتُ أَني صنعْتُهم..» [التكوين٦: ٥-٧].

يُصَرِّحُ الأَحبارُ أَنَّ الناسَ شِرّيرون بالفطرة، وأَنَّ الشَّرَّ يصدُرُ عنهم ليلَ نهار، وأَنهم أَفسدوا الأَرضَ بهذا الشَّرّ، ورأى الربُّ هذا، وعرفَ أَنَّ الشَّرَّ ملازمٌ للإِنسان لا يُفارقُه، وأَنه لا تَنفعُ معه كلُّ محاولاتِ الإِصلاح.

ماذا فعلَ الربُّ بعدَ ذلك؟

يُصرِّحُ الأَحبارُ أَنه ندمَ لأَنه خَلَقَ الإِنسان، وجعلَه على الأَرض، وتأَسَّفَ في قلْبِه! والربُّ له قلبٌ يمكنُ أَنْ يملأَه أَسَفاً ونَدَماً!!

ما معنى هذا الندمِ والأَسف؟ لا يكونُ الندمُ إِلا بعدَ معرفةِ خطأ الفعل، فعندما يفعلُ الإِنسانُ فِعْلاً، ثم يشعُرُ بخطئِه، يندمُ على فعلِه، ويتأَسَّفُ على سوءِ صنيعِه! وهذا معناهُ أَنَّ الربَّ شَعَرَ بخطئِه على خلْقِه الإِنسان، وتأَسَّفَ لأَنه خلقَه، وملأَ الأَسَفُ قلْبَه، وتمنّى لو لم يكنْ خَلَقَه.

وهذا الكلامُ الباطلُ يَتَعارضُ مع بدهِيّاتِ الإِيمانِ بالله، والاعتقادِ بشمولِ علْمِه، وتحقُّقِ حكمتِه، فاللهُ أَحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وهو حكيمٌ في كلِّ ما يفعلُه، ولا يوجَدُ خطأٌ في ما يفعلُه سبحانه، إِنما خلْقه وفعلُه حقٌّ وصواب!

وكلُّ مَنْ نَسَبَ إِلى اللهِ النَّدَمَ والأَسَف، والخطأَ والجهلَ، فهو كافرٌ باللهِ سبحانه.

ما هو الحلُّ عندَ الأَحبارِ لإِصلاحِ خطأ الربِّ الذي أَوجدَ عندَه النَّدَم؟

الحلُّ هو أَنْ يَمحوَ الناسَ عن وجْهِ الأَرض، ويُطهِّرَ الأَرضَ من شرورِهم، ويَمحوَ معهم جميعَ المخلوقاتِ الحيةِ من البهائمِ والدوابِّ والطيورِ وغيرِها!

ولماذا يمحو الحيواناتِ؟ وما هو ذَنْبُها؟ إِنها غيرُ مُكَلَّفَةٍ حتى يُتَصَوَّرَ منها الذنب! إِنَّ الربَّ يُريدُ أَنْ يُعاقِبَ عقوبةً جماعية، تَشملُ المحسنَ والمسيء، والمكلَّفَ وغيرَ المكَلَّف!

وإِنَّنا نُنَزِّهُ اللهَ عن الخطأ والجهل، وعن الأَسفِ والنَّدَم، وعن الظلمِ والبغيِ والعدوان، ونَنفي عنه ما أَثبتَه له الأَحبار!

وصف الأَحبار لسفينة نوح:

بدأَ الأَحبارُ حديثَهم عن الطوفانِ بالحديثِ عن نوحٍ عليه السلام، حيثُ زَعَموا أَنَّ له ثلاثةَ أَبناء، قالوا: «وَوَلَدَ نوحٌ ثلاثَةَ بنين، هم سامٌ وحامٌ ويافِث..». [التكوين٦ : ١٠].

وهذا الزعْمُ لا دليلَ للأَحبار عليه، ونحنُ نتوقَّفُ في هذا الكلام، لا نُصدِّقُه ونعتمدُه، ولا نُكَذِّبُه ونَنْفيه، ونَقول: اللهُ أَعلم، ولم يَرِدْ في القرآنِ والسنةِ الصحيحةِ ذِكْرٌ لعددِ أَبناءِ نوحٍ عليه السلام، ولا أَسماءٌ لهؤلاءِ الأَبناء..

ويبدو أَنَّ المؤَرِّخين اعتمدوا على هذا الكلامِ الإسرائيلي، فاعْتَبروا البشريةَ متولِّدَةً من أَبناءِ نوحٍ الثلاثة، وفي مقدمتِهم الساميّون أَبناءُ سامٍ بن نوح، ولكنَّ هذا كلامٌ نتوقَّفُ فيه، لعدمِ وجودِ دليلٍ عليه كما قلْنا.

ولما تحدَّثَ الأَحبارُ عن سفينةِ نوحٍ كانوا حريصينَ على ذكْرِ تَفصيلاتٍ لا دليلَ عليها، ولا داعيَ لها.

قالوا: «قالَ اللهُ لنوحٍ: جاءَتْ نهايةُ كُلِّ بَشَرٍ، فالأَرضُ امتلأَتْ عُنْفاً على أَيْديهم، وها أنا مُهلكُهم على الأَرض.

فاصنعْ لك سفينةً من خشبِ السِّرْو، واجعَلْها غُرَفاً ومساكِن، واطْلِها بالغارِ من داخلٍ ومن خارج، وليكُنْ طولُها ثلاثمائةِ ذراع، وعرضُها خمسين ذراعاً، وارتفاعُها ثلاثين ذراعاً، واجعَلْ بابَ السفينةِ في جانبِها، واجعلْ نافذةً للسفينةِ يكون بينَها وبين السقْفِ ذراعٌ واحدة، وليكُنْ في السفينةِ طبقات، سُفْلى ووُسْطى وعُلْيا..». [التكوين٦: ١٣-١٦].

إِنَّ الأَحبارَ يَصِفونَ السفينَة وكأَنهم كانوا راكبين فيها، فَمَنْ أَدْراهم بطولِها وعرضِها وارتفاعِها وأَبوابِها ونوافذِها؟ إِنَّ هذا الوصْفَ وفْقَ طريقتِهم في صياغةِ الأَسْفار، القائمةِ على إِيرادِ التفاصيلِ الهامشية، التي لا دليلَ عليها، ولا فائدةَ منها!!

ولما أَخْبَرَ القرآنُ عن مادةِ صنعِ سفينةِ نوحٍ عليه السلام اكْتفى بإِشارةٍ

مجملَة قال تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر: ١٣].

الأَلواحُ هي الأَلواحُ الخشبية، والدُّسُرُ هي المساميرُ التي تُثَبِّتُ الأَخشاب، فسفينةُ نوحٍ عليه السلام كانت أَخشاباً مُثَبَّتَةً وموصولةً بمسامير، أَما طولُها وعرضُها وارتفاعُها فاللهُ أَعلمُ به!

حديث الأحبار عن ركاب السفينة:

وَقَعَ الأَحبارُ في أَخطاءَ عديدةٍ أَثناءَ حديثِهم عن ركابِ السفينة، قالوا: «قال اللهُ لنوح: ادخُل السَّفينةَ، أَنتَ وجميعُ أَهلِ بيتِك، لأَنّي رأيتُك أَنك وحْدَكَ صالحٌ في هذا الجيل، وخُذْ معك من جميعِ البهائمِ الطاهرة، سبعةً سبعة، ذكوراً وإِناثاً، ومن البهائمِ غيرِ الطاهرة اثْنَيْن، ذَكَراً وأُنثى، ومن طيورِ السماءِ سبعةً سبعةً، ذكوراً وإِناثاً، ليَحيا النسلُ على وجْهِ الأَرضِ كُلِّها .. فبعدَ سبعةِ أَيامٍ سأُمْطِرُ على الأَرضِ أَربعينَ يوماً وأَربعينَ ليلة، فأَمحو كُلَّ كائنٍ صنعْتُه عن وجْهِ الأَرض .. فعملَ نوحٌ بكلِّ ما أَوصاهُ الرَّبّ.

.. ودَخَلَ نوحٌ السفينة، هو وبَنوه وامرأَتُه ونسوةُ بَنيه معه، هَرَباً من مياهِ الطوفان .. ومن البهائمِ الطاهرةِ وغيرِ الطاهرة، ومن الطيورِ وجميعِ ما يدبُّ على الأَرض، دخلَ السفينة مع نوحٍ اثْنان اثْنان، ذُكوراً وإِناثاً، وبَعدَ سبعةِ أَيامٍ كانتْ مياهُ الطوفانِ على الأَرض.

وفي السنةِ السِّتِّ مائةٍ من عُمْرِ نوح، في الشهرِ الثاني، في اليوم السابع

عشر منه، في ذلك اليومِ تفجرتْ ينابيعُ الغَمْرِ العظيم، وتَفَتَّحَتْ كُوى السَّماء..

وفي ذلك اليومِ نفسِه، دخلَ نوحٌ السفينة، هو وسامٌ وحامٌ ويافثُ بنوه، وامرأَةُ نوح، وثلاثُ نِسوةِ بَنيه معهم، هم وجميعُ الوحوشِ بأَصنافِها، وجميعُ البهائمِ بأصنافها، وجميعُ الحيواناتِ بأَصْنافها..

وأَغلقَ الربُّ على نوح بابَ السفينة». [التكوين٧: ١-١٦].

ملاحظات على حديث الأحبار:

وعندما ننظرُ في هذه الروايةِ الإِسرائيليةِ بالمنظارِ القرآني فسوفَ نسجلُ عليها الملاحظاتِ التالية:

١-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ قالَ لنوحٍ عليه السلام: إِني رأيتُ أَنك وحدَك صالحٌ في هذا الجيل! ومعنى هذا أَنه كان هو المؤمنَ باللهِ وحْدَه، ولم يؤمنْ باللهِ غيرُه.

وهذا مردود، فقد ذَكَرَ القرآنُ أَنه آمنَ معه بعضٌ من قومِه، هم قلائل صحيح، لكنه لم يكنْ مؤمناً وحْدَه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠].

٢-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ اللهَ قَسَّمَ البهائمَ إلى قسْمَيْن: البهائمُ الطاهرة، يأخذُ منها سبعةً سبعة، والبهائمُ غيرُ الطاهرة، يأْخذُ منها اثنَيْن اثنَيْن.

وهذا تقسيمٌ لا دليلَ لهم عليه، وإلاّ فما معنى أَنْ يأخذَ من الطاهرةِ سبعةً ومن غيرِ الطاهرة اثنين؟ إذا كانَ المرادُ حفظَ النسلِ فيكفي من كلِّ صنفٍ زوجَيْنِ اثنَيْن، ذَكَراً وأُنثى، وحَمْلُ السبعةِ من البهائمِ الطاهرة لا معنى له، ولا دليلَ عليه.

وقد ذكرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ أَمَرَ نوحاً عليه السلام أَنْ يَحملَ في سفينتِه زوجَيْن اثنَيْن من كلٍّ ما هو موجودٌ على الأَرض، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [هود: ٤٠].

والتنوينُ في كلمةِ: «كُلٍّ» يُسمّى تنوينَ العِوَض، وهو عِوضٌ عن كلمةٍ مُقَدَّرَة، هي المضافُ إليه، والتقدير: من كلِّ حَيٍّ. أو: من كلِّ موجود، وتدلُّ كلمة: «زوجين اثنين» على أنه حَمَلَ ذَكَراً وأُنثى من المخلوقاتِ الحية، وذلك لأَنَّ الطوفانَ سَيَقْضي على كلِّ الأَحياءِ على وجْهِ الأَرض، ولن ينجوَ إلاّ مَنْ كانوا في السفينة.

٣-حَدَّدَ الأَحبارُ -كعادتِهم في الجرأةِ على الزعمِ والافتراض- اليومَ والشهرَ والسنَةَ التي وَقَعَ فيها الطوفان، فقد كانَ في اليومِ السابعِ عشر، من الشهرِ الثاني، من السنةِ الستمائةِ من عمر نوح!

وكأَنَّهم كانوا مع نوحٍ عليه السلام في السفينة، وأَرَّخوا يومَ وقوعِ الطوفان! ولا دليلَ لهم على ذلك التحديدِ والتأريخ!

٤-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الطوفانَ وقعَ ونوحٌ في السنةِ السِّتِّمائةٍ من عمره! وهذا زعمٌ باطلٌ يُكَذِّبُه القرآن.

لقد أَخبرَ القرآنَ أَنَّ نوحاً عليه السلام بقيَ يَدْعو قومَه إلى اللهِ أَلْفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

ولا نَدري كم كان عمرُه عندما جعلَهُ اللهُ نبياً، وهذا معناهُ أَنَّ الطوفانَ وقعَ وعمرُ نوحٍ يَزيدُ على تسعِمائةٍ وخمسين عاماً، فكلامُ الأَحبارِ خطأ، لأَنه يَتَعارضُ مع ما قرّرَه القرآن!

ركاب السفينة بين التصنيف العشائري والإيماني:

٥-كان تصنيفُ الأَحبارِ لركابِ السفينةِ تَصْنيفاً عشائِرِيّاً نَسَبِيّاً، وليس تَصنيفاً إِيمانيّاً، فالإِيمانُ لا اعتبارَ له عند روايةِ الأَحبارِ لأَحداثِ التاريخ، إِنما المعتبرُ عندهم هو البعدُ القوميُّ والقبليُّ والعشائريُّ والنَّسَبي!

فعندما اقتربَ موعدُ الطوفان، أَمَرَ الله نوحاً أَنْ يحملَ معه في السفينةِ كلَّ أَهلِ بيتِه، سواءٌ كانوا مؤمنين أو كافرين!

قالوا: «وفي ذلكَ اليومِ دخلَ نوحٌ السفينة، هو وامرأَتُه وبَنوه سامٌ وحامٌ ويافث، وثلاثُ نسوةِ بَنيه».

وكانَ تصنيفُ القرآنِ لركابِ السينةِ تصنيفاً إِيمانياً، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠].

لم يَركب السفينةَ من البشرِ إلاَ المؤمنون، وهؤلاء المؤمنون هم: نوحٌ عليه السلام، وأَهلُه المؤمنون، والمؤمنونَ من قومِه.

وصَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ امرأَتَه كانت كافرة، فهي لم تركبْ معه السفينة، وإِنما هلكتْ مع الهالكين، وهذا تكذيبٌ صريحٌ للأَحْبار، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠].

وصَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ أَحَدَ أَبناءِ نوحٍ كان كافراً، ولذلك لم يُرْكِبْهُ نوحٌ معه

السفينة، وكانَ من المغرقين، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٣].

ولما سألَ نوحٌ عليه السلام ربَّه عن ابنِه، أخبره اللهُ أنه ليس من أهلِه، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ [هود: ٤٥-٤٦].

فكيفَ يزعمُ الأحبارُ أنَّ نوحاً حَمَلَ بَنيه الثلاثة؟ وها هو أَحَدُهم كافرٌ غارقٌ بنصِّ القرآن!

نقض كلام الأحبار حول الطوفان:

٦- زَعَمَ الأحبارُ أنَّ الطوفانَ كانَ بسببِ تَفَجُّرِ الغَمْرِ العظيمِ في السماء، وهو مياهٌ عظيمةٌ جعلَها اللهُ فوقَ السماءِ وتحتَها، وذَكَروا ذلك في الإصحاحِ الأوَّل مِن سِفْر التكوين: «وقال الله: لِيَكُنْ جَلَدٌ في وسَطِ المياه، ولِيكنْ فاصِلاً بين مياهٍ ومياه، فكانَ كذلك، وصَنَعَ اللهُ الجَلَدَ، وفَصَلَ بين المياهِ التي تَحتَ الجَلَدِ، والمياهِ التي فوقَ الجَلَد، وسَمّى اللهُ الجَلَدَ سَماءً». [التكوين١: ٦-٨].

وقد سبق أَنْ ناقَشْنا هذه الخرافةَ، وبيَّنّا خطَأَها وتَعارُضَها مع القرآن.

وهنا عادُوا وزَعَمُوا أَنَّ سببَ الطوفانِ هو تَفَجُّرُ ذلك الغَمْرِ من المياهِ الذي فوقَ السماءِ وتحتَها.

وقد كَذَّبَهم القرآن، حيثُ ذَكَرَ أَنَّ الطوفانَ نَتَجَ عن ماءِ المطَرِ النازلِ من السماء، وماءِ العيونِ المتفجرةِ من الأَرض، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١١-١٢].

وأَضافَ القرآنُ معلومةً جديدة، وهي أَنَّ بَدْءَ الطوفانِ عندما فارَ التَّنّور، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠].

والتَّنّورُ هو الفُرْنُ الذي يُخْبَزُ فيه، وقد بَدَأَ الطوفانُ بفورانِ الماءِ من وسَطِه.

ومنْ خُرافاتِ الأَحبارِ حولَ الطوفانِ، زعْمُهم استمرارَ نزولِ مياهِ الغَمْرِ أَربعين يوماً، وارتفاعَ المياهِ فوقَ أَعلى قمةِ جَبَلٍ خمسةَ عَشَرَ ذراعاً، وبقاءَ الماءِ فوقَ الجبالِ مائةً وخمسينَ يوماً!!

قالوا: «وبقيَ الطوفانُ أَربعين يَوماً على الأَرض، فكَثُرَ الماء، وحَمَلَ الماءُ السفينة، فارتفعَتْ عن الأَرض، وتَعاظَمت المياه، وتَكاثَرَتْ على

الأَرض، فَسارَت السفينةُ على وَجْهَ الماء، وكَثُرت المياهُ جدّاً جدّاً على الأَرض، فتغطَّتْ جميعُ الجبالِ الشامخةِ التي تحتَ السمواتِ كلِّها، فارتفعت المياهُ خمسَ عشرةَ ذراعاً على الأَرض، وتَغَطَّت الجبال..

فهلكَ كلُّ ما لَه جَسَدٌ يَدُبُّ على الأَرض، من الطيرِ والبهائمِ والوحوش، وكُلُّ الزَّحافاتِ التي تَزحفُ على الأَرض، وجميعُ البَشَر .. وبقيَ نوحٌ والذينَ معه في السفينةِ وَحْدَهم .. وتَعاظمت المياهُ على الأَرض مدةَ مائةٍ وخمسين عاماً».

الأَحبارُ حريصون على المزاعمِ والافتراءات، وذكْرِ تفصيلاتٍ هامشية، لا فائدةَ منها أَوّلاً، ولا دليلَ عليها ثانياً، وموقفُنا منها هو التوقُّف، بلا تصديقٍ ولا تكذيب.

زَعَموا هنا أَنَّ الطوفانَ استمرَّ أَربعينَ يوماً وأَربعينَ ليلة، وأَنه ارتفعَ على أَعلى قمةِ جَبَلٍ -كجبلِ إفرست في جبال هملايا- خمسةَ عشرَ ذراعاً، وأَنَّ الماءَ استمرَّ مائةً وخمسين يوماً، وهذا كلُّه لا دليلَ عليه كما قلنا.

حديث الأَحبار عن انتهاء الطوفان:

تابعَ الأَحبارُ حديثَهم المفصَّلَ عن الطوفانِ وسفينةِ نوحٍ عليه السلام، وخَصَّصوا الإِصحاحَ الثامنَ لإِيرادِ تفصيلاتِ ذلك الحَدَث.

قالوا: «وتَذكَّرَ اللهُ نوحاً وجميعَ الوحوشِ والبهائمِ التي معه في السفينة، فأرسَلَ ريحاً على الأرض، فسَكَنت المياهُ وتناقَصَتْ، وانسدَّتْ يَنابيعُ الغَمْرِ ونوافذُ السَّماء، وتوقَّفَ نزولُ المطرِ من السماء، وتراجَعَت المياهُ على الأرضِ شيئاً فشيئاً، حتى نَقَصَتْ بعد مائةٍ وخمسين يوماً .. واستقرت السفينةُ في الشهرِ السابع، في اليومِ السابعِ عشر منه، على جبالِ أراراط، وكانت المياهُ لا تزالُ تَنقصُ إلى الشهرِ العاشر، حتى ظهرتْ رؤوسُ الجبالِ في أولِ يومٍ منه.

ولنا على هذا الكلام الملاحظاتُ التالية:

١ - إخبارُهم عن اللهِ بكلمةِ تَذكَّرَ لا يَجوز -الفعلُ في ترجمةِ الرهبانِ اليَسوعيّين ذَكَرَ وهو قَريبٌ من فعلِ تذكَّر في المعنى- لأنَّ التذكُّرَ لا يكونُ إلاّ بعدَ النسيان، يقال: نسيَ الرجلُ الشيءَ، ثم تذكَّرَه.

فقولُ الأَحبار: تَذكَّرَ اللهُ نوحاً .. معناه أَنه تركَهم في السفينة، ونسيَهم فترة، ثم تَذكَّرَهم بعد مائةٍ وخمسين يوماً، ولما تذكَّرَهم أَوقفَ الطوفان، وهذا معناهُ أَنه لو لم يتذكَّرْهم لبَقوا في السفينة!

ومعلومٌ أَنَّ اللهَ لا ينسى حتى يتذكَّر، لأَنَّ النسيانَ من عوارضِ الضعفِ البشريّ، واللهُ مُنَزَّهٌ عنه، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا

بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤].

٢-إخبارُهم أنَّ اللهَ أرسَل ريحاً على الأَرض، فسَكنت المياهُ ثم تناقَصَتْ ثم جَفَّتْ، لا دليلَ عليه، فهو زعمٌ من مزاعمهم.

وقالَ اللهُ عن انتهاء الطوفان: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [هود: ٤٤].

أَمَرَ اللهُ الأَرضَ أَنْ تبلعَ ماءَها بَلْعاً، فنفَّذَتْ أَمْرَه، وأَمَرَ السماءَ أَنْ تُقلِعَ، فنفَّذَتْ أَمْرَه، وانتهى الطوفانُ بسرعة، وغيض الماءُ، وتَسَرَّبَ إِلى باطنِ الأَرض، وقُضيَ الأمرُ، ونَفَّذَ اللهُ إرادَتَه.

وبما أَنَّ القرآنَ لم يتحدَّثْ عن الريحِ التي جَفَّفَتْ وجْهَ الأَرض فنتوقفُ نحن عن ذلك ولا نقولُ به.

٣-زعْمُهم أَنَّ مياهَ الطوفانِ بقيتْ تَغمُرُ الأرضِ مائةً وخمسين يوماً، لا دليلَ عليه، والأَمْرُ لا يَحتاجُ إِلى هذه الشهورِ الخمسة .. ويُشيرُ القرآنُ إِلى أَنَّ مياهَ الطوفانِ جَفَّتْ في وقتٍ قصير: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾.

أين استوت سفينة نوح؟

٤- حَدَّدَ الأَحبارُ زمانَ ومكانَ استقرارِ السفينة .. أَمَّا الزمانُ فهو زعمٌ وظَنٌّ، ليس عليه دَليل، وهو اليومُ السابعُ عشر من الشهرِ السابع، من السنةِ السِّتمائةِ من عمرِ نوحٍ عليه السلام، وقد بيَّنَّا خَطَأَهم في هذا قبلَ قليل.

وأَمَّا المكانُ فهو «جبالُ أَراراط»، وهي جبالٌ في منطقةِ أَرمينيا، على الحدودِ بينَ إِيران وتركيا وأَرمينيا.

وردَ في قاموسِ الكتابِ المقَدَّسِ عنها: «أَراراط: هذا اللفظُ العبريُّ مأخوذٌ من الأَصْلِ الأَكّادي (أُورارْطو)، وقد أُطلقَ هذا الاسمُ على بلادٍ جبلية، تقع شمالي أَشّور، على أَحَدِ جبالِها استقرَّتْ سفينةُ نوح، والقمةُ التي يُطْلَقُ عليها اليوم جبلُ أَراراط ترتفعُ إِلى (١٦٩١٦) قدماً فوقَ سطحِ البحر .. واسْمُها في التركية: أَغْرى داغ». [قاموس الكتاب المقدس: ٤٢].

وقد حَدَّدَ القرآنُ استواءَ السفينةِ على جَبَلِ الجودِيِّ، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

وجبلُ الجوديُّ غيرُ جبالِ أَراراط، فجبالُ أَراراط في منطقةِ أَرمينيا، في الشمال كما قلْنا، أَمّا الجوديُّ فإِنه شمالُ غربِ الموصل في العراق، ولا يَزالُ يُعْرَفُ بهذا الاسم حتى الآن.

هل أطلق نوح الغراب وحمامة السلام؟

ماذا جرى بعدَ انتهاءِ الطوفان، واستقرارِ السفينةِ على الجبل؟ يُتابعُ الأَحبارُ افتراضَ أَحداثٍ مفصَّلَة -كعادتِهم- ليسَ لهم عليها دليل!! قالوا: «وكان بعدَ أَربعين يوماً أَنْ فَتَحَ نوحٌ النافذةَ التي صنَعَها في السفينة، وأَرسلَ الغراب، فخرجَ الغُراب، وأَخَذَ يروحُ ويجيء، إلى أَنْ جَفَّت المياهُ عن الأَرض .. ثم أَطلقَ الحمامَة من عندِه، ليرى هل قَلَّت المياهُ عن وجْهِ الأَرض، فلم تجد الحمامةُ مُسْتَقَرًّا لرجْلِها، فرجَعَتْ إِليه، ومَدَّ نوحٌ يَدَه فأَمسكَها وأَدخلها إلى السفينة .. وانتظرَ سبعةَ أَيامٍ أُخرى، وعادَ فأَرسلَ الحمامةَ من جديد، فعادت الحمامةُ إليه في المساء، تحملُ في فَمِها ورقَة زيتونٍ خَضْراء! فعلمَ نوحٌ أَنَّ المياهَ قَلَّتْ عن الأَرض! وانتظرَ سبعةَ أَيامٍ أُخرى، ثم أَرسلَ الحمامةَ، فلم ترجعْ إِليه ..

وكان في سنةِ إِحدى وستِّ مائةٍ من عمرِ نوح، في اليومِ الأَوَّل من الشهرِ الأَول، أَنْ جَفَّت المياهُ عن الأَرض .. فرفعَ نوحٌ غطاءَ السفينةِ ونَظَر، فإِذا وجْهُ الأَرضِ قد جَفَّ .. وفي الشهرِ الثاني، في اليومِ السابعِ والعشرين منه يَبست الأَرض .. فخاطبَ الربُّ نوحاً قائلاً: اخرجْ من السفينة .. فخرجَ نوحٌ من السفينة، هو وامرأَتُه وبَنوه ونسوةُ بَنيه، وجميعُ الوحوشِ والحيواناتِ الدَّابَّةِ والطيور، وكلُّ ما يدبُّ على وجْهِ الأَرض..» [التكوين ٨: ٦-١٩].

يَصِفُ الأَحبارُ الأَحداثَ وكأَنهم كانوا راكِبين مع نوحٍ عليه السلام في السفينة!

إنَّ ما يَذكرونَه من تَفاصيلَ مزاعمٌ وادعاءاتٌ لا دَليلَ عليها، ولم يُنزلْها اللهُ عليهم، ولم يُخْبِر بها موسى عليه السلام.

يَزْعمونَ أَنَّ نوحاً عليه السلام أَرسلَ الغرابَ ليستطلعَ الأَمْر، فخرجَ ولم يَعُدْ، فدَعا عليه أَنْ لا يكونَ آمِناً بين الناس، ثم أَرسلَ الحمامة، فلمْ تَجدْ شيئاً تقفُ عليه، لأَنَّ المياهَ ما زالَتْ تُغَطِّي وَجْهَ الأَرض، فعادَتْ إِليه، وأَدخلَها السفينة .. وبعد سبعةِ أَيامٍ عادَ وأَرسلَ الحمامةَ من جديد، فوجدت المياهَ منحسرةً عن وجهِ الأَرض، ووَجدتْ شجرةَ زيتون، فوقَفَتْ عليها، وأَرادَتْ أَنْ تُقَدِّمَ لنوحٍ عليه السلام دليلاً على انحسارِ مياهِ الطوفانِ عن الشجرة، فَقَطَعَتْ ورقةَ زَيتون خضراء، وأَتَتْ بها نوحاً عليه السلام، فعرفَ أَنَّ الطوفانَ انتهى!

وأَخَذَ اليهودُ هذه الحادثةَ وجَعَلوها رمزاً للسلام، ورَسَموا للسلامِ حمامةً، وفي فَمِها غصنُ زيتون!

ونَشَرَ اليهودُ هذا الرمزَ اليهوديَّ في العالم، وصارت الحمامةُ وغصنُ الزيتونِ شِعاراً للسَّلام في العالم، وصارَ هذا من مظاهرِ تأَثُّرِ العالمِ بالثقافةِ اليهودية.

الرب يندم على الطوفان:

ماذا حصلَ بعد نزولِ نوحٍ ومَنْ معه مِن السفينة؟ وماذا فعلَ الربُّ بعدَ ذلك.

قالَ الأَحبار: «وبَنى نوحٌ مَذْبَحاً للرب، وأَخَذَ من جميعِ البهائمِ الطاهرةِ والطيورِ الطاهرة، فأَصعدَ مُحْرَقاتٍ على المذبح..

فَتَنَسَّمَ الربُّ رائحةَ الرِّضى، فقالَ في قلبه: لنْ أَعودَ إلى لَعْنِ الأَرضِ مرةً أُخرى بسببِ الإنسان، لأَنَّ ما يتصوَّرُه قلبُ الإنسانِ يَنْزَعُ إِلى الشَّرِّ منذُ حداثتِه، ولَنْ أَعودَ إلى إهلاكِ وضربِ كلِّ حيٍّ كما فعلت ..

وما دامت الأَرضُ باقية: فالزرعُ والحَصاد، والبَردُ والحَرُّ، والصيفُ والشتاء، والليلُ والنهار .. لا تَبْطُلُ أَبداً ..». [التكوين ٨: ٢٠-٢٢].

زعمَ الأَحبارُ أَنه أَولُ ما نزلَ نوحٌ عليه السلام من السفينةِ بنى مَذْبحاً للربِّ. والمذبحُ هو بناءٌ يُبنى على مكانٍ مرتفع، تُذْبَحُ عليه الذبائحُ لله، ثم تُحرقُ عليه تلك الذبائحُ لله، وتكونُ مُحْرَقات، وفي أَسفارِ العهدِ القديم تفصيلاتٌ دقيقةٌ مملَّةٌ لبناءِ المذابح، وكيفيةِ ذبحِ البهائمِ وحَرْقِها عليها!

وزعمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ رضيَ عندما رأى المحْرَقاتِ تُحْرَقُ، وأَعلنَ نَدَمَه على إغراقِه الأَرضَ بالطوفان، وتعهَّدَ بعدمِ العودةِ إلى ذلك!

ملاحظتان على كلام الأحبار:

ولنا على كلامهم هاتان الملاحظتان:

الأولى: زعْمُهم أَنَّ الربَّ تَنَسَّمَ رائحةَ الرضى، عندما رأى الذبيحة تُحرَقُ على المذبح، وشمَّ رائحةَ اللحمِ المشويّ، وليست هذه المرةَ الأَخيرة التي يزعمونَ فيها أَنَّ غضبَ الربِّ يزولُ عندما يشمُّ رائحةَ اللحمِ المشويّ! فهناك مواضعُ عديدةٌ في أَسفارِ العهدِ القديم يزعمُ فيها الأَحبارُ هذا الزعم، وكانوا يذكرونَ أَنَّ أَنبياءَ بني إِسرائيلَ يَعرفونَ هذا من الربِّ، فعندما يرونَه غاضباً، يُسارعونَ إِلى ذبحِ الذبيحةِ وحرقِها، وعندما يشمُّ اللحمَ المشويَّ يزولُ غضبُه!

وهذا كفْرٌ من الأَحبارِ في الحديثِ عن الله، لأَنه وصْفٌ له بصفاتِ البَشَر، إِنه يَشُمُّ اللحمَ المشويَّ ويُحبُّه، ويزولُ غضبُه عندما يشمُّه، ويتنسَّمُ رائحةَ الرضى بعدَ ذلك، ويَفرحُ ويَهدأُ! .. إِنَّ الأَحبارَ في هذا الكلامِ يتكلَّمون عن إِنسانٍ ضعيف، وليسَ عن ربِّ العالمين الموصوفِ بصفاتِ الجلالِ والكمال!!

الثانية: زعْمُ الأَحبارِ أَنَّ الرَّبّ نَدِمَ لأَنَّه أَحدثَ الطوفانَ وأَغرقَ الأَرض، بسببِ شرورِ الإِنسان، وتَعَهَّدَ بعدمِ العودةِ إِلى ذلك مرةً ثانية!!

وهذا كفرٌ آخرُ من الأَحبارِ بالله، لأَنهم يَصِفونَ اللهَ بصفاتِ البَشَر،

ويتَّهمونَه بالجَهْل، والتراجعِ عن عملِه الذي عملَه، والاعترافِ بالخطأ، والتعهدِ بعدمِ تكرارِ ذلك الفعل مرةً أُخرى، والندمِ على ذلك الفعل.

وليستْ هذه المرةَ الوحيدةَ التي يتحدَّثون فيها عن اللهِ بهذا الأُسلوب فهم حَريصون على أَنْ يَصِفوا اللهَ بهذه الصفاتِ، التي لا تَصدرُ إلا عن فاسدي البَشَر.

ونحنُ المسلمون نُثبتُ للهِ صفاتِ الكمالِ والجَلال، فهو عليمٌ مريدٌ حكيم، يَعلمُ كلَّ شيء، وهو حكيمٌ في ما يفعلُه، لأَنه ناتجٌ عن علْمِه وإِرادتِه، فلا خطأَ في أَيِّ فعْلٍ من الله! ولذلك هو سبحانه لا يَندمُ على أَيِّ فعل، ولا يتراجعُ عنه، ولا يتعهَّدُ بعدمِ فعْلِه، والأَحبارُ كافرون عندما قالوا عن الله ما قالوا!!

تفسير كافر لقوس قزح:

أَفسدَ الأَحبارُ كلَّ شيء، وفسَّروا معظمَ الظواهرِ تفسيراً كُفْرِيّاً، وأَساءوا إِلى اللهِ من خلال الحديثِ عنها!

من الظواهرِ الطبيعيةِ ظاهرةُ قوسِ قُزَح، التي تَظهرُ عند انعكاسِ أَشعةِ الشمس مختلفةِ الأَلوانِ على قَطرات المطرِ النازلةِ على الأَرض، فَيَراها الناسُ قَوْساً، له عدةُ أَلوان، منها الأَحمرُ والأَصفرُ والأَخضرُ والبُنِّيُّ وغير ذلك.

هذه الظاهرةُ الطبيعيةُ فَسَّرَها الأَحبارُ تفسيراً كافراً مُسيئاً للهِ سبحانه .. قالوا: «وقالَ الله لنوحٍ وبَنيه .. وأُقيمُ عَهْدي معكم، فكلُّ ذي جَسَدٍ لا يَنقرضُ بعدَ اليومِ بمياهِ الطوفان، ولا يكونُ بعدَ اليومِ طوفانٌ لِيُتْلِفَ الأَرض!

وقالَ اللهِ: هذه علامةُ العهدِ الذي أُقيمُه بيني وبينَكم، وبينَ كُلِّ ذي نفسٍ حيةٍ معكم مدى الأَجيالِ للأَبَد..

قوسُ قُزَحٍ قَوْسي، جعلتُها في الغمامِ والسَّحاب، لتكونَ علامةَ عَهْدي بيني وبين الأَرض .. فإِذا غَيَّمْتُ على الأَرض، وظهرت القوسُ في الغَمام، ذكرتُ عهدي الذي بيني وبينَكم، وبيني وبينَ كُلِّ نفسٍ حيةٍ في كلِّ جَسَد، فلا تكونُ المياهُ بعدَ اليوم طوفاناً يُهْلِكُ كُلَّ جَسَدٍ حَيّ .. وتكونُ القوسُ في السحاب، فإِذا رأَيْتُها تذكرتُ العهدَ الأَبديَّ بين اللهِ وبينَ كُلِّ نفسٍ حيةٍ على الأَرض ..». [التكوين ٩: ١١-١٦].

يتهمُ الأَحبارُ الربَّ في علْمِه وحكمتِه وتقديرِه، فهو لا يُحسنُ التقديرَ والتَّدْبير!

إِنه يَعترفُ بخطئِه في زيادةِ كميةِ المياهِ الساقطةِ على الأَرض زيادةً كبيرة، مما جعلَها تُسَبِّبُ طوفاناً، يرتفعُ فوقَ قمةِ أَعلى جبلٍ خمسةَ عَشَرَ ذراعاً، وتُدَمِّرُ كلَّ ما على الأَرض، وقد تعهَّدَ الربُّ لنوحٍ وبَنيه أَنْ لا يَعودَ لذلك مرةً ثانية.

ولكن ماذا يَفعل؟ هل يوقفُ المطرَ عن الأَرضِ نهائياً؟ إنَّ هذا غيرُ ممكن، لأَنَّ الحياةَ على الأَرضِ تَحتاجُ إلى الأمطار، حياةَ الإنسانِ والحيوانِ والنبات .. ويخشى الربُّ أَنْ يَنسى تعهُّدَهُ لأهلِ الأَرض، وأَنْ ينسى إنزالَ الماءِ بالمقدارِ المحدَّد، يَخشى أَنْ يتركَ الماءَ ينزلُ بغزارةٍ ليشكِّلَ طوفاناً.

الحلُّ عند الربِّ أَنْ يجعلَ له قوساً ملوَّنَةً بعدةِ أَلوان، وأَنْ يجعلَ هذه القوسَ في السحابِ عند نزولِ الأَمطار، فإذا رأى الربُّ قوسَه، تذكَّرَ تعهدَه بعدمِ تكرارِ الطوفان، فأنزلَ كميةً محددةً من المطر على الأَرض!

من هو هذا الربُّ الذي يتحدثُ عنه الأَحبار، الذي يخشى أَنْ ينسى، فيضعُ علامةً في السحابِ ليتذكَّر؟ أَينَ علْمُه وحكمتُه، وقدرتُه وإرادتُه؟

وخَيْرُ ما يُرَدُّ به على هذا الكفرِ اليهوديِّ قولُه تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقولُه تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٨].

الآباء بين نوح وإبراهيم

خَصَّصَ الأَحبارُ ثلاثةَ إِصحاحات -التاسعَ والعاشرَ والحادي عشر- للحديثِ عن الفترةِ الزمنيةِ بين نوحٍ وإِبراهيمَ عليهما السلام، والآباءِ الذين كانوا في هذه الفترة.

ووقعَ الأَحبارُ في أَخطاء عديدةٍ في حديثِهم عن هذه الفترة، وفي ما يلي إِجمالُ القولِ في تلك الأَخطاء.

اتهامهم لنوح بشرب الخمر والسكر وكشف العورة:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنه نَزَلَ مع نوحٍ من السفينةِ أَبناؤُه الثلاثة: سامٌ وحامٌ ويافث. وقد سبقَ أَنْ تحفَّظْنا على أَسمائِهم وعددِهم، لأَنَّ العلْمَ بأَسمائِهم وتفاصيلِ حياتهم خاصٌّ بالله.

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ نوحاً عليه السلام اشتغلَ في الزراعةِ والحرث، وأَنه زرعَ العنب، وشربَ الخمر وسَكِر، وانكشفَتْ عورتُه!

قالوا: «وكان نوحٌ أَوَّلَ فلاحٍ غرسَ كَرْماً، وشربَ نوحٌ من الخمر، فسَكِرَ وتَعَرّى في خيمته!!

فرأى حامٌ أَبو كنعان عورةَ أَبيه، فأَخبرَ أَخَوَيْه وهما في خارجِ الخيمة، فأَخَذَ سامٌ ويافثُ الرداء، وجَعَلاه على كتفَيْهما، ومَشَيا به إِلى الوراء، فغطَّيا

عورةَ أَبيهما، ووجْهاهما إلى الجهةِ الأُخرى، فما أَبْصَرا عورةَ أَبيهما..

فلما أَفاقَ نوحٌ من سُكْرِه علمَ ما فعَلَ به ابنُه الصغيرُ، فقال: ملعونٌ كَنْعان! وقال: مُبارَكٌ الربُّ إلهُ سامٍ، ولْيكنْ كنعانُ عَبْداً له! لِيوسِعِ اللهُ ليافِث، ولْيسكنْ في خيامِ سام، ولْيكنْ كنعانُ عبداً له!

وعاشَ نوحٌ بعدَ الطوفانِ ثلاثَمائة وخمسين سنة، فكانت كلُّ أيامِ نوحٍ تسعَمائةٍ وخمسين سنة، ومات..». [التكوين ٩: ٢٠-٢٩].

من أخطائهم في كلامهم عن نوح:

وقد وقعَ الأَحبارُ في هذه الروايةِ في الأَخطاءِ التالية:

١-زَعْمُهم أَنَّ نوحاً كانَ أَوَّلَ فَلاَّحٍ زرعَ عِنَباً، وأَنَّ العنبَ لم يُزرعْ قبلَ نوح، وهذا كلامٌ ليس عليه دليلٌ صحيح، فلا نقولُ به، والعلمُ به خاصٌّ بالله تعالى.

٢-بما أَنَّ نوحاً هو أَولُ زارعٍ للعنب، فهو أَولُ شاربٍ للخمر، على زعمِ الأَحبار! حيثُ زعموا أَنه شربَ الخمر، حتى سَكِرَ وذَهَبَ عقلُه، ولم يَشعر بما يحدثُ معه!

وهذا كفرٌ وضلالٌ من الأَحبار، ومن المعلومِ المقطوعِ به أَنهم اتَّهموا نوحاً بذلك بدونِ دليل، لأَنه لا دليلَ على أَنَّ رسولَ اللهِ الكريمَ نوحاً عليه

السلام شربَ الخمرَ وسَكِر، ونشهدُ أَنَّ هذا الكلامَ الباطلَ لم يُنزلْه اللهُ على موسى عليه السلام، وإنما هو من أَكاذيبِ وافتراءاتِ الأَحبارِ اليهود.

الأَنبياءُ والرسلُ عند المسلمين مَعْصومون محفوظون، يَعصمهم اللهُ من الوقوعِ في الذنوبِ والمعاصي، ولا يَجعلُ للشيطانِ سلطاناً عليهم .. وهؤلاء الأَنبياءُ والرسُل عند اليهودِ أَدنى درجةً من عُصاةِ وفُسّاقِ الناس!!

٣-نَسَبَ الأَحبارُ إلى نوحٍ نقيصةً أُخرى، مبنيةً على المعصيةِ السابقة، وهي كشفُ العورة. وهذا كذبٌ وافتراءٌ منهم، يتنزَّه عنه الرسولُ نوحٌ عليه السلام، لقد جعلَ اللهُ أَنبياءَه ورسلَه في أَرفعِ مقام، وأَعلى منزلة، ولذلك صانَهم عن كلِّ مذمَّةٍ أَو نقيصة.

ولكنَّ الأَحبارَ لا يُقَدِّرونَ الرسلَ قَدْرَهم، ويَحرصون على إنقاصِهم وذمِّهم وتشويهِ صورتِهم أَمامَ الناس.

٤-في الوقْتِ الذي حرصَ فيه الأَحبارُ على الثناءِ على ابْنَيْ نوحٍ سامٍ ويافث، لاحترامِهما لمقامِ أَبيهما، السكرانِ المتَعرّي، فقدْ أَدانا ابْنَهُ الثالثَ حاماً، لأَنه لم يَحترمْ أَباه، ولم يتأَدَّبْ معَه، ولم يُسارعْ إلى سترِ عورتِه، وبما أَنَّ أَساسَ الحادثةِ كذب، فما نتجَ عنها كذبٌ يهوديٌّ أَيضاً، فنوحٌ عليه السلام لم يَشرب الخمر، ولم يَسكَر، ومن ثم لم يذهبْ عقلُه، ولم تنكشفْ عورتُه!

٥-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ نوحاً عليه السلام «لَعّانٌ»، وأَنه لَعَنَ مَنْ لا يستحقُّ اللعنةَ، وهو حفيدُه كنعان، ونحنُ نعلمُ أَنَّ رسلَ اللهِ ليسوا سَبّابينَ ولا لَعّانين، ولا فاحشينَ بَذيئي الأَلْسنة، وأَنهم لم يَلْعَنوا إلاّ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ من الكافرين والكاذبين والظالمين، وبما أَنَّ الحادثَة كلَّها لم تَحدثْ فلعنةُ نوحٍ لكنعانَ لم تحدثْ!

لماذا لعن كنعان؟

٦-لَعْنُ نوحٍ لحفيدِه كنعان ظُلْمٌ له، لأَنَّ كنعانَ لم يُخطئْ مع جَدِّه، إنَّ الذي أَخطأَ معه هو ابنُه حامٌ -على حَدِّ زعمِ الأَحبار- وإِذا كانت هناك عقوبةٌ أَو لعنةٌ فلْتُوَجَّهْ للمخطئ، وليسَ للبريء!

٧-الأَحبارُ كاذبونَ مُفْتَرون، يَكْذِبون الكِذْبَة، ثم يَجعلونَها تاريخاً، فالتاريخُ الذي يُسجلونَه في أَسفارِ العهدِ القديمِ مُخْتَلَقٌ مَصْنوع، والرواياتُ التي يورِدونَها لم تَقَعْ!!

أَرادَ الأَحبارُ أَنْ يَذُمّوا خصومَهم الكنعانيِّين، الذين زاحَموهم في الأَرضِ المقَدَّسة، أَرضِ كنعان -فلسطين فيما بَعْد- فَجَعلوهم مَلْعونين منذُ عدةِ قرون، عبيداً أَذلاءَ من قديمِ الزمان!

اصطنعَ الأَحبارُ حادثةَ سُكْرِ نوحٍ وتَعَرِّيه واخْتَلَقوها، لِيَجْعَلوا لَعْنَ وذُلَّ واستعبادَ الكنعانيِّين، مستمرٌّ عليهم، منذُ جَدِّهم الأَوَّلِ كنعانَ بنِ حامٍ

ابن نوح، فإذا كان الرسولُ نوحٌ لَعَنَ حفيدَه كنعانَ -بدون ذنبٍ ارتكبه- فقد استجابَ اللهُ له، ولعنَ ذريتَه، وجعلَهم عبيداً لذريةِ أَخَوَيْهِ سامٍ ويافث.

يُريدُ الأَحبارُ الكاذبون أَنْ يَصِلوا إِلى نتيجة، وهي أَنهم هم أَبناءُ سامٍ المبارَك، الذي باركَه الرب، فهم السادة، والكنعانيونَ في أَرضِ كنعانَ هم أبناءُ كنعانَ الملعونِ العبدِ، فهم ملعونونَ بلعنةِ الله، وهم عبيدٌ أَذِلاءُ أَمامَ السادةِ الساميّين اليهود!!

أَرأَيتم كيفَ يُزَوِّرُ الأَحبارُ التاريخَ الماضي، ويَخْتَلِقون أَحداثاً لم تقع، ويُوَظِّفونها شهوداً تاريخيّين لهم!!

٨-نتحفَّظُ على عمرِ نوحٍ عليه السلام الذي ذكَرَه الأَحبارُ، حيثُ زَعموا أَنه عاش تسعَمائةٍ وخمسين سنة! ستَّمائةٍ قبلَ الطوفان، وثلاثمائةٍ وخمسين سنةً بعد الطوفان، وهذا كلامٌ مردود.

لقد صرحَ القرآنُ أَنَّ نوحاً عليه السلام لبثَ في قومِه داعياً إِلى اللهِ أَلْفَ سنةٍ إِلا خمسين عاماً. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

ولا ندري كم كانَ عمرُه عندما جعلَه اللهُ نبياً، كما أَننا لا ندري كم سنةً عاشَ بعد الطوفان، فاللهُ أَعلمُ بذلك!!

أسطورة برج بابل:

خصَّصَ الأَحبارُ الإِصحاحَ العاشرَ من سِفْرِ التكوينِ لذكْرِ ذريةِ أَبناءِ نوحٍ الثلاثة، سامٍ وحامٍ ويافث، وتقسيمِ الأَرضِ عليهم، بذكْرِ البلدانِ التي توجَّهَ كلٌّ منهم إليها، ولا يَعنينا هذا الإِصحاحُ، لأَنه عمليةٌ جغرافيةٌ توريثيَّة! لكنَّ كلَّ ما ذكَروه في الإِصحاحِ قائمٌ على الزعمِ والادّعاء، لأَنهم لا يملكونَ دَليلاً معتمداً على هذا التوزيعِ والتقسيمِ والتوريثِ والانتشار!

وبدأَ الأَحبارُ الإِصحاحُ الحاديَ عشر بأُسطورةِ برجِ بابل، وهي أُسطورةٌ كفريةٌ خطيرة، جعَلوها حلقةً من سلسلةِ الصراعِ بين الإِنسانِ والرَّبّ، التي تحدَّثوا عنها كثيراً في العهدِ القديم، وسَجَّلوا فيها استمرارَ خوفِ الربِّ من الإِنسانِ الذي خَلَقَه، واستمرارَ عقابِه حتى لا يتغلَّبَ عليه!

قالوا: «وكانت الأَرضُ كلُّها لغةً واحدةً وكلاماً واحداً، وكان أَنّهم لما رَحَلوا من المشرقِ، وَجَدوا سَهْلاً في أَرضِ شِنْعار، فأَقاموا هناك، وقالَ بعضُهم لبعض: تَعالوا نَصْنَعْ لَبِناً، ولْنَحْرِقْهُ حَرْقاً، وكانَ لهم اللَّبِنُ بدلَ الحجارة، والحُمَرُ بَدَلَ الطّين .. وقالوا: تَعالوا نَبْنِ لنا مدينةً وبُرْجاً، رأَسُه في السَّماءِ، ونُقِم لنا اسْماً كي لا نَتَفرَّقَ على وجْهِ الأَرضِ كلِّها..

فنزلَ الربُّ ليرَى المدينةَ والبرجَ اللَّذيْن بَناهما بنو آدم .. وقالَ الربُّ: هو ذا شعبٌ واحد، ولجميعِهم لغةٌ واحدة، وهذا ما أَخذوا يَفعلونَه، والآنَ لا

يكفُّون عَمَّا هَمّوا به حتى يَصْنَعوه .. فلْننزلْ ونُبلبلْ هناك لغَتَهم، حتى لا يَفهمَ بعضُهم لغةَ بعض! ففرَّقَهم الربُّ من هناك على وجْهِ الأَرضِ كلِّها، فكَفّوا عن بناءِ المدينة .. ولذلك سُمِّيَتْ بابل، لأَنَّ الرَّبَّ هناك بَلْبَلَ لغةَ الأَرضِ كُلِّها .. ومن هناك فرَّقَهم على وجْهِ الأَرضِ كلِّها .. »[التكوين١١: ١-٩].

إِنها أُسطورةٌ خرافية، لَعَلَّ الأَحبارَ أَخَذوها مِن أَساطيرِ البابليّين أَو الفرسِ أَو غيرهم، وسَجَّلوها في أَسفارهم، وزَعَموا زوراً أَنَّ الربَّ أَنزلَها عليهم.

تفسير خرافي كافر لنشأة اللغات:

زعموا أَن الناس كانوا يتكلمون لغةً واحدة، ولم يُحَدَّدوا تلك اللغة، هل هي العربيةُ أَو العبريةُ أَو الفارسيةُ أَو غيرُها .. ولم يُحَدِّدوا الزمنَ الذي تكلَّموا فيه اللغةَ الواحدة، هل هو قبلَ نوحٍ أَو بعدَه؟ فهذا زعمٌ يهوديٌّ ليس عليه دليل.

وزَعَموا أَنَّ الناسَ أَرادوا بناءَ مدينةٍ تجمعُهم، ليَبْقَوا مُتَّحدين، وبناءَ برجٍ عالٍ، رأْسُه في السماء .. وزعموا أَنَّ الناسَ بَدَأُوا ببناءِ المدينةِ والبرج، من اللِّبِن والحُمَرِ، والحُمَرُ هو القَارُ أَو الزِّفْتُ، وهو من مخلَّفاتِ البترول.

ورأى الربُّ الناسَ يَبْنون المدينةَ والبرج، فخافَ منهم، وخشيَ أَنْ يُنازعوهُ ملكَه وسلطانَه، وقَرَّرَ أَنْ يُفَرِّقَهم ويُشَتِّتَهم!

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ قال: «ها هم شبٌ واحد، ولهم لغةٌ واحدة، وما هذا الذي عملوه إلاّ بداية، ولن يصعبَ عليهم شيءٌ مما يَنْوُون فعلَه، فلْنَنزلْ ونُبَلْبِلْ هناك، حتى لا يَفهمَ بعضُهم لغةَ بعض!».

نزلَ عليهم وضَربَهم، وبَلبلَهم في لغاتِهم، فصارَ كلُّ فريقٍ يتكلمُ بلغةٍ غيرِ لغةِ الفريقِ الآخر، وتَفرقوا وتَشتَّتوا في الأَرض، وعندها شعرَ الربُّ بالأَمان، وزال عنه الخَطَر! ولذلك سُميت المدينةُ بابل لأَنها مشتَقَّةٌ من البلبلة، وهي التفرقةُ والتَّشتُّت.

إنَّ ما قالَه الأَحبارُ أُسطورةٌ خرافية، لا يَقبلُها عَقْل، ولا يُصَدِّقُها مؤمنٌ بالله، وحديثُهم عن اللهِ فيها يُضافُ إلى حديثِهم في المواضعِ الأُخرى من سِفْرِ التكوين، القائمِ على الكفرِ بالله، وعدمِ تقديرِه حقَّ قَدْرِه، والحرصِ على وصفِهِ بكلِّ نقيصة، بدلَ وصفِه بما يليقُ به من جلالٍ وكمالٍ وعظمة.

ونحنُ ننزِّهُ اللهَ عن هذا التصرف، ونبرأُ إليه مما نَسَبَه إليه الأَحبار.

كلام الأحبار عن إبراهيم في ميزان القرآن

سَجَّلَ الأَحبارُ -كعادتِهم في التاريخِ الافتراضيِّ الزاعمِ بدونِ دليل- سلسلةَ النَّسَبِ بينَ نوحٍ وإِبراهيمَ عليهما السلام، فذَكَروا نَسَبَ إِبراهيمَ بأَنه: إِبراهيمُ بنُ تارَحَ بنِ ناحورَ بنِ سَروجَ بنِ رَعْوَ بنِ فالَجَ بنِ عابَرَ بنِ شالَحَ بنِ أَرْفَكْشادَ بنِ سامٍ بن نوحٍ، فالرجالُ بين نوحٍ وإِبراهيمَ تسعة، وحَدَّدوا الفترةَ الزمنيةَ بين نوحٍ وإِبراهيمَ بأَنها ثلاثةُ آلافٍ وتسعٌ وثلاثون سنة. [التكوين١١: ١٠-٣٢].

ونتوقَّفُ في قَبولِ هذا الكلامِ واعتمادِه، لعدمِ وجودِ دليلٍ عليه، ونضيفُه إِلى مزاعمِهم وادّعاءاتِهم الكثيرةِ في أَسفارِ العهدِ القديم.

ونَدْعو إِلى تذكُّر الجَدِّ السادسِ لإِبراهيم، وهو عابَرُ -حسبَ زعمِ الأَحبار- لأَنَّ لاسمِه دوراً في تاريخِ بني إِسرائيل واليهودِ فيما بعد!

ما اسم والد إبراهيم؟

زعمَ الأَحبارُ أَنَّ اسمَ والدِ إِبراهيمَ هو تارَحُ، وأَنه أَنجبَ ثلاثةَ أَولاد: إِبراهيمُ وناحورُ وهاران، وكان تارَحُ مقيماً في مدينةِ أُور الكلدانيين، وقالوا: «.. وأَخَذَ تارَحُ أَبرامَ ابْنَه، ولوطاً بنَ هارانَ -ابنَ ابنِه- وساراي كِنَّته امرأَةَ ابنِه أَبرام، فخرجَ بهم من أُورِ الكلْدانيّين، ليذْهَبوا إِلى أَرضِ

كَنْعان، فجاءوا إلى حاران، وأَقاموا هناك .. وكان عُمْرُ تارَحَ مائتين وخمسِ سنين، ومات تارَحُ بِحاران..». [التكوين١١: ٢٧-٣٢]

وقد ذكرَ القرآنُ أَنَّ اسمَ أَبيه آزرُ وليس تارَح، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وإذا ذَكَرَ القرآنُ اسْماً لشخص، وذَكَرَ الأَحبارُ له اسْماً آخَر، فالمعتمدُ هو ما ذَكَرَه القرآن، وهذه حقيقةٌ منهجيةٌ أَساسِيَّة، فاسْمُ والدِ إبراهيمَ هو آزرُ وليس تارَح، وما ذَكره الأَحبارُ مردود.

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ والدَ إبراهيمَ هو الذي أَخَذَ أُسْرَتَه، وهاجَرَ بهم مِن مدينةِ أُور إلى أَرضِ كنعان، وأَنه توجَّهَ من أُور إلى الشمالِ الغربي، وحَلَّ في حارانَ، في طريقِهِ إلى أَرضِ كنعان، ولكنَّه بقيَ في حاران إلى أَنْ تُوُفّي.

وكانتْ مدينةُ أُورَ قريبةً من الخليجِ العربي، قالَ عنها واضعو قاموسِ الكتابِ المقدَّس: «أُورُ الكلدانيين: هي مسقطُ رأْسِ إبراهيم .. ومكانُ أُورَ اليومَ خرائبُ تدعى المغَيِّر، في منتصفِ المسافةِ بين بغداد والخليج، وعلى مسافةِ عشرةِ أَميالٍ شرقيَّ مَجرى نهرِ الفراتِ في العصرِ الحاضر .. وقد احتلَّ المدينةَ السومريّون والعيلاميّون والبابليّون والكلدانيّون على التوالي .. وقد أُثْبتت الكشوفُ الحديثةُ أَنَّ مدينةَ أُور وُجدتْ منذ ما يقربُ من أَلفِ سنةٍ

قبلَ إبراهيمَ، وكانتْ في ذلك الزمنِ السحيقِ مركزاً لمدينةٍ راقية..» [قاموس الكتاب المقدس: ١٢٨].

الصلة بين إبراهيم وأبيه:

ظاهرُ كلامِ الأحبارِ أنَّ إبراهيمَ كان مُتَّفقاً مع أبيهِ تارَح، ويتحركُ بأمره، ولذلك هاجرَ معه من أُورَ إلى أرضِ كنعان، ولما توفيَّ تارَحُ في حاران، تابعَ إبراهيمُ سيرَهُ إلى أرضِ كنعان.

وهذا كلامٌ مردود، ويَتَعارضُ مع آياتِ القرآن.

ذَكَرَ القرآنُ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام دعا والدَه آزرَ إلى الإيمانِ باللهِ وحْدَه، وأنَّ والِدَه ردَّ عليه بغلْظَةٍ وشدَّة، فوعَدَه أنْ يَستغفرَ اللهَ له، واعتزلَه هو وقومَه الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ

رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم: ٤١-٤٩].

لقد كانَ إبراهيمُ عليه السلام يَطمعُ في إيمانِ أبيهِ آزرَ، ولذلك استغفر له، ولكنَّ أباهُ أصرَّ على كفرِه، ففاصلَه إبراهيمُ وتبرَّأ منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١١٤].

إبراهيمُ عليه السلام فاصَلَ قومَه الكافرين بمَنْ فيهم أبوه، وأعلنَ هو وأتباعُه المؤمنون البراءةَ من الكافرين، قال تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

هجرة إبراهيم إلى الأرض المقدسة:

ولما فاصل إبراهيمُ عليه السلام أباه وقومَه واعتزلَهم، أَعلنَ هجرتَه إلى ربِّه، وكان لوطٌ ممن هاجَرَ معه، قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وحَدَّدَ القرآنُ أنه هاجرَ إلى الأَرضِ المقَدَّسة التي باركَ اللهُ فيها، قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ۝٧١ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

تَدُلُّ هذه الآياتُ على مفارقةِ إبراهيمَ لأَبيه آزَرَ واعتزالِه له، ثم هجرتِه من عندِه إلى الأَرضِ المباركة..

وهذا معناهُ أَنَّ أباهُ آزرَ لم يُهاجِر معه، لأَنه آثَرَ البقاء مع القومِ الكافرين، وبهذا نَرُدُّ مزاعمَ الأَحبارِ في سَيْرِ إبراهيمَ مع أَبيهِ إلى حاران.

ثم لماذا حارانُ الواقعةُ في أقصى الشمالِ الغربيِّ للعراق -داخلَ تركيا حالياً- والأَرضُ المقدسَةُ غربَ العراقِ مباشرة، إننا نرجِّحُ أَنَّ إبراهيمَ هاجَرَ من العراقِ إلى الأَرضِ المباركةِ فلسطينَ مباشرة، وأَنه كان معه لوطٌ، ولا نَعرفُ درجةَ قرابةِ لوطٍ لإبراهيم، ونتوقَّفُ في زعمِ الأَحبارِ أَنه كانَ ابنَ أَخيهِ هاران، لأَنه لا دليلَ لهم على ذلك، كما نتوقَّفُ في أَسماءِ إخوةِ إبراهيمَ الثلاثة، التي ذكرها الأَحبار، لعدمِ وجودِ دليلٍ على ذلك أَيضاً، ونقول: اللهُ أَعلم!

ولسْنا مع الأَحبارِ في زعْمِهم أَنَّ اسمَ إبراهيمَ في بلادِ العِراق هو: أَبرام، وأَنَّ الربَّ غَيَّرَ اسْمَه إلى إبراهيم بعد ذلك، عندما أَقامَ في الأَرضِ المقدَّسة.

إنَّنا مع القرآنِ في أَنَّ اسْمَه هو إبراهيمُ، لم يتَغَيَّر، هو إبراهيمُ عندما كان

في العراقِ مع أَبيه وقومِه، وهو إِبراهيمُ عندما هاجَرَ إِلى الأَرضِ المباركة، أَمَّا أَبرامُ فهذا من مزاعمِ الأَحبارِ المردودة.

بداية الوعد لإبراهيم وذريته:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنه لما توجَّهَ إِبراهيمُ إِلى أَرضِ كَنعان، تَراءى له الربُّ، ووَعَدَه أَنْ يُكَثِّرَ نَسْلَه، وأَنْ يُعطيَهُ هذه الأَرضَ المقَدَّسة، التي ستُسَمَّى عند اليهودِ أَرضَ الميعاد.

قالوا: «وقالَ الربُّ لأَبرام: انطلقْ من أَرضِك وعشيرتِك وبيتِ أَبيك، إِلى الأَرضِ التي أُريك، وأَنا أَجعلُك أُمةً عظيمة، وأُباركُك، وأُعَظِّمُ اسْمَك، وتكونُ بركة، وأُباركُ مبارِكيك، وأَلْعَنُ لا عِنيك، ويَتباركُ بك جميعُ عشائرِ الأَرض..

فانطلقَ أَبرامُ كما قالَ له الربّ، ومَضى معه لوط، وكان أَبرامُ ابنَ خمسٍ وسبعين سنة حين خرجَ من حاران .. فأَخَذَ سارايَ امرأَتَه ولوطاً ابنَ أَخيه .. وخَرجوا جميعاً قاصدين أَرضَ كنعان.

فلما وَصَلوا إِلى أَرضِ كنعان اجْتازَ أَبرامُ في الأَرضِ إِلى بَلّوطَةَ مورةَ في شَكيم، والكنعانيّون يومئذٍ في الأَرض .. فتراءى الربُّ لأَبْرام، وقالَ له: لنَسْلِكَ أُعطي هذه الأَرض .. فبنى هناك مَذْبَحاً للربِّ الذي تجلّى له .. ثم انتقلَ من هناك إِلى الجبل، شرقيِّ بيتِ إِيل، ونصبَ خيمَتَه، وبنى هناك

مَذْبَحاً للربِّ .. ثم أَخَذَ يرتحلُ جنوباً نحو صحراءِ النقب ..» [التكوين١٢: ١-٩].

ملاحظات على رواية الأحبار:

ولنا على هذه الروايةِ الإسرائيلية الملاحظاتُ التالية:

١-زَعْمُ الأَحبارِ أَنَّ عمرَ إبراهيم عليه السلام عندما توجَّهَ إِلى الأَرضِ المقَدَّسة كان خمساً وسبعين سنة ادعاءٌ ليس عليه دليل، ونَتوقَّفُ نحنُ فيه.

٢-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ ومَنْ معه دَخَلوا أَرضَ كنعان، وأَقامَ فترةً في أَرضِ شكيم عند بَلّوطة مورَة، وهذا لا دليلَ عليه أَيضاً.

وشكيم مدينةٌ كنعانيةٌ قديمة، أُقيمتْ مكانَها مدينةُ نابلس الحالية، وبَلّوطةُ مورة قَريبةٌ من شَكيم، في منطقةِ مخيم بَلاطة حالياً.

٣-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ تراءى لإِبراهيمَ عندَ بَلّوطة مورَة، وخاطَبَه وكَلَّمه، وهذا معناهُ أَنَّ إِبراهيمَ رأى ربَّه في ذلك المكان.

وهذا باطل، وقد أَخْبَرَنا اللهُ أَنه لا يُمكنُ أَنْ يُرى في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٤-زَعَمَ الأحبارُ أَنَّ الربَّ أَعطى إبراهيمَ وَعْداً خاصّاً، بأَنْ يُعطيَ أَرْضَ كَنعانَ لنسلِه: «فتراءى الربُّ لأَبرامَ وقال: لنَسْلِكَ أَهَبُ هذه الأَرض».

وهذه بدايةُ الوعودِ الربانيةِ العديدةِ الكثيرة، التي أَوردَها الأَحبارُ في عشراتِ المواضعِ من أَسفارِ العهدِ القديم، وجعلوا الأَرضَ المقدسةَ أَرضَ ميعادٍ لليهودِ إِلى الأَبَد!!

وهذا زعمٌ إِسرائيليٌّ مردود، لأَنه لم يُذْكَر في آياتِ القرآن.

٥-الأَحبارُ مُفْتونون بالمذابحِ التي يَبْنيها آباؤُهم وأنبياؤُهم للربّ، ليَذْبَحوا عليها ذبائحَهم للربّ، ثم يَحرِقوا تلك الذبائح لَه، لأَنّه يُحِبُّ أَنْ يَتَنَسَّمَ رائحةَ اللحمِ المشويّ.

وقد زَعَموا أَن إِبراهيمَ عليه السلام بنى مذبحاً للربِّ عند بَلّوطة مورة، حيثُ رأى ربَّه، ثم بنى مَذْبحاً آخَرَ للربِّ شرقيَّ بيتِ إِيل بالقربِ من أُورشليم..

ولم يَرِدْ دليلٌ عندنا من قرآنٍ أَو سُنَّةٍ على تلك المذابحِ العديدة التي زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ أَنبياءَهم بنوها، وحَرَقوا عليها المُحْرَقات، ولذلك نتوقَّفُ في قَبولِ مزاعمِ الأَحبارِ حولَها، ونقول: اللهُ أَعلم!

إبراهيم وامرأته عند ملك مصر:

زَعَمَ الأحبارُ أَنَّ إبراهيمَ توجَّهَ من بيتِ إيل في منطقة أُورشليم إلى صحراءِ النقب، وحَدَثَتْ مجاعةٌ في الأَرض، فاضطرَّ إبراهيمُ إلى أَنْ يَرحَلَ مع امرأتِه وأَهلِه إلى مصر:

قالوا: «فلما وَصَلَ إلى أبوابِ مصْرَ قالَ لساراي امرأتِه: أَعرفُ أَنكِ امرأةٌ جميلةُ المنظر، فإذا رآكِ المصريّون سيقولون: هذه امرأتُه، فيقْتُلونَني ويُبْقونَ عليكِ .. قولي إنَّك أُختي، فيُحْسِنوا معامَلَتي بسببِك، ويُبْقوا على حياتي لأَجلِك ..

ولما دَخَلَ أَبرامُ مصر، رأَى المصريّون أَنَّ المرأةَ جميلةٌ جداً، ورآها رؤساءُ فرعون، ومَدَحوها لدى فرعون، وأَخَذوها إلى بيته .. وأَحسنَ فرعونُ إلى أَبرامَ بسببها، فصارَ له غَنَمٌ وبَقَرٌ وحَميرٌ وعبيدٌ وجِمال .. وأَمّا الربُّ فقد ضربَ فرعونَ وأَهلَ بيتِه، ضرباتٍ عظيمةً شديدةً، بسببِ ساراي امرأةِ أبرام..

فاستَدْعى فرعون أَبرامَ وقالَ له: ماذا صنعتَ بي؟ لِمَ لَمْ تُعْلِمْني أَنها امرأَتُك؟ لِمَ قلتَ: إنها أُختي، حتى أَخَذْتُها لتكونَ لي امرأة؟ .. والآنَ هذه امرأَتُك، خُذْها واذْهَبْ .. وأَمَرَ فرعونُ رجالَه أَنْ يَطْرُدوه من البلاد، هو وامرأَتُه وكلُّ ما يملك..». [التكوين١٢ : ١٠-٢٠].

ملاحظات على رواية الأحبار:

لنا على هذه الروايةِ الإسرائيليةِ الملاحظاتُ التالية:

١-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ كان يخافُ على حياتِه، ولذلك آثَرَ أَنْ لا يُخبرَ المصريّين أَنها امرأَتُه، كي لا يَقْتُلوه، وهذا لا يتفقُ مع مروءةِ النبيِّ وشجاعته وشهامتِه.

٢-معنى كلامِ الأَحبارِ أَنَّ إِبراهيمَ تاجَرَ بامرأَتِه، ليحصلَ على مكاسبَ دنيوية، ولذلك زعمَ الأَحبارُ أَنه قالَ لها: قولي إِنَّك أُختي، فيُحْسِنوا معامَلَتي بسببِك، ويُبْقوا على حياتي لأَجلِك ..، وهذه تجارةٌ رخيصةٌ لا تصدُرُ عن إِنسانٍ عاديٍّ ذي رجولةٍ وشهامة، فكيفَ تَصدُرُ عن نبيٍّ كريمٍ عليه السلام!

٣-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ سَلَّمَ امرأَتَه لرجالِ فرعون، وأَنهم ذهبوا بها إِلى بيتِه، ورضيَ أَنْ يأخذَ مقابلَ ذلك متاعَ الدنيا: وأَحسنَ فرعونُ إِلى أَبرامَ بسببها، فصارَ له غَنَمٌ وبَقَرٌ وحَميرٌ وعبيدٌ وجِمال.

ونحنُ نرفضُ هذا الزعمَ الباطل، ولن يَرضى إِبراهيمُ أَنْ يأخذَ العبيدَ والأَنعامَ مقابلَ تسليمِ امرأَتِه للفاحشةِ والفجور!!

٤-أَطْلَقَ الأَحبارُ على ملكِ مصر زمنَ إِبراهيمَ عليه السلام لقبَ فرعون وهذا خطأٌ تاريخيٌّ وقعوا فيه.

إنَّ حاكمَ مصرَ زمنَ إبراهيمَ يوصَفُ بأنه مَلِكٌ وليس فرعون .. ويوصَفُ زمنَ يوسُفَ عليه السلام بأنه مَلِكٌ أيضاً، وهذا ما وردَ في القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ [يوسف: ٥٤].

وفرعونُ لَقَبٌ يُطْلَقُ على حاكمِ مصرَ زمنَ موسى عليه السلام فقط، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ [غافر: ٢٦].

لماذا فارق لوط إبراهيم؟

وزَعَمَ الأَحبارُ في الإِصحاحِ الثالثِ عشر وُقوعَ اختلافٍ بينَ ابراهيمَ ولوط، بسببِ كثرةِ مواشيهما، وخلافاتِ رُعاتِهما، فاضْطُرّا إلى أَنْ يَفْتَرِقا، فاختارَ لوط أَنْ يُقيمَ في سهلِ الأَردن: «فرفعَ لوطُ عينَيْه، ورأى كُلَّ سهلِ الأُردن، فإذا كلُّه سِقْي، وكانتْ -قبلَ أَنْ يُدَمِّرَ الربُّ سَدومَ وعَمورَةَ- كجنةِ الربّ، مثل أَرضِ مصر .. فأَقامَ أَبرامُ في أَرضِ كنعان، وأَقامَ لوطٌ في مُدُنِ سهل الأُردن، وخَيَّمَ حَتّى سدوم..». [التكوين١٣ : ١٠-١٣].

وهذا الزعْمُ لا دليلَ عليه، ولا يتفقُ مع الشخصيةِ الإِيمانيةِ لكلٍّ من النبيَّيْن إِبراهيمَ ولوطٍ عليهما السلام، ولذلك نتوقَّفُ فيه.

وأَعادَ الأَحبارُ وَعْدَ الربِّ لإِبراهيمَ أَنْ يُعطيَه الأَرضَ المقَدَّسة التي هو فيها، له ولنَسْلِه للأَبَد، قالوا: «وقالَ الربُّ لأَبرامَ -بعد ما فارقَهَ لوط-

ارفَعْ عينَيْك، وانظُرْ من الموضعِ الذي أَنتَ فيه، شَمالاً وجَنوباً، وشَرْقاً وغَرْباً، إنَّ كُلَّ الأَرضِ التي تَراها أَهَبُها لك ولنَسْلِك إلى الأَبد .. وأَجْعَلُ نَسْلَكَ كترابِ الأَرض، فإنْ أَمْكَنَ لأَحَدٍ أَنْ يُحْصِيَه، فَنَسْلُكَ أَيضاً يُحصى .. قُمْ فَامْشِ في الأَرضِ طولِها وعرضِها، فإنّي لك أَهَبُها وأُعطيها .. فانتقلَ أَبْرامُ بخيامِه، وجاءَ فأقامَ في بَلّوطِ مَمْرا في حَبْرون، وبنى هناك مَذْبحاً للربّ..». [التكوين١٣ : ١٤-١٨].

ويلاحَظُ أَنَّ أَرضَ كنعانَ، التي زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ أَعْطاها لإِبراهيمَ ونسْلِه للأَبدِ، كانتْ مأْهولةً بسكّانِها الأَصليّين الكنعانيّين، من مختلفِ قبائِلِهم، ولم يَذْكُرِ الأَحبارُ هنا مصيرَ سكانِ الأَرضِ الأَصليّين، لكن ذكروا في الأَسفارِ القادمةِ أَنَّ مصيرَهم الإبادَةُ والإفناءُ!

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ نَسْلَ إِبراهيمَ عليه السلام سيكونُ كترابِ الأَرضِ كثرة، بحيثُ لا يُمكنُ إِحصاؤُهم، وهم يَقْصُرونَ نسلَ إِبراهيمَ على أَبناءِ يعقوب فقط، الذين هم بنو إِسرائيل، أَمّا أَبناءُ ابنِه الثاني إِسماعيلَ عليه السلام فلا قيمةَ لهم عند الأَحبار!!

إبراهيم العبراني يهزم أربعة ملوك!!

تَحدَّثَ الأَحبارُ في الإِصحاحِ الرابعِ عَشَرَ عن معركةٍ قويةٍ خاطفة، هزمَ فيها إِبراهيمُ أَربعةً من ملوكِ العراق.

حيثُ زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ أَربعةً من ملوكِ بابل -ملكُ شِنْعار، وملكُ عِيلام، وملكُ أَلاّسار، وملكُ الأُمم- توجَّهوا من العراقِ، واحتلّوا المنطقةَ التي فيها سَدومَ وعَمورة، وقضَوْا على ملوكِها، وأَخَذوا لوطاً وأَموالَه ومواشيه، وعادوا إِلى العراق، وكانَ إِبراهيمُ مُقيماً عندَ بَلّوط مَمْرا في حَبْرون، فلما علمَ بأَخْذِ لوطٍ أَسيراً، لحقَ بالملوكِ الأَربعة، ومعه ثلاثُمائة وثمانيةَ عَشَرَ من رجالِه وعبيدِه، وفاجأَهم في معركةٍ قُرْبَ دمشق، فهزَمَهم، واستردَّ لوطاً وأَموالَه ومواشيه، وعادَ بهم إِلى سهلِ الأُردنّ عند سدوم. [التكوين١٤ : ١-١٦].

ويمكنُ تسجيلُ النقاطِ التالية حولَ هذه الرواية:

١-ذَكَرَ الرهبانُ اليسوعيّون في تعليقِهم على الروايةِ أَمْراً خطيراً، حيثُ قالوا: «لا صلةَ لروايةِ هذا الفصلِ بأَيِّ مصدرٍ من مصادرِ سِفْرِ التكوين، ويبدوا أَنها مأخوذةٌ من وثيقةٍ قديمة، نُقّحَتْ وكُيِّفَتْ، لإِبرازِ دورِ إِبراهيمَ البطوليِّ في الحرب..». [العهد القديم: ٨٧، حاشية رقم: ١].

إِنَّ هذا التعليقَ الخطيرَ من الرهبانِ اليسوعيّين اعترافٌ منهم بأَنَّ هذا تأليفٌ أُضيفَ إِلى سِفْرِ التكوين، وأُخِذَ من مصادرَ بشرية، وكُيِّفَ لبيانِ شجاعةِ إِبراهيم، فهو مصنوعٌ مختلَقٌ أُضيفَ إِلى سِفْرِ التكوين! وهذا اعترافٌ من الرهبانِ بأَنَّ سِفْرَ التكوينِ تأليفٌ بشريٌّ وليس كلامَ الله!

٢-مهاجمةُ ملوكِ بابلَ الأَربعةِ للملوكِ الخمسةِ في سهلِ الأُردنِّ وشرقِ فلسطين يدلُّ على أَنَّ أَطماعَ ملوكِ بابلَ وأَشّورَ والعراقِ وفارسَ في الأَرضِ المقدَّسة كانت قديمةً، قبلَ هجرةِ إِبراهيمَ إِليها، واستمرتْ هذه الأَطماعُ قروناً طويلَةً بعده.

٣-كان وادي الأُردن يسمّى وادي السَّديم، وسُمِّيَ البحرُ الميتُ الذي تَكَوَّنَ بعدَ تدميرِ سَدومَ وعَمورة بحرَ الملح..

٤-كانتْ منطقةُ البحرِ الميتِ منطقةً بترولية، فيها آبارُ بترول، وتجلّى هذا في جملة: «في وادي السَّديم آبارُ حُمَرٍ كثيرة، فانهزمَ مَلِكا سَدومَ وعَمورة فسقطا فيها، والباقون هَرَبوا إِلى الجبل». [التكوين١٤ : ١٠].

والحُمَرُ هو القارُ والزِّفْت، وهو من الموادِّ البتروليّة.

٥-لأَوَّل مرةٍ وردَتْ كلمةُ العبراني التي ستُستَعْمَلُ بكثرةٍ في الأَسفارِ اللاحقة، وجاءت الكلمةُ وَصْفاً لإِبراهيمَ عليه السلام، وذلك في قول الأَحبار: «فجاءَ مَنْ أَفْلت، وأَخبرَ أَبرامَ العبرانيّ، وهو مقيمٌ عند بلوطِ ممرا الأَموري». [التكوين١٤ : ١٣].

وقد مَرَّ مَعَنا أَنَّ الأَحبارَ ذَكَروا أَنَّ الجَدَّ السادسَ لإِبراهيمَ هو: «عابَر» وأَنه عاشَ وماتَ في أُورِ الكلدانيين، ولعلَّ إِبراهيمَ عليه السلام عندما أَقامَ في أَرضِ كنعان كان يُنْسَبُ إِلى جَدِّه السادس، فيقال: إِبراهيمُ العبراني.

إبراهيم وملك أورسالم العربي صادق:

ذكَرَ الأَحبارُ في الإِصحاحِ الرابعِ عشر أنه لما عادَ إِبراهيمُ من حَرْبِه مع ملوكِ بابلَ الأَربعة منتَصِراً، مَرَّ على أُورشليم، وخَرَجَ إليه مَلِكُ سَدومَ ليستقبلَه فيها، ويشكُرَهُ على قتالِ أعدائِه، وكان في أُورشليم ملكٌ عربيٌّ كنعانيٌّ رحَّبَ بإِبراهيم.

قالَ الأَحبار: «وعند رجوعِ أَبرامَ منتصراً على كَدَرْ لَعَوْمَرَ والملوكِ الذين معه، خرجَ ملكُ سَدومَ للقائِه في وادي شَوَى.

وأَخرجَ مَلْكي صادِق ملكُ شَليم خبزاً وخَمراً، لأَنه كانَ كاهِناً لله العليّ، فباركَ أَبرامَ، وقالَ له: على أَبرامَ بركةُ اللهِ العليّ، خالقِ السمواتِ والأَرض، وتَبارَكَ اللهُ العليُّ، الذي أَسلمَ أَعداءَك إلى يَدِك.

فأَعطاهُ إِبراهيمُ العُشرَ من كلِّ شيء». [التكوين١٤ : ١٧-٢٠].

ويمكنُ تسجيلُ الملاحظاتِ التالية على هذه الرواية:

١-ذُكرتْ كلمةُ شاليم لأَوَّلِ مرةٍ في هذه الرواية، والكلمةُ تصغيرُ كلمةِ شالم، وأَساسُها كلمةُ سالم العربيةُ الكنعانية.

إنَّ هذه الروايةَ تُخبرنا أَنَّ القدسَ كانتْ مدينةً، قبلَ أَنْ يُهاجِرَ إِبراهيمُ

عليه السلام من العراقِ إلى الأَرضِ المقَدَّسة، وأَنه كان يسكُنُها العربُ الكنعانيّون، وهم الذين سَمّوها «أُور سالم» وأُور كلمةٌ عربيةٌ كنعانيةٌ بمعنى: مدينة، وسالم اسمُ رجلٍ عربيٍّ كنعانيٍّ، بَناها أو حَكَمَها أَو أَقامَ فيها، فنُسبتْ إِليه وقيل: «أُورسالم» يعني مدينةَ سالم.

فبدايةُ هذه المدينةِ المقدَّسَةِ كانتْ بدايةً عربيةً كنعانية، قبلَ أَنْ يهاجرَ إِليها إِبراهيمُ من العراق، وقبلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ أَولَ إِسرائيلي، ثم حَرَّفَ اليهودُ اسْمَها من الاسمِ العربيِّ الكنعانِيِّ، إِلى الاسمِ العبري الإِسرائيلي: أُورشليم، بمعنى مدينة السلام!

٢-كانت أُورسالم زَمنَ إِبراهيم عليه السلام آهلةً بسكانِها العربِ الكنعانيّين، وكانتْ عاصمةً لمملكتِهم العربيةِ الكنعانية، وهذا قبلَ أَنْ يدخلَ يَشوعُ الأَرضَ المقدسةَ ببني إِسرائيل بأكثرَ من أَلْفِ سنة!

٣-كانَ يحكمُ أُورسالم ملكٌ عربيٌّ كنعاني، اسْمُه الملكُ صادق -هو مَلْكيصادق في روايةِ الأَحبار- وكانَ هذا الملكُ العربيُّ مؤمناً بالله، ووصَفَهُ الأَحبارُ بأَنه كان كاهِناً لله العليّ، ولما الْتقى بإِبراهيمَ عليه السلام أَحَبَّه، لأَنَّ كُلاً منهما مؤمنٌ بالله! وبارَكَ الملكُ صادقٌ إِبراهيمَ عليه السلام لانتصارِه، وأَعطاهُ إِبراهيمُ عُشْرَ الغنائمِ التي غنمها!!

الحوار بين إبراهيم وربه:

خَصَّص الأَحبارُ الإِصحاحَ الخامسَ عشرَ لتسجيلِ الحوارِ بينَ إبراهيمَ وربِّه، حيثُ يَعِدُ الرَّبُّ إبراهيمَ بوعود، ويُعاهِدُه عَهْداً، ويَلتزمُ له بالتزام، ويطلبُ منه فعلَ أَشياءَ تَزيدُ إِيمانَه وبِرَّه.

بدأ الأَحبارُ الإِصحاحَ بأَنَّ الربَّ كَلَّمَ إبراهيمَ في الرؤيا، وقالَ له: «لا تَخَفْ يا أَبرامُ أنا تُرْسٌ لك، وأَجْرُكَ عظيمٌ جداً». [١٥: ١].

وبَدَلَ أَنْ يفرحَ إِبراهيمُ بهذه البشرى من الربِّ، خاطبَ الربَّ بلهجةِ المتسخِّط غيرِ الراضي بقَدَرِ الله. لقد زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إبراهيمَ خاطبَ ربَّه بجَلافة، وقالَ له: «أَيها السَّيِّدُ الربّ: ماذا تُعطيني؟ وما نَفْعُ ما تُعطيني، وأَنا سأَموتُ عقيماً، ووارثُ بيتي هو أَلِيعازَرُ الدمشقي؟ إِنك ما رزقْتَني نَسْلاً، ورَبيبُ بيتي هو الذي يَرِثُني!». [١٥: ٢-٣].

إِننا نُبَرِّئُ الرسولَ إبراهيمَ عليه السلام من سوءِ الأَدبِ في خطابِه لربِّه، فَأَحَدُنا لا يَرضى أَنْ يُخاطِبَ ربَّه بهذه اللهجةِ السيئة، فكيفَ بالرسولِ إبراهيمَ عليه السلام، الذي هو أَعرفُ الناسِ بالله، وأَكثرُهم أَدباً معه.

والأَحبارُ هم الكاذبونَ المسيئونَ، عندما زَعَموا هذا الزَّعْم، ونَسبوا لإِبراهيمَ هذا الكلامَ القبيح!

ولقد اعترفَ الرهبانُ اليسوعيّون بأَنَّ ما نَسَبهُ الأَحبارُ لإِبراهيمَ في كلامِه مع اللهِ نصٌّ مُشَوَّه، فقالوا في التعليقِ على ترجمتِه للعربية: «ترجمةٌ تقديريةٌ لنصٍّ عِبْريٍّ مُشَوّه» [العهد القديم: ٨٩، حاشية رقم: ٢].

وهذا اعترافٌ بتشويهِ وتحريفِ النّصِّ العِبْريِّ الأَساسي، الذي كُتِبَ به العهدُ القديم، ويَعني هذا أَنَّ أَسفارَ التوراةِ من تأْليفِ الأَحبار!

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ أَرادَ أَنْ يُطمئِنْ إِبراهيمَ، فقال له: «لا يَرِثُكَ أَليعازر، بل مَنْ يخرجُ مِن صُلبك هو الذي يَرِثُك».

الرب يجدد لإِبراهيم العهد:

ومن بابِ التوكيدِ على الوعدِ، زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ اللهَ قادَ إِبراهيمَ إِلى الخارج، قالوا: «ثم أَخْرَجَ أَبرامَ إِلى خارج، وقالَ له: انظرْ إِلى السماءِ، وعُدَّ النجومَ إِن استطعْتَ عَدَّها! وقال له: هكذا يكونُ نسلك! فآمَنَ أَبرامُ بالربِّ، فَحَسَبَ له الربُّ ذلك بِرّاً» [١٥: ٤-٦].

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الرَّبَّ جَدَّدَ لإِبراهيمَ عهدَه السابق، بأَنْ يُعطيه هذه الأَرض: «وقالَ الربُّ له: أَنا الربُّ الذي أَخرجَك من أُورِ الكلدانِيّين، لأُعطيك هذه الأَرضَ ميراثاً لك»[١٥: ٧].

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ طلبَ من الربِّ دليلاً على هذا الوعد،

ولذلك قالَ إبراهيم: «أيُّها السَّيِّدُ الربُّ: كيفَ أَعلمُ أَني أَرِثُها؟» [١٥ : ٨].

فقدَّمَ له الربُّ الدليل -على حَدِّ زَعْمِ الأَحبار- بَأنْ طلبَ منه ذَبْحَ بقرةٍ وشاةٍ وكَبشٍ وحَمامةٍ ويَمامة، وشَطْرَ كلِّ ذبيحةٍ نصفَيْن، وعَرْضَها على الأَرض، وفي الليلِ أَنزلَ الربُّ مشعلَ نارٍ، فَمَرَّ من بين تلك الذبائح، بذلك عَرَفَ إِبراهيمُ أَنَّ الربَّ سيورِثُه هذه الأَرض. [انظر ١٥ : ٩-١٧].

كفر الأحبار في تجسيم الله:

إِن من يقرأ هذا الحوارَ المزعومَ بين إِبراهيمَ وربِّه، يقفُ على دليلٍ جديدٍ، يَدُلُّ على عدمِ تعظيمِ الأَحبارِ لله، حيثُ عَرَضوهُ في صورةٍ لا تَليق، ونَسَبوا له أَفعالاً وأَقوالاً لا تَليقُ به، وكأَنَّ الحوارَ جرى بين رجلَيْن جالسَيْن متقابلَيْن، يتكلمُ أَحَدُهما ويردُّ عليه الآخرَ..

الربُّ يَنزلُ من السماء، ويسيرُ على الأَرض، ويَراهُ إِبراهيم وهو قادمٌ نحوه، وعندما يَتَقابلان يَتَحاوَران، كما يتحاوَرُ أَيُّ شخصَين، يتكلمُ الربُّ مُبَشِّراً، فيردُّ عليه إِبراهيمُ ساخِطاً، فيطَمْئِنُهُ الربُّ، بأَنْ يأخذَ بيدِه ويقودَه إِلى الخارج، ويبدو أَنَّ الحوارَ كان ليلاً في داخلِ بيت، ويَدْعوهُ الربُّ إِلى عَدِّ نجومِ السماءِ إِن استطاع، ويُؤَكِّدُ له أَنَّ نسلَه سيكونون بعددِ نجومِ السماء!! عند ذلك صَدَّقَ ابراهيمُ الربَّ، وآمَنَ به، ووثقَ بتحقُّقِ وعْدِه!

وينتقلُ الربُّ من وعْدِ إِبراهيمَ بتكثيرِ نسلِه إِلى وعْدِه بأَنْ يُعطيَهُ الأَرضَ

المقدسةَ، ميراثاً أَبدياً له ولنسْلِه، ويطالبُ إِبراهيمُ ربَّه بتقديمِ دليلٍ له، يَعرفُ به تحقُّقَ هذا الوعدِ الثاني، ويَستجيبُ الربُّ له، ويقدِّمُ الدليلَ، بأَنْ يطلبَ منه القيامَ بعملٍ محدَّدٍ مُقْنِع، وبعد ما يُنَفِّذُ إِبراهيمُ الفعلَ يؤمنُ بربِّه ويثقُ بتحقُّقِ وعْدِه! ويجدِّدُ الربُّ عهدَه له .. ثم تنتهي الجلسةُ الحواريةُ بينهما، ويعودُ الربُّ إِلى السماء!!

إِننا نُنَزِّهُ اللهَ عن الحلولِ والتحديدِ والتَّجسيم، ونُثبتُ له ما أَثبتَه لنفسِه من صفاتِ الكمالِ والجلالِ والعظمة .. كما أَنَّنا نُبَرِّئُ نبيَّ اللهِ إِبراهيمَ عليه السلام مما نَسَبَه له الأَحبار من كلمات، يُخاطبُ فيها ربَّه، بجلافةٍ وسوءِ أَدَب، ونشهدُ أَنه مؤمنٌ بربه، واثقٌ بوعْدِه، راضٍ بقَدَرِه، شاكرٌ له.

إبراهيم وأرض الميعاد:

ووصَلَ الأحبارُ إِلى النتيجةِ التي يريدونَها، وهي الهدفُ من ذكْرِ الروايةِ السابقةِ المطوَّلَة، النتيجةُ في قولهم: «في ذلك اليومِ قطعَ الرَّبُّ مع أَبرامَ عَهْداً، حيثُ قالَ له: لنَسْلِكَ أَهَبُ هذه الأَرضَ: من نهرِ مصرَ إِلى النهرِ الكبيرِ نهرِ الفرات ..وهي أَرضُ: القِينِيِّين، والقَنْزِيِّين، والقَدْمونيِّين، والحِثِّيِّين، والفَرِزِّيِّين، والرَّفائِيِّين، والأَمورِيِّين، والكَنْعانِيِّين، والجِرْجاشِيِّين، واليَبوسِيِّين..».

[التكوين١٥: ١٨-٢١].

إِنهم عشرةُ أَقْوامٍ يُقيمونَ في الأَرضِ المقَدَّسَة بين الفراتِ والنيل، يتعهَّدُ

الربُّ أَنْ يُبيدَهم، وأَنْ يَسلُبَهم أَرضَهم، وأَنْ يُعطيها لنسْلِ إِبراهيمَ للأَبَد!!

وبذلك صارَتْ هذه الأَرضُ -وفقَ مزاعمِ الأَحبار- أَرضَ الميعاد!

حديث القرآن عن إمامة إبراهيم عليه السلام:

أَينَ مزاعمُ الأَحبارِ في كلامِهم عن إِبراهيمَ من حقائقِ القرآنِ في حديثِه عنه؟!

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ ذبائحَ إِبراهيمَ الخمسةَ كانتْ بهدفِ إِقامةِ الدليلِ على إِعطاءِ الأَرضِ المقدَّسةِ له ولنَسْلِه للأَبَد..

بينما ذَكَرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُ بذَبْحِ أَربعةِ طيورٍ لزيادةِ يقينِه واطمئنانِه بإِحياءِ الموتى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة:٢٦].

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ عليه السلام كان حريصاً على ذرِّيَّتِه، وتأمينِ الأَرضِ لهم، بِغَضِّ النظرِ عن استقامتِهم أو انحرافِهم، وأَنَّ اللهَ أَعطاهم الأَرضَ المقدسةَ مُلْكاً أَبدياً، لأَنَّهم نسلُه وذرِّيَّتُه .. وهذا كذبٌ من أَكاذيبِ الأَحبارِ العديدة.

أما القرآنُ فقد كانَ صريحاً في إمامةِ الذريةِ الصالحةِ فقط، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

تُكذِّبُ هذه الآيةُ الأَحبارَ تكذيباً صريحاً، في ما نَسَبوهُ لإِبراهيمَ عليه السلام من كلامٍ وطلباتٍ، في حوارِه مع الرَّبّ، وفي ما قطَعَه اللهُ له ولنسْلِه من عَهْد.

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ اللهَ ابتلى إِبراهيمَ عليه السلام بكلماتٍ، وهي الأَحكامُ التي كَلَّفَه بها، والأَوامرُ التي أَمَرَه بتنفيذِها، ومعلومٌ أَنَّ التكليفَ ابتلاءٌ.

وقد شَهِدَ اللهُ لإِبراهيمَ عليه السلام بإِتمامِ الكلماتِ وتنفيذِ الأَوامر.

وقد كافأَه الله على جُهْدِه واجْتِهادِه، فجَعَلَه إِماماً للناس، أَيْ: قدوةً للناسِ، على اختلافِ الزمانِ والمكان، يُعْجَبُ به المؤمنون، ويَقْتَدون به في مواقفِه الإِيمانية والدعوية.

إِنَّ جعْلَ إِبراهيمَ عليه السلام إِماماً للناس هِبَةٌ وتكريمٌ من اللهِ له، لأَنَّه قامَ بما أَمَرَهُ اللهُ به، وهذا ما لا يَعرفُه الأَحبارُ، ولا يَنتبهونَ إِليه.

وعندما أَخبَرَهُ اللهُ بهذا التكريمِ شكَرَه عليه، ثم سأَلَ ربَّهُ مستوضِحاً عن وجودِ التكريمِ في ذريتِه، فقال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ أي: كيفَ ستكونُ

الإِمامةُ في ذُريتي؟ وهو سؤالُ استيضاحٍ بهدفِ المعرفةِ والعلم، وليس سؤالَ طلبٍ لذريته.

فأَخبرَه اللهُ أَنَّ نسْلَه وذريتَه سيكونون قسْمَين:

القسمُ الأول: المؤمنون الصالحون، وهؤلاء سوفَ تستمرُّ الإِمامةُ الربانيةُ فيهم، لإِيمانِهم وصلاحِهم، وهم الذينَ قالَ الله فيهم: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

القسم الثاني: الكافرون الظالمون، وهؤلاءِ لا يَصِلُهم عهدُ الله: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ وهم الذينَ قالَ اللهُ عنهم في موضع آخر: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٩].

ولم يَتحدث القرآنُ عن تعهُّدٍ باحتلالِ أَرض، واستعبادِ أَهلها، وتمليكِها لذريةِ إِبراهيمَ للأَبد، لا لشيءٍ إِلاّ لأَنهم من ذريتِه! وشتَّانَ بين حقائقِ القرآنِ وأَكاذيبِ الأَحبار!

العهد والختان وتغيير الأسماء

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ سارةَ قَدَّمَتْ لإِبراهيمَ جاريتَها هاجَرَ لتكونَ له زوجة، وأَنه لما عاشَرَها حَمَلَتْ منه، فتكبَّرَتْ هاجَرُ على سيدَتِها، ولما اشتكَتْ سارةُ له أَطلقَ يَدَها فيها، وقالَ لها: هذه هي خادمتُك في يَدِك، فاصْنَعي بها ما يَحسنُ في عينَيْك! فأَذَلَّتْها. فهربَتْ هاجَرُ منها في البَرِّيَّة .. فوجَدَها الربُّ -الذي كثيراً ما يَنزلُ على الأَرضِ، يتفقَّدُ أَحوالَ الناس!! حسب مزاعم الأَحبار- فخاطَبَها وطمأَنَها، وبَشَّرَها أَنها ستلدُ ابناً، وتُسميهِ إِسماعيل، وسيُكَثِّرُ اللهُ نسْلَه، فعادَتْ إِلى البيت، وولدتْ إِسماعيل، وكان عمرُ إِبراهيمَ ستاً وثمانين سنة.

وقد خَصَّصَ الأَحبارُ الإِصحاحَ السادسَ عشر كلَّه لهذه الحكاية.

وهذه مزاعمُ إِسرائيلية تَتَنافى مع الأَخلاقِ الإِيمانيةِ، التي تتخلقُ بها المرأَةُ المؤمنةُ سارة، كما تتنافى مع عَدْلِ إِبراهيمَ في بيتِه مع أُسْرَته.

ويَعترفُ الأَحبارُ في هذه الرواية بأَنَّ إِسماعيلَ هو ابنُ إِبراهيمَ البكر، وأَنَّ إِسحاقَ وُلِدَ بعْدَه، وهذا اعترافٌ سيناقضونَه هم فيما بعد، عند حديثِهم عن الذَّبيح!

وسكتَ الأَحبارُ عن نقلِ إِبراهيمَ عليه السلام لهاجرَ وإِسماعيلَ من

أَرضِ كنعانَ إلى أَرضِ الحِجَاز، وعن بناءِ البيتِ الحرامِ في مكةَ بعد ذلك. وهو ما تحدثَتْ عنه آياتُ القرآن -في سورِ البقرة وآل عمران وإبراهيم والصافات- وحديثُ رسول الله ﷺ.

وسنعودُ لهذه المسألةِ إنْ شاءَ اللهُ عند الحديثِ عن طَرْدِ هاجرَ وإسماعيل..

الرب يغير اسم أبرام ويجدد عهده له:

حتى الآنَ اسْمُه أَبْرام، لكن لماذا غَيَّرَ اللهُ اسْمَه من أبرامَ إلى إبراهيمَ! لنقرأْ روايةَ الأَحبارِ، وما فيها من مزاعمَ غريبة!

قالوا: «ولما بَلَغَ أَبرامُ التاسعةَ والتِّسعينَ، تراءَى له الربُّ، وقال له: أَنا اللهُ الربُّ القدير: فَسِرْ أَمامي وكُنْ كاملاً، سأَجعلُ عهدي بيني وبينَك، وسأُكَثِّرُ نَسْلَكَ جِداً جِداً.

فوقَعَ أَبْرامُ على وجْهِه ساجداً.

وخاطَبَهُ اللهُ قائلاً: ها أَنا أَجعلُ عَهْدي معك، فتصيرُ أَبا عددٍ كبيرٍ من الأُمم، ولا يكونُ اسْمُك أَبرامَ بعدَ اليوم، بل يكونُ اسْمُك إبراهيم، لأَنّي جعلْتُك أَبا عددٍ كبيرٍ من الأُمم!! .. سأُنميكَ جِداً جِداً، وأَجعلُك أُمماً، وملوكٌ من نسْلِك يَخْرُجون ..

وأُقيمُ عَهْداً أَبَدِيّاً بيني وبينَك، وبينَ نسْلِك من بعدِك، جيلاً بعدَ جيل،

فأكونُ لك إلهاً، ولنسلِك من بعدِك .. وأُعطيكَ أنتَ ونسلَكَ من بعدِكَ أَرضَ غربَتِك، التي أَنت نازلٌ فيها، كلُّ أَرضِ كَنْعان، مِلْكاً مُؤَبَّداً، وأَكونُ لهم إِلهاً». [التكوين١٧ : ١-٨].

ملاحظات على رواية الأحبار:

ولنا على هذه الروايةِ الملاحظاتُ التالية:

١-نرفُضُ زَعْمَ الأحبارِ أَنَّ الرَّبَّ تراءى لإبراهيم، وقالَ له: أنا اللهُ القدير، وهو زَعْمٌ يتكرَّرُ كثيراً في أَسفارِ العهدِ القديم، فهم يُجيزونَ أَنْ يَنزلَ اللهُ من السماءِ، ليسيرَ على الأَرض، في صورةٍ مجسَّمة محدودة، ويَراهُ إِبراهيمُ أَمامَه على تلك الصورة، فيُحَدِّثُه ويُحاوره، وهذا عندنا كفرٌ بالله!

٢-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ هذه الحادثةَ وقعَتْ لإبراهيمَ وهو في التاسعةِ والتسعينَ من عمره، وهذا ادِّعاءٌ ليس لهم دليلٌ عليه، ونحن نتوقَّفُ في تحديده.

٣-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ وَعَدَ إِبراهيمَ أَن يجعلَه أَباً لعددٍ كبيرٍ من الأُمم، وأَباً لملوكٍ كثيرين يَخرجونَ من صُلْبِه .. ومُرادُهم بالأُبُوَّة هنا الأُبُوَّةُ الحقيقية القائمةُ على التوالدِ والتناسل، وسيقصُرُ الأَحبارُ فيما بعد هذه الأُبُوَّةَ على نسْل ابنهِ إسحاقَ فقط، أَما ذريتُه من باقي أَبنائِه فهم محرومون من هذه البركات، وفقَ مزاعمِ الأَحبار.

وقد أشارَ القرآنُ إلى أُبوَّةِ إبراهيمَ لأُمَّةِ محمدٍ ﷺ، وهي أُبُوَّةٌ اعتبارية، وليستْ حقيقةً قائمةً على التَّوالدِ والتَّناسل، وهذا في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

وأَخْبَرَنا القرآنُ أَنَّ إبراهيمَ عليه السلام جعلَ براءَتَه من الكفار -وإن كانوا أَقربَ الناسِ إليه- كلمةً باقيةً مستمرةً في عقبِه وذريتِه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقد دَعا إبراهيمُ عليه السلام ربَّهُ أَنْ يجعلَ له لسانَ صدقٍ بعدَه، بأَنْ يجعلَ له ذِكْراً طيِّباً فيهم، وقدوةً حسنةً لهم، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٤].

الفرق بين أبرام وإبراهيم:

٤-زَعمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ غَيَّرَ اسْمَهُ من أَبْرامَ إلى إِبْراهيمَ، وهذا ادِّعاءٌ منهم، ليسَ عليه دَليل.

إِنَّ اسْمَه في مصادِرِنا الإِسلاميةِ الصحيحةِ هو إِبراهيم، أَمّا أَبْرام فلا نَعرفُه، ولا نُطلقُه عليه.

اسْمُه في بلادِ العراقِ إِبراهيمُ وليسَ أَبرامَ، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وكانَ مَعْروفاً عند قومِه في العراقِ باسمِ إِبراهيم، ولذلك لما حَطَّمَ الأَصنام عَرَفوهُ باسمِه. قال تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٩-٦٠].

إِنَّ القرآنَ يُكَذِّبُ الأَحبارَ في زَعْمِهم أَنَّ له اسْمَيْن، وأَنَّه غَيَّرَ اسْمَه من أَبرام إِلى إِبراهيم وهو في التاسعةِ والتسعين من عمره!

٥-ولقد حاولَ واضعوا قاموسِ الكتاب المقدس بيانَ معنى الاسْمَيْن، وحكمةَ تسميتِه بالاسمِ الثاني.

قالوا: معنى «أَبرام»: الأَبُ الرفيع، أَو الأَبُ المكَرَّم، فهو عظيمُ الأَبِ، كريمُ النَّسب.

أَمّا معنى «إِبراهيم» فهو: أَبُو الجمهور، وأَبُو الناسِ الكثيرين. [قاموس الكتاب المقدس: ٩، وترجمة الرهبانية اليسوعية: ٩١، حاشية: ٢].

إنه أَبْرامُ عندما كان وَحْدَه، وليسَ له أَولادٌ وذرية، ولكنَّه الآنَ إِبراهيمُ، لأَنَّ اللهَ وعَدَه أَنْ يُكَثِّرَ نَسْلَه، وأَنْ يكونَ أَباً لأُممٍ كثيرة .. ولكننا نَرفضُ هذا التفسير والتعليل!

٦-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الرَّبَّ جَدَّدَ لإِبراهيمَ عَهْدَه السابقَ، بأَنْ يُعطي أَرضَ كَنعانَ مُلْكاً مؤَبَّداً له ولذريتِه، وهذا أَمْرٌ رفضْناه من قَبل، وبيَّنّا أَنه من مزاعمِ الأَحبار.

٧-يَجعلُ الأَحبارُ الربَّ إِلهاً لهم، لا يهتمُّ إلاّ بهم، ولا يَرعى إِلاّ مصالحَهم، أَمّا الشعوبُ الأُخرى التي خَلَقَها فلا قيمةَ لها عنْدَه، وفق مزاعمِ الأَحبار.

فها هو الربُّ يقولُ لإِبراهيم: لأَكونَ لكَ إِلهاً، ولنَسْلِكَ من بعْدِك.

وإِنَّ اليهودَ قومٌ عنصريّون يَجعلونَ كلَّ شيءٍ لهم، حتى الربّ خَصَّصوهُ بهم، وكأَنه لهم وحْدَهم دونَ باقي الناس.

لماذا أمر الله بالختان؟

بعدما قَطَعَ اللهُ على نفسِه عهداً أَمامَ إِبراهيم، أَنْ يكونَ إِلهاً خاصّاً له ولنَسْلِه، وأَنْ يُملّكَهم أَرضَ كنعانَ للأَبَد، أَمَرَ إِبراهيمَ ونسْلَه بالخِتان، فلماذا الخِتان؟ وما حكمةُ الأَمْرِ به؟

يُفَسِّرُ الأَحبارُ ذلك تَفْسيراً غَريباً، فيه انتقاصٌ للهِ سبحانه.

قالوا: «وقالَ اللهُ لإِبراهيم: احفَظْ عهدي، أَنتَ ونسْلُك من بعدِك، جيلاً بعدَ جيل، وهذا هو عَهْدي الذي تَحفظونَه بيني وبينكم، وبَيْنَ نسْلِك من بعْدِك، أَنْ يُخْتَنَ كلُّ ذَكَرٍ منكم، فتُخْتَنون في لَحْمِ قُلْفَتِكُم، ويكونُ ذلك علامةَ عهدٍ بيني وبينَكم .. كُلُّ ذَكَرٍ منكم ابنُ ثمانيةِ أيام، تَخْتِنونَه مدى أَجيالِكم .. فيكونُ عهدي في أَجسادِكم عَهْداً أَبَدِيّاً .. وأَيُّ أَقْلَفٍ من الذكور لم يُخْتَنْ في لحمِ قُلْفَتِه يُقْطَعُ من شَعْبِه، لأَنه نَقَضَ عهدي..». [التكوين١٧ : ٩-١٤].

الحكمةُ من الأَمْرِ بالختانِ إِذنْ، هي أَنْ يكونَ هذا الختانُ عَلامةً على العهدِ بينَ بني إِسرائيل وبينَ الرَّبّ، فإِذا رأى الرَّبُّ رَجُلاً مَخْتوناً علمَ أَنه إِسرائيلي، فَيَفي له بعهْدِه، ويملِّكُه أَرضَ كَنعان، وإِذا لم يُخْتَن الإِسرائيليّ، فإِنَّ الأَمْرَ يلتبسُ على الرَّب، ولا يَقْدرُ على أَنْ يُمَيِّزَهُ عن غيرِه!

الربُّ في نظرِ الأَحبارِ لا يُمَيِّزُ الإِسرائيليَّ عن غيرِه إلاّ بالخِتان، فَمَنْ هو هذا الربُّ الذي يَتَحَدَّثون عنه؟ ويَحرصونَ على تصويرِه بصورةِ البشر الضعفاء!

وقد عَلَّقَ الرهبانُ اليسوعيّون على كلامِ الأَحبارِ بقولِهم: «كانَ الخِتانُ

في الأَصْل رُتْبَةَ الاستعدادِ للزواجِ ولحياةِ العشيرة، فأَصبَحَ هنا علامةً تُذَكِّرُ بعهْدِه، كقوس قزح!» [العهد القديم: ٩٤، حاشية: ٣].

وكأَنَّ الرهبانَ اليسوعيّين يُوافقون الأَحبارَ على هذا التعليل!

تغيير اسم امرأة إبراهيم:

وفي نفسِ الجلسةِ التي غَيَّرَ فيها الربُّ اسمَ أَبرامَ إِلى إِبراهيمَ، غَيَّرَ فيها اسمَ امرأَتِه من ساراي إِلى سارة، كما زَعَمَ الأَحبار. قالوا: «وقالَ اللهُ لإِبراهيم: ساراي امرأَتُك، لا تُسَمِّها ساراي، بل سَمِّها سارة، وأَنا أُباركُها، وأَرزقُك منها ابناً، وأُباركها فتصيرُ أُمماً..» [التكوين١٧: ١٥-١٦].

وكما قُلْنا في تَغييرِ اسمِ إِبراهيم، نقولُ في تغيير اسم سارة، فلا نَعرفُ لإِبراهيمَ إِلاّ اسْماً واحداً، واسْمُ أَبْرامَ من مزاعمِ الأَحبار، كذلك لا نَعرفُ لامرأَتِه إِلاّ اسْماً واحداً، هو سارَة، وقد أَخْبَرَنا به رسولُ الله ﷺ، واسْمُها الأَوّل ساراي لا نعرفُه، ونعتقدُ أَنه من مزاعمِ الأَحبار.

وقد حاولَ واضعو قاموسِ الكتاب المقَدَّس بيانَ معنى الاسْمَين، فقالوا: ساراي: اسْمٌ عبراني، معناه: المجاهِدة، وهو الاسمُ الأَصْليُّ لسارةَ زوجةِ إِبراهيم .. وسارَة: اسْمٌ عبراني معناه: الأَميرة. وهي زوجةُ إِبراهيم» [قاموس الكتاب المقدس: ٤٤٣].

ومعنى هذا أَنَّ الرَّبَّ غَيَّرَ اسْمَها إلى سارَةَ، لأَنها صارَتْ أميرةً، حيثُ ستلدُ وَلَداً يكون أَباً لأُممٍ كثيرة -على حسب زعمِ الأحبار-

ونحن نتوقَّفُ في هذا الكلامِ كُلِّه، ونعتبرُ الاسْمَيْن إبراهيم وسارة، أَعجمِيَّيْن، لا ننشغلُ بمعرفةِ معناهما، لعدمِ وجودِ دليلٍ عندنا!

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إبراهيمَ سارعَ بتنفيذِ الأَمْرِ بالختان، حيثُ اخْتَتَنَ هو وابنُه إِسْماعيل، وكان عمرُه تسعاً وتسعين سنة، وعمرُ إسماعيلَ ثلاثَ عشرةَ سنة، ونحن نتوقَّفُ في هذا الكلامِ، فلا نصدِّقُه ولا نكَذِّبُه، ونقول: اللهُ أَعلم!

إبراهيم ولوط والملائكة والبشارة

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ كان قد أَقامَ في حبرون، ونَصَبَ خيمتَه عند بَلّوطِ «مَمْرا»، وهو أَميرٌ أَمُّوريٌّ في حَبْرون، تَحالَفَ مع إِبراهيم.

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنه في أَحَدِ الأَيّامِ كان إِبراهيمُ جالساً أَمامَ الخيمة، فرأى ثلاثةَ رجالٍ متوجِّهين نَحْوَه ..

لِنَدَع الأَحبارَ يَرْوونَ لنا الحادثةَ على طريقتِهم، ثم ننظرَ في روايتِهم على ضوءِ القرآن.

وقد وضعَ الرهبانُ في ترجمةِ هذه الروايةِ عنواناً مثيراً هو «ظهورُ اللهِ في مَمْرا» أَيْ أَنَّ اللهَ تجسَّدَ في صورةٍ بشرية، وظهرَ لإِبراهيمَ في ذلك المكان!!

قالَ الأَحبار: «وتَراءى الرَّبُّ لإِبراهيمَ عند بَلّوطِ مَمْرا، وهو جالسٌ بباب الخيمةِ، في حَرِّ النَّهار. فرفَعَ عينَيْه ونَظَر، فرأى ثلاثةَ رجالٍ واقفين أَمامَه، فلما رآهُم أَسرعَ إِلى لقائِهم عند بابِ الخيمة، وسَجَدَ إِلى الأَرض، وقال: إِنْ كنتَ راضياً عليَّ يا سيِّدي، فلا تَمُرّوا مُروراً، دَعوني أُقَدِّمْ لكم قليلاً من الماء، فَتَغْسِلون أَرجلَكم، وتَستريحونَ تحتَ الشجرة، وأُقَدِّمْ لكم كسرةَ خُبز، فتُسْنِدون بها قلوبَكم، ثم تستَأْنِفون سَفَرَكم!

فقالوا له: افْعَلْ ما قُلْتَ.

فأسرعَ إبراهيمُ إلى سارةَ في الخيمة، وقالَ لها: اعْجِني في الحالِ ثلاثةَ أكيالٍ من الدقيقِ الأبيض، واخْبِزيها أرغفة .. واندفعَ نحو البَقَر، فأخذَ عجْلاً رَخْصاً طَيِّباً مُسَمَّناً، وسَلَّمَه إلى الخادمِ ليُسرعَ في إعدادِه .. ثم أخَذَ لَبَناً وحليباً والعجلَ الذي أَعَدَّه، ووضعَ كلَّ ذلك بينَ أيديهم، ووقفَ بالقربِ منهم تحتَ الشجرة .. فأكَلوا» [التكوين١٨: ١-٨].

وجبة الطعام للرب وملائكته!!

زَعَمَ الأحبارُ في هذه الروايةِ أنَّ الرَّبَّ نزلَ من السماء، في صحبةِ اثْنَيْن من الملائكة، وأنَّ الثلاثةَ تَحَوَّلوا إلى رجال، وساروا في الطريقِ، متوجِّهين إلى إبراهيم، الجالسِ أمامَ خيمتِه، ولما وَصَلوا إليه حَيّاهم ورحَّبَ بهم، وعَرَضَ عليهم الجلوسَ عنده، ليستَريحوا ويأْكُلوا، ثم يُتابعوا سَيْرَهم.

وقَدَّمَ لهم الماء، فغَسَلوا أرجلَهم! الرَّبُّ له رِجْلان يغسِلُهما، كما يَغسلُ أيُّ رَجُلٍ رِجْلَيْه!

ثم قَدَّمَ لهم وجبةَ الغَداء، المكوَّنَةَ من خبزٍ مع عجلٍ مشويّ، وقاموا بتناولِ الطعام، وإبراهيمُ واقفٌ على رؤوسِهم يخدمُهم! ولْنَتَصَوَّر الربَّ يمسكُ الخبزَ واللحمَ المشويَّ بيديه، ويأكلُ ذلك بفَمِه!!

وقد أَقَرَّ الرهبانُ في ترجمتِهم هذه الروايَةَ الإسرائيلية، ووافَقوا على تَحَوُّلِ الربِّ إلى رجلٍ، يسيرُ بين ملَكَيْن رجلَيْن، ويقفُ أَمامَ إبراهيم،

ويغسلُ رجلَيْه، ثم يتغدّى على الخبزِ واللحمِ المشويّ!

قالوا في تعليقِهم على الروايةِ الإسرائيلية: «تَقُصُّ علينا هذه الروايةُ في تحريرِها النهائيِّ، ظُهوراً للربِّ، يُرافقُه رَجُلان هما مَلاكان، ويتكرَّرُ النصُّ في عدةِ آياتٍ بين المفردِ والجمع .. والرجالُ الثلاثةُ رأى فيهم كثيرٌ من آباءِ الكنيسةِ إعلاناً عن سرِّ الثالوث، الذي لم يُكْشَفْ إلا في العهدِ الجديد.

وقد أَخَذَ المؤلِّفُ اليهوديُّ أُسطورةً قديمةً في تدميرِ سَدوم، يتدخَّلُ فيها ثلاثةُ أَشخاصٍ إلهيّين» [العهد القديم: ٩٢، حاشية: ١].

ونرى أَنَّ هذه الروايةَ الإسرائيليةَ باطلة، صاغَها الأَحبارُ الكفار، وتأَثَّروا في تأليفِها بآراءِ وعقائِدِ الأَقوامِ المشركين الذين عاشُوا بينهم، كالبابليّين والمصريّين والفرس.

مخالفة الرواية للحق:

والأدلةُ على بطلانِها ومخالفتِها للحقِّ والصواب هي:

١-تحويلُ الرَّبِّ الإلهِ إلى صورةٍ بشرية، فها هو يتحوَّلُ إلى رَجُل، يمشي بين رَجُلَيْن على رِجْلَيْه، ويقفُ أَمامَ إِبراهيم ويكلِّمه، ويَراهُ إِبراهيمُ مُجَسَّماً محدَّداً بَشَراً سَوِيّاً.

وهذا كفْرٌ بالله، ويستحيلُ عقلاً نزولُ الله إلى الأَرضِ في هذه الصورةِ البشرية.

٢-تصويرُ الربِّ -والمَلَكيْن اللذين معه- جالِساً تحتَ الشجرة، مادّاً رجلَيْه، يَغسلُ رجلَيْه بالماءِ الذي قَدَّمَه له إبراهيم، ليُزيلَ الغُبارَ عنهما، ثم يأخُذُ قِسطاً من الراحة تحتَ ظلِّ الشجرة! أهذا ربُّ العالمين أمْ أَحَدُ البشر الضعفاء؟!

٣-تصويرُ الربِّ جالساً على مائدةِ الطعام، يأكُل الخبزَ واللحمَ المشويَّ، من أَقبحِ صورِ كفرِ هؤلاءِ الأحبارِ الكاذبين، الذين زعموا أنَّ هذا الكفرَ من عندِ الله!!

٤-تَصويرُ المَلَكَيْن الرَّجُلَيْن الجالسَيْن بجانبِ الربّ الرجل، يتناولان معه اللحمَ المشويَّ، كذبٌ وافتراءٌ من الأَحْبار، لأَنَّ الملائكةَ لا يأكلون ويَشربون مثْلنا.

حديث القرآن عن ضيف إبراهيم:

وفرقٌ بين روايةِ الأَحبارِ الكفارِ لهذه الحادثة، وبينَ روايةِ القرآنِ الكريم الحكيمِ لها.

أَخبَرنا اللهُ في القرآنِ أنه أنزلَ ملائكتَه إلى إبراهيمَ عليه السلام، وكانوا مُتَحوِّلين إلى صورةِ رجال، ولم يَعرفْهم إبراهيم، وظنَّ أنهم رجالٌ غرباءُ مسافرون، فسارَعَ إلى إكرامِهم وتقديمِ الطعامِ لهم، حيثُ أَعَدَّ لهم عِجْلاً مشويّاً وقدَّمَه إليهم .. لكنهم لم يأكلوا منه شيئاً -لأَنَّ الملائكةَ لا يأكلون

ولا يشربون- .. وأمامَ خشيتِه منهم طمأنوه، وعَرَّفوه على أنفسهم بأنهم ملائكة، وأخبروه أنَّ اللهَ أرسلَهم لتدميرِ قومِ لوط، وبشَّروه بإسحاقَ، ومن وراءِ إسحاق يعقوب ..

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ [هود: ٦٩-٧٠].

وصفَهم اللهُ بأنهم ﴿ رُسُلُنَآ ﴾، لأنهم ملائكةٌ، أرسَلهم اللهُ لإبراهيمَ ولوطٍ عليهما السلام.

ولم يذكر القرآنَ عَدَدَهم، هل كانوا ثلاثةً أو أكثر؟ ولو كان في ذكْرِ عددِهم فائدة لذكَرَهُ القرآن.

وكانوا متحوِّلين إلى صورةِ رجال، لأَنَّ اللهَ عندما كان يُنزلُهم إلى الأَرضِ كانوا يَنزلون في صورةِ رجال.

ولما سَلَّموا على إبراهيم عليه السلام لم يَعرفْ أنهم ملائكة، ولذلك رَدَّ عليهم السلامَ، وسارعَ بإكرامهم، حيثُ قَدَّمَ لهم عِجْلاً سَميناً مشوياً حَنيذاً.

ولكنهم لم يَمُدّوا أيديهم إلى اللَّحمِ المشوي، فلما رأى إبراهيم عليه السلام أيديَهم لا تَصلُ إليهِ، نَكِرَهم وأَوجسَ منهم خيفة! وظنَّ أَنَّ عدمَ أَكلهم من طعامِه لأَنهم يريدون به شرّاً. عند ذلك أَخبروه أَنهم ملائكةٌ لا يأكُلون الطعام، وأَنهم مرسَلون في مهمةٍ لتدميرِ قومِ لوط!!

الرب الرجل يخبر إبراهيم بتدمير قوم لوط!!

زَعَمَ الأَحبارُ أنه بعدما فَرَغَ الربُّ والملكانِ معه من تَناولِ طَعامِ الغداء، غادَروا خيمةَ إِبراهيم، متوجِّهين إلى قومِ لوط، وبينما تابَعَ المَلَكان سَيْرَهما تَوَقَّفَ الربُّ مع إِبراهيم، لِيخبرَه بتدميرِ القوم، وشَفَعَ إبراهيمُ في قومِ لوط، وجرى حوارٌ مثيرٌ بينَ إبراهيمَ وربِّه!

قالوا: «ثم قامَ الرجالُ من هناك، واتَّجَهوا نحو سَدوم، ومضى إِبراهيمُ معهم لِيُشَيِّعَهم!

فقالَ الربُّ في نفسِه: هل أَكتمُ عن إِبراهيمَ ما أَنوي أَنْ أَفعلَه، وإِبراهيمُ سيكونُ أُمةً كبيرةً قوية، ويَتَبارَكُ به جميعُ أُممِ الأَرض، وقد اخترْتُه ليوصي بَنيه وأَهلَ بيتِه من بعدِه بأَنْ يَسْلُكوا طريقي، ويَعْمَلوا بالعدلِ والإِنصافِ! حتى أَفِيَ له بما وعدْتُه به..» [التكوين١٨: ١٦-١٩].

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الربَّ تَركَ المَلَكَيْن يُتابعانِ مهمَّتَهما، بتدميرِ قرى قومِ

لوط، وتوقَّفَ ليخبرَ إبراهيمَ بما ينوي فعْلَه ضدَّ قومِ لوط! وحَدَّثَ الربُّ الإلهُ نفْسَهُ بأنه من غيرِ المناسِبِ أنْ يتفاجأ إبراهيمُ بتدميرِ قومِ لوط، والأَوْلى أنْ يُخبْرَه بما يَنوي أنْ يفعلَه، لأنه اختارَه من بينِ جميعِ الأُمم!

إنَّ الربَّ في نظرِ الأَحبارِ مثلُ البَشَر، يُفكِّرُ كالبَشَر، ويُحدِّثُ نفسَه مثل البشر، ويُحَلِّلُ ويفسِّرُ كالبشر!!

واتخذَ الربُّ قرارَه بإبلاغِ إبراهيمَ بما يَنوي فعْلَه! قالَ الأَحبار: «وقال الربُّ لإبراهيم: لقد كَثُرَت الشكوى على أَهلِ سدومَ وعمورة، وعَظُمتْ خطيئَتُهم جداً، وسأَنزلُ وأَرى، هل فعلُوا ما يستوجبُ الشكوى، التي بَلَغَتْ إِلَيَّ؟ أُريدُ أَنْ أَعلم!..» [التكوين١٨: ٢٠-٢١].

يُخبرُ الربُّ إبراهيمَ -حسبَ مزاعمِ الأَحبار- أَنَّ الشكاوى ضدَّ أَهالي سَدوم وعمورة قد كَثُرَتْ، ولم يُخْبِرنا الأَحبارُ من هم الذينَ رَفَعوها، هل هم الملائكةُ أَو غيرُهم .. والربُّ لا يَعلمُ مدى صحةِ تلك الشكاوى! ولذلك هو مضطرٌّ إلى أَنْ ينزلَ من السماء، ويتقصّى الحقائقَ على الواقع، وينظرَ في واقعِهم، فإذا كانوا مجرمين ظهرَ صدْقُ الشكاوى وعاقَبَهم!

إنَّ الربَّ لا يعلمُ من أَحوالهم شيئاً، فهو مضطرٌّ للبحثِ والتَّحري والتَّقَصي!!

الرب وإبراهيم أيهما واقف أمام الآخر؟

وقبلَ أنْ يذكرَ الأَحبارَ الحوارَ المزعومَ بينَ إبراهيمَ وربِّه، قالوا: «وانصرفَ الرجلانِ من هناك، ومَضَيَا نحوَ سَدوم، وبَقيَ إبراهيمُ واقفاً أَمامَ الربّ» [التكوين١٨ : ٢٢].

يعترفُ الرهبانُ أَنَّ جملَة «وَبقيَ إِبراهيمُ واقِفاً أَمامَ الربّ» مُعَدَّلَة، وقد وَضَعَها الناسخونَ بدلَ جملةٍ قَبيحة .. قالوا في تعليقِهم على الجملة السابقة: «بقيَ إبراهيمُ واقفاً أَمامَ الربّ» .. هكذا صَحَّحَ الناسخونَ اليهودُ النَّصَّ احتراماً للجلالةِ الإِلهية .. وأَصْلُ الجملةِ في العبرية هكذا: بقيَ الربُّ واقِفاً أَمامَ إِبراهيم. [الكتاب المقدس، إصدار جمعية الكتاب المقدس في لبنان: ١٩٩٣، صفحة ٢٠ حاشية].

إِنَّ هذه الحاشيةَ من الرهبانِ المترجمين ذاتُ دلالةٍ هامَّة، فهي تُخبرُ أَنَّ أَصْلَ الجملةِ في اللُّغةِ العبرية هكذا: وبقيَ الرَّبُّ واقِفاً أَمامَ إِبراهيم.

أَيْ أَنه لما وقفَ الربُّ أَمامَ إِبراهيم، كما يقفُ الرجلُ أَمامَ الرجلِ الآخر، وأَخبرَه بأَنه سيذهبُ إِلى سَدومَ وعَمورة ليَعْلَمَ ويتقصّى الحقائق، بقيَ واقفاً أَمامَ إِبراهيمَ فترةً من الزمن!!

وكأَنَّ المؤلّفين والناسخين اليهودَ الذين نَقَلوا سِفْرَ التكوينِ من نسخةٍ إِلى نسخةٍ أُخرى باللغةِ العبرية، لم تُعجبْهم الجملة، لأَنها توقِفُ الربَّ أَمامَ

إِبراهيم، وهذا في نظرِهم لا يَليقُ بالرَّبِّ، فَغَيَّروها إِلى جملةٍ أُخرى وَجَدوها أَفضلَ، فأَوْقَفوا إِبراهيمَ أَمامَ الربّ، ولم يوقفوا الربَّ أَمامَ إِبراهيم!!

ولا فَرْقَ عندَنا بين الجملَتيْن، فكُلٌّ منهما جملةٌ قبيحة، لأَنَّ كُلاً منهما تجعلُ الربَّ متحَوِّلاً إِلى رجلٍ بَشَر، يقفُ مع إِبراهيمَ البَشَر، ويتعامَلُ معه كما يتعامَلُ أَيُّ رجلٍ مع أَيِّ رجل، وهذا كُفْرٌ صريحٌ بالله، سواءٌ أَوقَفُوا الربَّ أَمامَ إِبراهيم، أَو أَوقفوا إِبراهيمَ أَمامَ الربّ!

ونحن نُنَزِّهُ اللهَ ربَّ العالمين عن هذا النقصِ والتجسيمِ اليهوديّ، ونُثبتُ له ما يستحقُّه من صفاتِ الجمالِ والجلالِ والعَظمةِ..

ويدلُّ اعترافُ الرهبانِ بتغييرِ المؤَلِّفين اليهودِ الجملةَ، على أَنَّ أَسفارَ العهدِ القديمِ تلاعَبَ بها الأَحبارُ، بالتحريفِ والتغييرِ والتبديل، ثم نَسبوا هذا إِلى الله!

إبراهيم يسيءُ الأَدب مع الرب!

بعدما أَخبَرَ الربُّ إِبراهيمَ أَنه سيدَمِّرُ قومَ لوط، زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ حاوَرَ ربَّه وجادَلَه وناقَشَه، واعترضَ على ما سيفعَلُه، ودافعَ عن قومِ لوط، وكلَّمَ الربَّ بكلماتٍ فيها سوءُ أَدَبٍ معه!

قالوا: «اقتربَ إبراهيمُ من الرَّبِّ وقالَ له: أَتُهلِكُ الصِّدِّيقَ مع الشّرّير؟ ربَّما كانَ في المدينةِ خمسونَ صِدّيقاً، أتُهلكُها كلَّها، ولا تَصفَحْ عنها من أَجلِ الخمسينَ صِدِّيقاً فيها؟ حرامٌ عليك أَنْ تفعلَ مثلَ هذا الأَمْرَ! فتُهلكَ الصِّدِّيقَ معَ الشِّرّير، فيتَساويان، حرامٌ عليك! أَديَّانُ كُلِّ الأَرضِ لا يَدينُ بالعَدْل؟» [التكوين١٨ : ٢٣-٢٥].

يُصَوِّرُ الأَحبارُ الكفارُ الحوارَ بينَ إبراهيمَ والربِّ كأنه حوارٌ بين شخصَيْن عاديَّيْن، ورجلَيْن متساويَيْن في المنزلةِ والحكمِ والفعل، يريدُ أَحَدُهما فعلَ شيءٍ، ويقومُ الآخرُ بمنْعِه ونهْيِه عنه، ويُغلظُ له في القول، ويشتدُّ عليه في الإِنكار! فكيفَ إِذا كانَ الآخَرُ الذي يُرادُ منْعُه هو الربُّ ديَّانُ الأَرض؟

يزعمُ الأَحبارُ الكفارُ أَنَّ إبراهيمَ أنكرَ على الربِّ فعلَه الذي سيفعَلُه، واعترضَ عليه بغلظةٍ وشدَّةٍ وارتفاعِ نبرة، وبيَّنَ له خَطَأه وحُرْمَةَ فعلِه، وعدمَ عدلِه فيه!!

قال إبراهيمُ لربه: «أَتُهلِكُ الصِّدِّيقَ مع الشِّرّير؟ .. حرامٌ عليكَ أَنْ تفعلَ مثلَ هذا الأَمْرَ .. حرامٌ عليك! أَديّانُ كُلِّ الأَرضِ لا يَدينُ بالعَدْل؟».

أَبهذا الكلام يُخاطبُ إبراهيمُ ربَّه؟ وهل الرَّبُّ أَخطأَ في فعلِه حتّى يُصَحِّحَهُ له إبراهيمُ؟ وهل اللهُ ظالمٌ لقومِ لوطٍ ليقولَ له إبراهيم: حرامٌ عليك إيقاعُ الظلمِ بهم؟

سبحانَكَ ربّي ، هذا بهتانٌ كبيرٌ، وافتراءٌ عظيم ، نَشهدُ أَنَّ الأَحبارَ الكفارَ كاذبون مُفْتَرون فيه ، ونَشهدُ أَنَّ الله حكيمٌ في فعلِه ، عادلٌ في قضائه ، لا يظلمُ أَحَداً من خلْقِه ، ونشهدُ أَنَّ إِبراهيمَ خليلُ الله عليه الصلاة والسلام ، وأَنه لم يَقُلْ له هذا الكلامَ البذيء ، ولم يُخاطِبْه بهذه الصيغةِ القبيحة !

جدال إبراهيم الملائكة:

وقد أَشارَ القرآنُ إِلى الحديثِ بين إِبراهيمَ عليه السلام وبين الملائكة ، الذين أَمامَه في صورةِ رجال ، ولما علمَ بمهمتِهم في تدميرِ قوم لوط ، ذَكَرَ لهم خوفَه على لوطٍ وأَتْباعِه ، فطمأنوه بأَنَّ اللهَ سيُنجيهم من العذاب .. قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الحجر: ٥٧-٦٠].

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣١-٣٣].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود: ٧٤-٧٦].

لم يكنْ جدالُ إبراهيمَ عليه السلام لله، ولم يكنْ معتَرضاً عليه، إنما كان كلامُه موجَّهاً للملائكةِ الرسلِ الرجالِ الذينَ أمامَه، ولم يكنْ كلامُه معهم اعتراضاً على أَمْرِ الله، إنما كانَ تذكيراً للملائكةِ بلوطٍ عليه السلام وأَتْباعِه، فأَخبروه بأنهم يَعلمونَ لوطاً وأَتْباعَه، وأَنهم سوفَ يُنْجونَهم من العذاب!

إنَّ آياتِ سورتي الحجرِ والعنكبوت التي أَوردْناها، تُفَسِّرُ الإِبهامَ في آياتِ سورةِ هود، ونعلمُ أَنَّ تفسيرَ القرآنِ بالقرآنِ واجب.

وفَرْقٌ بعيدٌ بينَ إِخبارِ القرآنِ عن ما قالَه إبراهيمُ عليه السلام للملائكة، وما رَدُّوا به عليه، وهو حَقٌّ وصدقٌ وصواب، وبينَ ما زعَمَه الأَحبارُ الكفارُ من اعتراضِ إبراهيمَ على الرب، وهما جالسان معاً!!

وقد زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إبراهيمَ واصَلَ جِدالَه مع الرَّبّ، ومفاوضَتَه ليعفوَ عن قومِ لوط، حتى وصَلَ معه إلى أَنه إنْ كانَ في القومِ عشرةٌ من الأَبرارِ

الصالحين فإنَّ اللهَ لا يُعاقبُهم ولا يُدَمِّرُ مدينَتَهم! [التكوين١٨: ٢٧-٣٣].

وهذا من مزاعمِهم التي لا دليلَ عليها!!

تفاصيل مهمة الملكين عند لوط عليه السلام:

خَصَّصَ الأحبارُ الإصحاحَ التاسع عشر لعرضِ تفاصيلَ دقيقةٍ لمهمةِ الملَكَيْن عند لوطٍ عليه السلام، وما جَرى في سدومَ وعمورةَ من أَحداث، انتهتْ بتدميرِ تلك المنطقة.

زَعَمَ الأحبارُ أَنَّ الملَكَيْن -المتحوِّلَيْن إلى رجلَيْن- وَصَلا مدينةَ سَدومَ عندَ الغروب، ووَجَدا لوطاً جالِساً وحْدَه عند بابِ المدينة، فلما رآهما لوطٌ ظَنَّهما رجلَيْن مسافرَيْن، فعرضَ عليهما الذهابَ إلى بيتِه لِيَسْتَريحا ويأْكُلا، ويَناما فيه ليلَتَهما، ووافَقا بعدَ إِلحاحٍ منه. [التكوين١٩: ١-٣].

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنه قَدَّمَ لهما طعامَ العشاء: «فقدمَ لهما وليمةً وخبزاً فطيراً فأَكَلا».

وسبقَ أَنْ قُلْنا إِنَّ هذا خطأ، فالملائكةُ لا يأكُلون مثلَ البَشَر، حتى عندما يتحوَّلونَ إلى بَشَر، ولذلك أَخطأَ الأَحبارُ في زعْمِهم أَنَّ الملائكةَ أَكلوا عند إبراهيمَ وعند لوطٍ عليهما السلام، وقد كانَ القرآنُ دَقيقاً عندما نفى عنهم الأَكْلَ، بقولِه عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠].

ولما أرادَ الرجُلانِ الملَكان النَّومَ، وعَلِمَ بهما قومُ لوطٍ الشاذّون، أرادوهما لفعلِ الفاحشة، قالَ الأَحبار: «وقبلَ أنْ يَناما جاءَ رجالُ سَدومٍ جميعاً، شُبّاناً وشُيوخاً، وأَحاطوا بالبيتِ من كلِّ جهة .. ونادوا لوطاً قائِلين: أَينَ الرَّجُلانِ اللَّذان دَخَلا بيتَك الليلة؟ أَخْرِجْهما إِلينا حتى نُضاجِعَهما!!

فخرجَ إِليهم لوط، وأَغلقَ البابَ وراءَه، وقال: لا تَفْعلوا سوءاً يا إِخْوَتي» [التكوين١٩ : ٦-٧].

وهذه التفصيلاتُ التي أوردَها الأَحبارُ لا داعيَ لها، لأَنه لا دليلَ عليها.

وقد أَشارَ القرآنُ إلى ضيقِ لوطٍ عليه السلام بضيوفِه الرجال، لأَنه لم يَعلَمْ أَنهم من الملائكة، ولأَنه يَعلمُ شُذوذَ وفُجورَ قومِه، ويخشى على ضيوفِه منهم، ولذلك دافعَ عنهم عندما راودَه الشَّاذّون عنهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ٧٧-٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ

ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحجر: ٦٧-٧٠].

كان قد انتشَرَ بينَ قومِ لوطٍ فاحشةُ اللّواط، يأتونَ الرجالَ شهوةً من دونِ النساء، وما سبقَهم بهذه الفاحشةِ أَحَدٌ من الأقوامِ الأُخرى: قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١].

وبما أنهم على هذا المستوى القبيح من الشذوذِ، فقد طمِعوا في الرجالِ الضيوفِ، الذينَ عندَ لوطٍ عليه السلام، واستَبْشَروا بوجودِهم، وجاءوا يُهْرَعون إليه، طالبينَ منه تسليمَهم ليَفْجُروا بهم!

لوط يدافع عن ضيوفه، ويعرض بناته!

لوطٌ عليه السلامُ نبيٌّ كريم، لم يتخلَّ عن ضيوفِه، ولم يُسْلِمْهم للقومِ المجرمين، فماذا قالَ الأَحبارُ عن دفاعِه عنهم؟

قالوا: «فخرجَ إِليهم لوط، وأَغلقَ البابَ وراءَه، وقال: لا تَفْعَلوا يا إِخْوَتي .. لي ابْنَتان ما ضاجَعَتا رَجُلاً، أُخْرِجُهما إِليكما، فافْعَلوا بهما ما

يَحلُوا لكم!! وأَمَّا هذانِ الرجلان، فلا تَفْعَلوا بهما شيئاً، لأَنهما في ضيافَتي!!

فقالوا له: ابتعدْ من هنا! جئتَ أيها الغريب، لتُقيمَ بيننا، وتتحكَّمَ فينا! الآنَ نفعلُ بك أَسوأَ مما نفعلُ بهما!

فمدَّ الرجلانِ أيديَهما، وأَدْخلا لوطاً إلى البيت، وأَغْلَقا الباب، وضَرَبا القومَ الذينَ على البابِ بالعَمى، من صغيرِهم إلى كبيرِهم، فعَجَزوا عن أَنْ يَجِدوا الباب..» [التكوين١٩: ٦-١١].

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ لوطاً عليه السلام دافعَ عن ضيوفِه، وهذا شيءٌ جيد، لكنَّه عرضَ عليهم ابنتَيْه، ليصْنَعوا بهما ما يَحْلو في أَعينِهم! أَيْ أَنَّه استعدَّ أَنْ يَفديَ ضيوفَه بابنتَيْه!

كيفَ يكونُ هذا؟ نبي كريمٌ يَعرضُ على القومِ المجرمين الشاذّين ابنتَيْه البِكْرَيْن العذراوَيْن، يَفْجُرون بهما، مقابلَ أَنْ يتوقَّفوا عن طلبِ ضيوفه، إِنَّ هذا افتراءٌ من الأَحبارِ على لوط عليه السلام.

حديث القرآن عن الحادثة:

وفرق بين مزاعمِ الأَحبارِ في هذه المسألة وبين حقائقِ القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ۝٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩ ﴾ [هود: ٧٨-٧٩].

عندما هَرَعَ الشاذّونَ إلى لوطٍ عليه السلام ليَفْجُروا بضيوفِه، قال لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ فما معنى هذه الجملة؟

بعضُ المسلمين يُسيءُ فهمَ معناها، فيؤكّدُ كلامَ الأحبار، ويذهبُ إلى أنَّ لوطاً عرضَ على قومِه الزنا والفجورَ ببناتِه وترْكَ ضيوفه؟ .. وهذا فهمٌ باطل .. وبعضُهم يذهبُ إلى أنه عَرَضَ عليهم الزواجَ ببناتِه، وقالوا: طلبَ قومُه منه أَنْ يزوِّجَهم بناتِه فرفضَ، ولما رآهم هاجمين على ضيوفِه وافق على ما طلبوهُ منه، واستعدَّ أَنْ يُزَوِّجَهم بناتِه، وهذا لا دليل عليه!

الراجحُ أَنَّ المرادَ ببناتِه هنا بناتُ القرية ونساؤها، وليس بناتِه اللاّتي أَنجبهنّ.

إنه رسولُ اللهِ إلى القوم، وهو إمامُهم وشيخُهم، وهو بهذا الاعتبارِ أبوهُم الروحي، فكأنَّ رجالَهم أولادُه، وكأنَّ نساءَهم بناتُه.

وهو في قوله لهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ يُرشدُهم إلى قضاءِ

الشهوةِ وفقَ الطريقِ الطاهرِ النظيف، المتفقِ مع الفطرةِ، التي فطرَ اللهُ الناسَ عليها، وهو طريقُ الجماعِ والاتصالُ الجنسيُّ بالمرأة على أَساسِ الزواج!

إِنَّ القومَ مصابونَ بالانحرافِ والشذوذ، ويمارسون الشهوةَ بإتيان الرجالِ الذكرانِ من دون النساء، ولذلك هَجَموا على ضيوفِه للفجورِ بهم. ولوطٌ عليه السلام داعيةٌ ناصحٌ مرشد، فهو أَمامَ سُعارِهم الجنسيِّ الشَّاذِّ يَلفتُ أَنظارَهم إِلى النساء، وقضاءِ الشهوةِ عندهن، عن طريقِ الزواج، بأَنْ يَذهبَ كلُّ هائجٍ متزوجٍ منهم إِلى امرأَتِه، فهي أَطهرُ له، وأَنْ يتزوجَ غيرُ المتزوجِ منهم..

واعتبرَ النساءَ في القريةِ بناتٍ له، لأَنه الأَبُ الروحيُّ لهم، فالبنوة هنا بالمعنى الاعتباريّ.

الممارسة الجنسية الأطهر:

والدليلُ على هذا، توجيهُه وتعليلُه إِرشادَهم إِلى بناتِه بقوله: ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ فوَصفَ البناتِ بأَنهنَّ الأَطهر، أَيْ: قضاءُ الشهوةِ عند النساءِ عن طريقِ الزواجِ هو الأَطهر، وهذا معناهُ أَنَّ قضاءَ الشهوةِ عن طريقِ اللواطِ أَو الزنا هو الأَقْذَر .. فلوطٌ عليه السلام يَدعوهم إِلى الأَطهرِ،

والتخلّي عن الأَقذر!!

أَينَ هذا البيانُ القرآنيُّ الصادقُ الصحيحُ من تحريفِ وكذبِ الأَحبار، الذين اتَّهموا لوطاً عليه السلام بتقديمِ ابنتيّه إِلى المجرمين ليزنوا بهما؟

والأَحْبارُ مَفْتونون بذكْرِ التفاصيلِ الدقيقة، التي لا دَليلَ لهم عليها، وإِنما هي من نَتاجِ خيالاتِهم وتصوُّراتِهم، ومن المعلومِ أَنه لا يجوزُ لنا في التأريخِ لأَحداثِ الماضي أَنْ نسرحَ في خيالاتِنا، ونُؤَلِّفَ شيئاً من عندنا، بل يجبُ أَنْ نبقى ملتزمين بالنصوص، مُعتمدين على الرواياتِ الصحيحة، المستَمَدَّةِ من الآياتِ القرآنيةِ والأَحاديثِ النبويةِ المرفوعةِ الصحيحة.

زَعَمَ الأَحبارُ أَنه كانَ للوطٍ ابنتانِ اثنتانِ فقط، ولم يكنْ له أَولادٌ ذكور، وهذا زعمٌ لا دليلَ عليه.

وزَعَموا أَنَّه عندما هَرَعَ قومُه الشّاذّونَ إِليه خرجَ لوطٌ إِليهم وأَغلقَ البابَ خلْفَه على ضيوفه، ووقفَ يُدافعُ عن ضيوفِه ويعرضُ عليهم ابنتَيْه، وأَنَّ القومَ الشّاذّين لم يَسْمَعوا له، وهَجَموا على البابِ ليَكْسِروه ويَخْطِفوا ضيوفَه، وأَنه اضطرَّ المَلَكانِ الرجلانِ أَمامَ ذلك إِلى أَنْ يَجْذِبا لوطاً داخلَ البيتِ ويُغْلِقا الباب .. ثم ضَرَبا القومَ جميعاً فأُصيبوا بالعمى، فلم يَرَوْا شيئاً!!

وهذه التفاصيلُ مزاعمُ إسرائيلية، من نَتاجِ العقليةِ اليهوديةِ المحَرِّفَة، لا نقولُ بها .. وموقفُنا منها هو التوقُّفُ وعدمُ الاعتمادِ لها، ونَكِلُ العلمَ بذلك إلى الله!!

سدوم وعمورة والمؤابيون والعمونيون

يتابعُ الأَحبارُ في الإِصحاح التاسعِ عشر مزاعِمَهم حولَ تدميرِ سَدومَ وعمورةَ، وإِنجاءِ لوطٍ وأَهلِه، ويُوردونَ رواياتٍ مُحَرَّفَةً، قائمةً على الافتراضِ والاختلاق!

وقد وقفْنا في المبحثِ السابقِ عندَ زعْمِ الأَحبارِ ضَرْبَ قومِ لوطٍ بالعمى، عندما أَرادوا اقتحامَ بيتِه ليلاً وخَطْفَ ضيوفه!

كلام الأحبار عن الحادثة:

زَعَمَ الأَحبارُ أنه عندما ضَرَبَ الرجلانِ الملَكان القومَ بالعمى، أَمَروا لوطاً أَنْ يأْخذَ جميعَ أَهلِ بيتِه في الليل، لينجوا من الدَّمار، الذي سيحلُّ بالمدينةِ عند الصباح.

قالوا: «قالَ الرجُلان للوطٍ: مَنْ لكَ هاهنا؟ أَصهارُك وبَناتُكَ وبَنوكَ وأَقرباؤُك، وجميعُ مَنْ لك في المدينة، أَخرجْهم من هذا المكان، فإِنَّنا سنُهلكُ هذا المكان، لأَنَّ الشكوى على أَهلِه بلغَتْ مسامعَ الرّبّ، فَأَرْسَلَنا لنُهْلكَهم!

فخرجَ لوطٌ وقال لصِهْرَيْه الخاطبَيْن لابنتَيْه: قوما اخْرُجا من هذا المكان، لأَنَّ الربَّ سيُهلكُ هذا المكان! .. فكانَ كمنْ يَمْزَحُ في نظرِ صِهْرَيْه..

فلما طلعَ الفجر، أَلحَّ الملَكان على لوطٍ قائلَيْن: قم فخُذ امرأتَك وابنتَيْك الموجودَتَيْن هنا، لئلاّ تهلكوا مع المدينةِ عِقاباً لها .. فلما تباطَأَ لوطٌ أَمسكَ الرُجلانِ بيده، وبيدِ امرأتِه وابنتَيْه، لشفقةِ الربِّ عليه، وأَخْرَجاهُ وَوَضَعاهُ خارجَ المدينة» [التكوين١٩: ١٢-١٦].

روايةُ الأَحبارِ لأَحْداثِ السابقين تَقومُ على الهوى والادِّعاء، وهم في تأْريخِهم لها يَستبعدونَ العاملَ الإِيمانيّ، ويَعتمدون العاملَ العشائريَّ والنَّسَبِيَّ، وقد مَرَّ مَعَنا هذا عندَ نَقْدِنا رواياتِهم عن ركابِ سفينةِ نوحٍ عليه السلام، ونقفُ الآنَ أَمام مثالٍ آخر، وهو كلامُهم عن الناجينَ مع لوطٍ عليه السلام.

إِنَّ الناجينَ معه هم الذينَ يرتبطون به برابطةِ القرابةِ أَو النَّسَب، سواء كانوا مؤمنين أو كافِرين، فالإِيمانُ والكفرُ لا اعتبارَ له عند المؤرِّخين الأَحبار!

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ الملَكَيْن قالا للوطٍ عليه السلام: أَخْرِجْ أَقاربَكَ من المدينة. وأَقاربُه هم: زوجتُه، وأَبناؤُه، وابنتاه، وصِهْراه الخاطِبان لابْنَتَيْه.

ويُفْهَمُ من كلامِ الأَحبارِ أَنَّ صِهْرَيْه كافران، لأَنَّه لما أَخبرَهما أَنَّ الله سيدمِّرُ المدينةَ لم يُصَدِّقاه، وسَخرا منه، ولم يَخْرُجا معه، فهلَكَا مع أَهلِ المدينة!

عرض القرآن للحادثة:

وعَرْضُ القرآنِ للحادثة وفقَ المنطقِ والعاملِ الإيماني، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود: ٨١].

لما اشتدَّ هجومُ القومِ الشَّاذّينَ على لوطٍ عليه السلام لخطْفِ ضيوفِهِ، وازدادَ موقفُه حَرَجاً وصعوبةً، كَشَفَ الرجالُ الذينَ عندَه عن هويتِهم، وأَخبَروه أنهم رسُلٌ من اللهِ، بعثَهم لتدميرِ المدينة، وطمأنوه بأَنَّ القومَ الشّاذّين لن يَصِلوا إليه بالأذى، ولن يَصِلوا إليهم بالسوءِ.

ثم طَلَبوا منه أَنْ يأخذَ أهلَ بيتِه المؤمنين، وأَنْ يَسرِيَ بهم لَيْلاً، وأَنْ يَخْرُجوا من المدينةِ مسرِعين، تحتَ جُنْحِ الظَّلام، وأَنْ لا يتأَخَّرَ أَحدٌ منهم في المدينة، وسيكونُ تدميرُ المدينةِ، بمن فيها في الصباح.

وأَخْبَروه أَنَّ امرأَتَه ستكونُ من الهالِكين لكفْرِها، فلا يأْخُذها معه.

نقض القرآن لمزاعم الأحبار:

وعند مقارنةِ روايةِ الأَحْبارِ المزعومةِ مع تقريرِ القرآنِ الصادق، فسوفَ نقفُ على الفروقِ التاليةِ بينهما:

١-ذَكَرَ الأَحبارُ أَنَّ الملائكةَ الذين خاطَبوه ليلاً كانوا رجلَيْن اثنَيْن، بينما ذَكَرَ القرآنُ أنهم رُسُل: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ ويَعني هذا أَنَّهم كانوا أَكثرَ من اثْنَين، ولا نعرفُ عَدَدَهم، لأَنَّ اللهَ لم يخبرْنا عنه، فتحديدُهم بأَنهم كانوا اثنين زعمٌ إِسرائيليٌ لا دليل عليه!

٢-زَعَمَ الأَحبارُ أنه لم يكنْ للوطٍ أَولادٌ ذكور، وأَنَّ نَسْلَه كانوا ابنتَيْن اثنَتَيْن فقط .. وهذا ادِّعاءٌ لا دليلَ عليه أَيضاً.

٣-زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ ابنتَيْه كانتا مخطوبتَيْن لرجلَيْن كافرَيْن من قومِ لوط، وأَنَّ الله أَذِنَ له بإِخراجِهما معه، ولكنَّهما سخِرا منه ولم يَسْتَجيبا له، وهذا ادِّعاءٌ آخرُ لا دليلَ عليه.

٤-كَذَّبَ القرآنُ الأَحبارَ في كلامِهم عن امرأةِ لوط، حيثُ زَعَموا أَنَّ لوطاً عليه السلام أَخَذَ امرأَتَه مَعَه، بينما كانَ القرآنُ صريحاً في استثنائِها من القوم النّاجين: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾.

وصَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ امرأَتَه كانت كافرةً كامرأةِ نوحٍ عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠].

والمرادُ بالخيانةِ هنا الخيانةُ في الدِّين، وليس الخيانةَ في العِرْض، أَيْ: كان نوحٌ ولوطٌ عليهما السلام نَبِيَّيْنِ كريمَيْن، وكانت امرأتاهما كافرتَيْن، وهذه خيانةٌ منهما، لأنهما خالَفَتا دينَ زوجَيْهما.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٢-٨٣].

وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النمل: ٥٧].

لوط في صوغر:

تابَعَ الأَحبارُ كلامَهم المفصَّلَ عن نَجاةِ لوطٍ وأَهلِه، وإِهلاكِ قومِه، وذَكَروا رواياتٍ مفصَّلَةً ليس عليها دليل.

زَعَموا أَنَّ المَلَكَيْن طَلَبا من لوطٍ أَنْ يَهربَ إِلى الجَبَلِ فلم يتمكَّن، وآثَرَ أَنْ يَذْهَبَ إِلى مدينةٍ صغيرةٍ قريبة، أَطْلَقوا عليها اسم صُوغَر.

قالوا: «لما أَخْرَجاه من المدينةِ قالَ له أَحَدُهما: انجُ بنفسِك، لا تَلتفتْ إِلى ورائِك، ولا تَقِفْ في السهلِ كُلِّه، واهربْ إِلى الجبلِ لئلاّ تهلِك.

فقال له لوط: لا يا سَيِّدي .. لا أَقْدِرُ على أَنْ أَهربَ إِلى الجَبَل، فربَّما

لَحِقَنى السوءُ فَمِتُّ، وتلك المدينةُ قريبةٌ وصغيرة، فَدَعْني أهربْ إليها؟

فقالَ له الملَك: إكراماً لك لَنْ أُدَمِّرَ المدينةَ التي ذكرتَ، أَسْرِعْ بالهربِ إليها، ولَنْ أفعلَ شيئاً حتى تَصِلَ إليها .. ولذلك سُميتْ صوغر».

[التكوين١٩ : ١٧-٢٢].

وهذا الحوارُ بين لوطٍ والملَكِ لا دليلَ عليه، ولذلك لا نقولُ به.

وزعْمُهم أَنه ذَهَبَ إلى المدينةِ الصغيرة صوغر، لا دليلَ عليه أيضاً.

قال واضعو قاموس الكتاب المقَدَّس عن تلك المدينة: «صوغر: اسْمٌ ساميٌّ معناهُ «صِغَر»، وهي إحدى مُدُنِ الدائرة، ويبدو أنها كانت أَصْغَرَها، وكانت الدائرةُ تُرى من جَبَلِ نبّو حتى صُوغَر، وكان اسْمُها الأَوَّلُ بالع .. ولم تُخَرَّبْ هذه المدينةُ عند سقوطِ سَدوم وأَخواتِها، لأَنَّ لوطاً لجأَ إليها .. وكان وراءها جبلٌ ومغارةٌ سكَنَ فيها لوطٌ وابنتاه رَدْحاً من الزمن .. ولعلَّها كانت في أَرضِ مؤاب، على الضفةِ الشرقية للبحرِ الميت..»

[قاموس الكتاب المقدس: ٥٦٢].

وذَكَرَ الأَحبارُ كيفية تَدْميرِ قرى قومِ لوطٍ، فقالوا: «.. ولما أَشْرقت الشمسُ على الأَرض، ودخلَ لوطٌ مدينة صوغَر، أَمْطَرَ الرَّبُّ على سَدومَ وعمورةَ كِبريتاً وناراً من السَّماء، وقَلَبَ تلك المدن، وكُلَّ السَّهْل، وجميعَ سكانِ المدن، ونباتِ الأَرض .. والْتَفتت امرأةُ لوطٍ إلى الوراء فصارتْ

عمودَ ملح» [التكوين١٩ : ٢٣-٢٨].

ولنا على هذه الروايةِ الإسرائيليةِ الملاحظاتُ التالية :

١-ذَكَرَ الأَحبارُ أسماء المدُن التي أقامَ فيها قومُ لوط ، وهي : سَدومُ ، وعَمُورَةُ ، وأَدْمَةُ ، وصَبُوئيمُ ، وصُوغَرُ .. وذَهبوا إلى أنها واقعةٌ في سهلِ الأَردنّ ، الذي كان قبلَ التدميرِ سهْلاً زراعيّاً خصْباً ، وصارَ بعدَ التدميرِ بحرَ الملح -البحر الميت- أَخفضَ منطقةٍ في العالَم.

وذِكْرُ أَسماءِ المدنِ الخمسةِ ادِّعاءٌ وزَعْمٌ ، ليسَ عليه دليل ، ونحنُ نتوقَّفُ في ذلك ، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه ولا نَرويه ، ونقول : اللهُ أعلم !

كيفية تدمير قوم لوط:

٢-حَدَّدَ الأَحْبارُ أَنَّ التدميرَ كانَ بأَنْ أمطرَ الربُّ على المنطقةِ كِبريتاً وناراً من السَّماء ، والكبريتُ قابلٌ للاشتعال ، والنارُ تَزيدُه اشتعالاً ، ولا دليلَ لهم على هذا التَّحديد ، فهو من مزاعمِهم الادِّعائيةِ الباطلة ، التي مَلأَتْ إِصحاحاتِ أَسفارِ العهدِ القديم.

والذي ذَكَرَهُ القرآنُ غيرُ الذي ذَكره الأَحبار ، فقد ذَكَرَ قَلْبَ مُدُنِ قومِ لوطٍ عاليَها سافلَها ، وإمطارَها بحجارةٍ منضودَةٍ ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

الحديثُ في الآيةِ عن البيوتِ التي كان قومُ لوطٍ يُقيمونَ فيها، حيثُ قَلَبَها اللهُ عليهم، ورَفَعَها عن الأَرض، وجعلَ سُقوفَها العاليةَ أسفلَها، وجعل أَساساتِها وأَرضيَّتَها عالِيَها، ثم أَمطرَ عليهم حجارةً من سجِّيلٍ مَنْضود.

والسِّجِّيلُ هو الطينُ اليابسُ المحروقُ بالنَّارِ كالفَخّار، والمنضودُ هو المَنَضَّدُ المرَتَّبُ المهيَّأُ، المعَدُّ لتدميرِ هؤلاءِ الشّاذّين الكافِرين، وكانتْ تلك الحجارةُ مُسَوَّمَةً عند الله، مُعَدَّةً مُهَيَّأَةً جاهزةً لضربِهم، خاصةً بهم، وهذا أَبلغُ في تدميرِهم وإِهلاكِهم!

وقالَ تعالى عن تَدميرِهم أَيضاً: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الحجر: ٧٢-٧٦].

لم يكنْ تدميرُ قومِ لوطٍ إِذَنْ بالكبريتِ والنَّارِ من السماءِ، كما زَعَمَ الأَحبار، وإِنما كانَ بقلْبِ بيوتِهم عالِيَها سافِلَها، وإِمطارَها بالحجارةِ من السِّجّيل المنضود.

وأَبقى اللهُ آثارَهم عبرةً لِمَنْ بَعْدَهم، وهي على طريقِ قريشٍ التجاريِّ إِلى الشام، ولكنهم لا يَعتبرون: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ [الصافات: ١٣٢-١٣٨].

امرأة لوط عمود ملح:

٣-قدَّمَ الأَحبارُ أُسطورةً خرافيةً مكذوبةً، عندما زَعموا أَنَّ امرأةَ لوطٍ عليه السلام، كانت تَسيرُ مع لوطٍ وأَهْلِه النّاجين، فالتفَتَتْ إِلى الوراءِ لترى تدميرَ القوم، فَحَوَّلَها الرَّبُّ إِلى عمودِ ملح!

وهذا كَذِبٌ منهم أَوَّلاً، فامرأَةُ لوطٍ لم تخرجُ معه، بل هي كافرة، بقيتْ مع القومِ المعَذَّبين الهالكين، فَعُذِّبَتْ وهَلَكَتْ معهم في بيوتِهم، لأَنَّ القرآنَ صَرَّحَ بذلك، وأَوردْنا الآياتِ الصريحةَ من قبل.

وهذه خرافةٌ إِسرائيلية، إِذ كيفَ تتحوَّلُ المرأةُ من إِنسانٍ حَيٍّ ذي لحمٍ ودمٍ وعظمٍ إِلى عمودٍ من ملح؟

والعَجيبُ أَنَّ بعضَ المسلمين يُصَدِّقون هذه الخرافةَ المخالفةَ للقرآن، ويَعتبرونَ المرأةَ بَقيَتْ تِمثالاً مِلْحِيّاً على طريقِ البحرِ الميِّت، ويَزعمونَ أَنهم اكتشفوا هذا التمثالَ في هذه الأَيام!

أصل المؤابيين والعمونيين!

خَتَمَ الأَحبارُ الكفارُ قصةَ لوطٍ عليه السلام بخاتمةٍ قبيحةٍ سيئَة، اتَّهموه فيها بشربِ الخمرِ حتى سَكِر، ثم الزِّنا بابنَتَيْه وهو لا يَشعُر!

قالوا قاتَلَهم اللهُ: «وخافَ لوطٌ أَنْ يَسكنَ في صوغَر، فصَعِدَ إلى الجبل، وأَقامَ بالمغارةِ هو وابْنَتاه..

فقالت الكبرى للصُّغرى: شاخَ أَبونا، وما في الأَرضِ رجلٌ يتزوَّجُنا، على عادةِ أَهلِ الأَرضِ كلِّهم .. تَعالَي نَسْقِ أَبانا خَمْراً، ونضاجعْه، ونُقِمْ من أَبينا نَسْلاً!

فَسَقَتا أَباهما خَمْراً تلك الليلة، وجاءَت الكُبرى، وضاجعَتْ أَباها، وهو لا يَعلمُ بنوْمِها ولا قيامِها!! .. وفي الغَدِ قالتِ الكُبرى للصُّغرى: لقد ضاجعْتُ أَمسِ أَبي، فلْنَسقِه خَمراً الليلةَ أَيضاً، وتعالي أَنتِ فضاجِعيه، لِنُقيمَ من أَبينا نَسلاً! فَسَقَتا أَباهما خَمراً تلك الليلةَ أَيضاً، وقامت الصُّغرى وضاجَعَتْه، وهو لا يَعلمُ بِنَوْمِها وقِيامِها!!

فَحَملت ابْنَتا لوطٍ من أَبيهما، وولَدت الكُبْرى ابناً وسَمَّتْه مُؤاب، وهو أَبو المؤابيّين إلى اليوم، والصُّغرى أَيضاً ولدتْ ابناً وسَمَّتْه بنُ عَمِّي، وهو أَبو بني عَمّون إلى اليوم!!» [التكوين١٩: ٣٠-٣٨].

نَشهدُ أَنَّ الأَحبارَ كُفّارٌ كاذبون، ونشهدُ أَنَّ اللهَ لم يُنزلْ هذا الكلامَ على أَنبيائِهم، ونَشهدُ أَنَّ لوطاً عليه السلام نبيٌّ كريم، مُبَرَّأٌ من هذا الفُجور!

ولقد وَقَعَ الأَحبارُ في تَناقُض عجيب، فقد ذَكَروا أَنَّ لوطاً خرجَ من التدميرِ هو وأَقاربُه، وذَكَروا له أَصهاراً وأَبناءً، وأَنهم نَجَوْا معه من التَّدْمير، فأَينَ ذهبَ هؤلاء الأَبناءُ والأَصهار؟ وذَكَروا أَنه أَقامَ في مدينةِ صوغَر، التي نَجّاها اللهُ من التدمير إِكراماً له، فلماذا يَخافُ أَنْ يُقيمَ في المدينةِ بين الناسِ وقد انتهى التَّدمير؟ ولماذا يُفَضِّلُ أَنْ يُقيمَ في مغارةٍ على سفح جبلٍ مع ابنتَيْه؟؟

والعجيبُ أَنَّ الرهبانَ حاوَلوا تبريرَ هذا الكذب اليهوديّ، ولم يُحاولوا أَنْ يَردّوه وينقضوه، قالوا: «يَروي هذا الملحقُ تقليداً لبَني مؤاب وبني عَمُّون، يُمَكِّنُهم من الافتخارِ بمثلِ هذا الأَصْل! إِنَّ ابنَتَيْ لوطٍ لا تَظْهَران هنا بمظهر الفُجور، لأَنَّ غايَتَهما الوحيدةَ هي بقاءُ النسل .. وتفترضُ آية (٣١) السابقَةُ أَنْ يكونَ لوطٌ وابنتاه النّاجين الوحيدين من الكارثة! [العهد القديم: ٩٦، حاشية رقم: ٦].

هل زنا لوط بابنتيه؟

يُصَوِّرُ الأَحبارُ ابْنَتَيْ لوطٍ بصورةِ الفَتاتَيْن الشَّبِقَتَيْن الشَّهوانيتَيْن، فهما تُريدانِ ممارسةَ الجنسِ وقَضاءَ الشهوة، ولا يوجَدُ رجلٌ يَدْخُلُ عليهما

يُحققُ لهما ذلك، ولا يوجَدُ إلاّ أَبوهُما العجوز، فلْتتآمرا عليه لِتُمارِسا معه الجنس!!

مع أَنهما ابْنَتان مُؤْمنتان، طاهِرَتان صالِحتان، ولذلك أَنجاهُما اللهُ مع أَبيهما النبيِّ عليه السلام، ولو لم تَكونا مؤمنَتَيْن طاهرتَيْن لما أَنجاهما الله .. فكيفَ تَتَّفقان على ارتكابِ الفاحشةِ مع أَبيهما النبيِّ وتتآمران عليه؟

يَزْعُمُ الأَحبارُ الكذَّابون أَنَّ البنتَيْن اتَّفَقَتا على أَنْ تَسْقِيا أَباهما خَمراً، حتى يَسْكَر، بحيثُ لا يَشعُر بما يَفعل، فتضاجِعَه الكُبرى وهو سكرانُ في الليلةِ الأُولى، وتضاجعَه الصُّغرى وهو سكرانُ في الليلةِ الثانية!!

ويَزعمُ الكَذّابون أَنَّ لوطاً شَرِبَ خمراً حتى سَكِرَ وفَقَدَ عَقْلَه، ولم يَدْرِ أَنه يُجامعُ ابنَتَه! ولم تُخبره ابْنَتاه أَنَّهما حملَتا منه، ولم يُلاحِظْ آثارَ وأَعراضَ الحملِ عليهما، بل لعلَّه فرِحَ وسُرَّ بحملِهما منه، وأَشرفَ على توليدِهما في المغارة!!

أَهذا نبيٌّ طاهِرٌ عَفيفٌ أَم سِكّيرٌ زانٍ بالمحارمِ؟ وهل ابْنَتاهُ طاهرتان عفيفتان أَمْ شَهوانِيّتان شَبِقَتان؟؟

سبحانكَ ربّي، هذا بهتانُ كبير، وإِنَّ الأَحبار كافرون كاذبون في هذا الكذبِ والافتراء، وإِننا نُنَزِّهُ لوطاً عليه السلام عن شربِ الخمرِ والسكرِ وضياعِ العقلِ والزنا بابنَتَيْه، فهو نبيٌّ كريمٌ عفيفٌ طاهرٌ عليه السلام .. كما

أَنا نُنَزِّهُ ابنَتَيْه المؤمنَتَيْن من هذا الفجور، وقاتلَ اللهُ الأَحبارَ الكفار، وعليهم لعائنُ الله المتابعةُ حتى قيام الساعة.

المؤابيون والعمونيون أولاد زنا:

والعجيبُ في هذا الافتراءِ اليهوديِّ أَنَّ البنتَيْن حَمَلَتا سِفاحاً من أَبيهما، وأَنَّ كلَّ واحدةٍ أَنجبتْ وَلَداً.

أَسْمت الأُولى ابنَها مُؤاب، ولعلَّ أَباها هو الذي سَمَّاهُ بهذا الاسم، ومعنى مُؤاب عند الأَحبارِ المفْتَرين: مَنْ أَبوه؟

وجعلَهُ الأَحبارُ المفْتَرون أَباً للمؤابِيّين، وهم الذين أَقاموا جنوبَ نَهْرِ أَرْنون، أَي: نهرُ الموجِب، وهي المنطقةُ المعروفةُ الآن بمنطقةِ الكرك.

ووقعتْ بين المؤابيين والإِسرائيليين حروبٌ طاحنةٌ طويلةٌ في الماضي، لما كان للإِسرائيلّيين كيانٌ على أَرضِ فلسطين! [انظر قاموس الكتاب المقدس: ٩٢٧-٩٢٩].

وأَسْمت الثانية ابْنَها بْنُ عَمّي، لأَنَّه ابنُها من أَبيها..

وجعلَه الأَحبارُ المفْتَرون أَباً للعَمّونِيِّين، وهم الذين كانَتْ عاصمتُهم ربَّةُ عَمُّون، وأَقاموا في المنطقةِ الواقعةِ بين نهرِ أَرنون في الجنوب، ونهرِ يَبّوق في الشمال -نهر الموجبِ في الجنوبِ ونهر الزرقاء في الشمال- وكانَ بين العَمّونيّين والإِسرائيليّين حروبٌ طاحنةٌ في الماضي. [انظر قاموس الكتاب المقدس: ٦٤].

إنَّ الأَحبارَ الكفارَ ليسوا أُمَناءَ على التاريخ، وهم يُزَيِّفونَه ويُحَرِّفونه لصالِحهم، ويُوَظِّفونَ أَحداثَه لمصلحتِهم.

لقد كانوا في عداءٍ وحربٍ مع المؤابيين والعَمُّونيين، فكيفَ يَحُطّون من قيمتِهم ومنزلتِهم، الحَلُّ أَنْ يجعلوهم أَبناءَ زنا، وزنا مَنْ؟ إِنه زِنا المحارِم، نبيٌّ يَزْني بابنتَيْه، فَتَلِدُ الأُولى جَدَّ المؤابيّين، وتَلِدُ الثانيةُ جَدَّ العَمّونيّين!!
قاتلَ الله الأَحبارَ الكفارَ الكاذبين المفْتَرين!!

إبراهيم وسارة وأبو مالك

خَصَّص الأَحْبارُ الإصحاحَ العشرينَ من سِفْرِ التكوينِ، للحديثِ عن رحلةِ إبراهيمَ إلى جَنوبِ أَرضِ كنعان، حيثُ جَرارُ وبئْرُ السبع، في أَرضِ النَّقَبِ المعروفة.

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ ملكَ جَرار هو أَبو مالك، وأَن إبراهيمَ قَدَّمَ له امرأَتَه سارةَ على أَنها أُخْتُه!

قالوا: «.. انتقلَ إبراهيمُ من حَبْرونَ إلى أَرضِ النَّقَب، وأَقامَ بين قادِشَ وشُور، ونَزَلَ في جَرار.

وقالَ إبراهيمُ في سارةَ امرأَتِه: هي أُخْتي! فأَرسلَ أَبو مالك ملكُ جَرارَ فأَخَذَ سارة .. فأَتى اللهُ أَبا مالك في حُلْمِ اللَّيل، وقالَ له: ستَموتُ بسببِ المرأةِ التي أَخَذْتَها، فهي متزوِّجَةٌ بزوج! .. والآنَ رُدَّ امرأَةَ الرجل، فإنه نبيٌّ، وهو يَدْعو لك فتَحْيا، وإنْ لم تَرُدَّها فاعلم أَنكَ تموتُ مَوْتاً، أَنتَ وجميعُ شَعْبِك!

فَدَعا أَبو مالك إبراهيمَ، وقالَ له: ماذا فعلْتَ بنا؟ وبماذا أَذنبتُ إليك حتّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وعلى مملكتي هذه الخطيئةَ العظيمة؟ ما فعلْتَهُ بي لا يَفْعَلُه أَحَد.

أَجابَه إبراهيم: إني ظننتُ أَنه لا وجودَ لخوفِ اللهِ في هذا المكان، وظننتُ أَنهم سيقْتُلونَني بسببِ امرأتي، وفي الحقيقة هي أُختي ابنةُ أَبي،

لكنَّها ليستْ ابنةَ أُميّ! فصارت امرأةً لي!! فلما شَرَّدَني اللهُ من بيتِ أَبي قلتُ لها: تُحْسِنينَ إِليَّ إنْ قلتِ عنّي حيثُما ذهبتِ: هو أُخي..

فأَخَذَ أَبو مالك غَنَماً وبَقَراً وعَبيداً وجواري، وأَعطى هذا كلَّه لإبراهيم، وأَعادَ إليه سارةَ امرأَتَه، وقال له: هذه أَرضي بينَ يديك، فَأَقِمْ حيثُ طابَ لك!

وقال أَبو مالك لسارة: أَعطَيْتُ أَخاكِ أَلْفاً من الفضة، وهو ردٌّ اعتبارٍ لكِ، أَمامَ عيونِ كلِّ مَنْ معكِ وسواهم بأَنّني لم أَتزوَّجك!.. [التكوين٢٠: ١-١٨].

يأبى الأَحبارُ إلاّ الافتراءَ والكذب، وقد سَجَّلوا في هذا الإِصحاحِ العشرين فريةً جديدةً من مفترياتِهم ضدَّ إِبراهيمَ عليه السلام.

اتهامات الأَحبار لإِبراهيم:

لقد اتَّهموا إِبراهيمَ عليه السلام بالاتِّهاماتِ التالية:

١-اتَّهموهُ بالزواجِ من أُخْتِه من أَبيه، فقد صَرَّحَ لأَبي مالك الكنعانيِّ أَنَّ سارَةَ امرأَتَه أُخْتُه من أَبيه، وليستْ أُخْتَه الشقيقَة من أَبيه وأُمِّه!

وهم كاذبون في هذا الزعمِ، فتحريمُ الزواجِ من الأُختِ فطرةٌ إنسانيةٌ، فطرَ اللهُ الناسَ عليها، وجميعُ الرسلِ السابقين على حرمةِ الزواجِ من الأُخْتِ، سواء كانتْ أُخْتاً شقيقة، أَو أُختاً لأُمّ، أَو أُختاً لأَب، فكيفَ

يزعمُ الأَحبارُ الكاذبون أَنَّ امرأةَ إِبراهيمَ هي أُخْتُه لأَبيه؟

٢-اتَّهموهُ بالمتاجرةِ بامرأتِه أُختِه، فلما خرجَ من أُورِ الكلْدانيّين إلى أَرضِ كنعان قالَ لامرأتِه: تُحسنينَ إِليَّ إِنْ قلتِ حيثُما ذهَبْنا: هو أَخي! هي تقول: هو أَخي، وهو يقول: هي أُخْتي .. ليكسبَ من ذلك المتاعَ والمالَ! ولا يَفْعَلُ ذلك إِنسانٌ عاديٌّ، فَضْلاً عن أَنْ يكونَ رسولاً كريماً.

٣-اتَّهموهُ بأَنَّه خافَ من أَبي مالك مَلِكِ جَرار الكنعانيِّ أَنْ يَقتلَه، ولذلك أَعطاه امرأَته، وهو يعلمُ ماذا يريدُ أَنْ يَفعلَ بها، وهذا فعلٌ لا يَصْدُرُ عن إِنسانٍ عاديّ، فكيفَ يصدرُ عن رجلٍ غيورٍ كإبراهيم عليه السلام.

٤-اتَّهموهُ بأنه كانَ جامعَ مالٍ، حَريصاً على الدُّنْيا ومتاعِها، ولذلك أَخَذَ من أَبي مالك أَلْفاً من الفضة، كما أَخَذَ منه غنماً وبَقراً وعبيداً وجواري، من بابِ ردِّ الاعتبارِ لامرأتِه سارة!

وقد زَعَمَ الأَحبارُ لإِبراهيمَ موقفاً مشابهاً من قبل، حيثُ اتَّهموه بإعطاءِ امرأتِه سارةَ لفرعونَ مصْرَ، زاعِماً له أَنها أُخْتُه، ولما أَنجاها اللهُ منه طردَهما من مصْر، وقد ناقَشْنا هذا الزعمَ من قبل.

إِبراهيم وأبو مالك وبئر السبع:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ أَبا مالك العربيَّ الكنعانيَّ مَلِكَ جَرار أَكرمَ إِبراهيمَ عليه

السلام، وأَذِنَ له أَنْ يُقيمَ في مملكتِه، وقال له: «هذهِ بلادي بينَ يَدَيْك، فأَقِمْ حيثُما طابَ لك» [التكوين٢٠: ١٥].

وزَعَموا أَنَّ أَبا مالكٍ لاحَظَ أَنَّ الرَّبَّ مع إِبراهيم، ولذلك طلبَ منه أَنْ يَحلفَ له أَنْ لا يَغدرَ به، قالوا: «وفي تلك الأَيامِ جاءَ أَبيمالك مع فيكول قائدِ جيشِه، وقالَ لإِبراهيم: أَرى أَنَّ اللهَ مَعَك في كلِّ ما تعملُه، فاحلِفْ لي بالله أَنك لا تغدرُ بي، ولا بذُرّيتي ونَسلي، بل تبادِلُني مَعروفاً بمعروف، أَنا والأَرضُ التي تَغَرَّبْتَ فيها! فقالَ إِبراهيم: أَحْلِفُ!!» [التكوين٢١: ٢٢-٢٤].

يَزعمُ الأَحبارُ أَنَّ أَبا مالك خَشِيَ أَنْ يغدرَ به إِبراهيمُ في المستقبل، وهو يتوقَّعُ أَنْ يكونَ المستقبلُ له، ولذلك طلبَ منه أَنْ يَحلفَ له باللهِ أَنْ لا يَغدرَ به وبنسْلِه وذريتِه، فحلفَ له إِبراهيمُ بذلك.

ونحن نتوقَّفُ في هذه الحادثة، لأَنَّ مصادِرَنا الإِسلاميةَ سكَتَتْ عنها، فلا نُصَدِّقُها ولا نكَذِّبُها، ونَكِلُ العلمَ بها إِلى الله!

لماذا سميت بئر السبع:

وزَعَمَ الأَحبارُ أَنَّ إِبراهيمَ حَفَرَ بئراً في منطقةِ جَرار في النَّقَب، فجاءَ خَدَمُ أَبي مالك فغَصَبوه البئْر، فشَكاهم إِلى المِلك، فجاءَهُ المِلكُ معتَذِراً

وأَعادَها إليه، فدفَعَ إبراهيمُ ثمنَها إليه غنَماً وبقَراً، وتعاهَدا معاً على أنْ لا يَغدرَ أحَدُهما بالآخر. [التكوين٢١: ٢٥-٢٧].

وقالوا: «ووضعَ إبراهيمُ سبعَ نِعاجٍ على حِدَة، فقال أَبيمالك لإبراهيم: ما هذه السبعُ النِّعاجُ التي وضعْتَها على حِدَة؟ قالَ إبراهيم: سبعُ نعاجٍ تأْخُذُ من يدي، شهادةً لي بأني حفرتُ هذه البئر!

ولذلك سُمِّيَ ذلك المكان بئرَ سَبْع لأنه فيه تَمَّ الاتفاق». [التكوين٢١: ٢٨-٣١].

يُعَلِّلُ الأَحبارُ سببَ تسمية تلك المنطقة بئر السبع، فالبئرُ أَوَّلُ مَنْ حَفَرَها إبراهيمُ عليه السلام، وقد اشتراها من الملكِ الكنعانيِّ بسبْعِ نِعاج، فصارَتْ مِلْكاً له، ولذلك سُميتْ بِئْرَ السبع.

ونحنُ نتوقَّفُ في هذه الروايةِ أيضاً، فلا نُصَدِّقُها ولا نُكَذِّبُها، لأَنَّ مصادِرَنا الإسلامية سَكَتَتْ عنها.

إبراهيم والفلسطينيون:

وقد أَقْحمَ الأَحبارُ اسْمَ «الفلسطينيين»، فقالوا: «وقامَ أَبيمالك وفيكولُ قائدُ جيشه، ورَجَعا إلى أَرضِ الفلسطينيّين .. وتَغَرَّبَ إبراهيمُ في أَرضِ الفلسطينيين أَياماً كثيرة..» [التكوين٢١: ٣٢-٣٤].

وهذا إقحامٌ منهم لا معنى له، ولا يُصَدِّقُه التاريخ، فالذين كانوا

يسكنونَ تلك الأَرضَ زمنَ إِبراهيم عليه السلام هم الكنعانيّون، ولذلك كانت تُسَمّى أَرضَ كنعان، وكانَتْ من جبلِ حَرْمون -جبل الشيخ- في الشمال، إِلى العريشِ في الجنوب.

وبعدَ قرونٍ من وفاةِ إِبراهيمَ عليه السلام، غزا المنطقةَ قبائلُ الفِلِسْتِيّين القادمةُ من جزيرةِ كريت في البحرِ المتوسط، وأَقاموا في ساحلِ غزةَ على البحر، ولما خرجَ بنو إِسرائيلَ من مصْرَ بقيادةِ موسى عليه السلام، كانت منطقةُ غزةَ تُسمى أَرضَ الفلسطينيّين.

ولذلك علّقَ الرهبانُ في ترجمةِ سِفْرِ التكوينِ على كَلامِ الأَحبارِ بقولهم: «ذِكْرُ الفلسطينيّين في الآيتين ٣٢ و٣٤ في غيرِ أَوانِه» [العهد القديم: ٩٨].

وكأَنهم بهذا التعليقِ يَعترفونَ بأَنَّ هذا الكلامَ ليس كلامَ اللهِ، وإِنما هو من تأْليفِ الأَحْبار، ولذلك استَبَقوا التاريخ، وتَكَلَّموا عن أَرضِ الفلسطينيّين قبل أَنْ يُقيموا فيها!!

دفن سارة وإبراهيم في حبرون:

زَعَمَ الأَحبارُ أَنه بعدما أَقامَ إِبراهيمُ عليه السلام مع أَبي مالك في أَرضِ جِرار في النَّقَب، عادَ إِلى حبرونَ التي أَقامَ فيها من قَبل.

وبعدما أَقامَ في حبرونَ فترةً من الزمن، ماتَت امرأَتُه سارة، وزَعَمَ

الأَحبارُ أَنَّ عُمَرَها يومَ موتِها كان مائةً وسبعاً وعشرينَ سَنَة، وأَنه كان في حَبْرونَ قبيلةُ الحِثِّيين، فطلبَ منهم إبراهيمُ قَبْراً لسارة، قالَ الأَحبار: «وعاشَتْ سارةُ مائةً وسبعاً وعشرينَ سنة، وماتَتْ في قريةِ أَرْبعَ، وهي حَبْرونُ»، في أَرضِ كنعان.

ودخلَ إبراهيمُ يندُبُ سارةَ ويَبكي عليها .. فلما قامَ من أَمامِ جُثمانِها قال لِبَني حِثٍّ: أَنا غَريبٌ ونَزيلٌ بينَكم، دَعوني أَملِكْ قَبْراً عندكم لأَدفِنَ فيه ميِّتي.

فقالوا له: اللهُ جعلكَ رفيعَ المقام فيما بينَنا، فادْفِنْ مَيِّتَك في أَفضلِ قُبورِنا.

فقال لهم: اطْلُبوا من عَفْرونَ بنِ صُوحَرَ أَنْ يُعطيني مغارةَ المكْفيلة، التي له في طريقِ حَقْلِه، بثمنِها الكامل، لتكونَ قبراً أَملِكُه، أَدفنُ فيه مَيِّتي.

فقال له عَفْرونُ الحِثِّيّ: لا يا سيدي: الحقْلُ وَهَبْتُه لك، والمغارةُ التي فيه أَيضاً وَهَبْتُها لك، هبةً لك مني بمشهدٍ من بني قومي، فادْفِنْ فيها ميِّتَك!

ورفضَ إبراهيمُ إلاَ أَنْ يَشْتَريَه منه بالثمن، فدفعَ ثَمَنَه أَربعَمائةِ مثقالٍ من الفضَّة.

فأَصبحَ حقلُ عَفْرون، والمغارةُ التي فيه، وكلُّ ما فيه من الشجر، مِلْكاً لإِبراهيمَ عليه السلام .. ودَفَنَ إبراهيمُ سارةَ فيه ..» [التكوين٢٣: ١-٢].

وهكذا مَلَكَ إبراهيمُ عليه السلام أَوَّلَ قطعةِ أَرضٍ في أَرضِ كنعان، بعدَ أَن اشتراها من الحِثِّيِّين ودَفَعَ ثمَنَها من مالِه الخاصّ!

وهذا التفصيلُ الإسرائيليُّ لموتِ سارةَ وشراءِ الحقلِ والمغارة، من مزاعمِ الأَحبار، التي ليسَ عليها دليلٌ يَقينيٌّ يُعْتَمَدُ عليه، ولهذا نتوقَّفُ فيه، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه .. والله تعالى أعلم!

ولم يَنْسَ الأَحبارُ أَنْ يَذْكروا موتَ إبراهيم عليه السلام، كعادتهم في الافتراضِ والادِّعاء، الذي ليسَ عليه دَليل.

قالوا: «وكان عددُ السِّنينَ التي عاشَها إبراهيمُ مائةً وخمساً وسبعين سنة .. وفاضَتْ روحُ إبراهيمَ، وماتَ بشيبةٍ صالحة، شيخاً شَبِعَ من الحياة، وانضمَّ إلى آبائِه، فَدَفَنَهُ ابْناهُ إسحاقُ وإسماعيلُ في مغارةِ المكفيلة، تجاه قَمْرا، في حَقلِ عَفْرون الحِثِّي، وكان دفْنُه بجوارِ امرأتِه سارة» [التكوين٢٥: ٧-١١].

وهذا كلامٌ نتوقَّفُ فيه أَيضاً، فلا نقولُ به ولا نَرويه، ولا نُصَدِّقُه ولا نُكذبُه، ونسكتُ عنه، لأَنَّ مصادِرَنا الإسلاميةَ سَكَتَتْ عنه .. والله تعالى أَعلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

كتب صدرت للمؤلف

١. سيد قطب الشهيد الحي.
٢. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
٣. أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.
٤. مدخل إلى ظلال القرآن.
٥. المنهج الحركي في ظلال القرآن.
٦. في ظلال القرآن في الميزان.
٧. مفاتيح للتعامل مع القرآن.
٨. في ظلال الإيمان.
٩. الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
١٠. تصويبات في فهم بعض الآيات.
١١. مع قصص السابقين في القرآن.
١٢. البيان في إعجاز القرآن.
١٣. ثوابت للمسلم المعاصر.
١٤. إسرائيليات معاصرة.
١٥. سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.
١٦. لطائف قرآنية.
١٧. هذا القرآن.
١٨. حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.
١٩. الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.
٢٠. التفسير والتأويل في القرآن.
٢١. الأتباع والمتبوعون في القرآن.
٢٢. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.

٢٣. الخطة البراقة لذي النفس التواقة.
٢٤. تفسير الطبري: تقريب وتهذيب: ١-٧.
٢٥. الرسول المبلغ ﷺ.
٢٦. القصص القرآني: ١-٤.
٢٧. تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.
٢٨. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.
٢٩. القبسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية.
٣٠. سيد قطب: الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد.
٣١. صور من جهاد الصحابة.
٣٢. إعجاز القرآن الرباني ودلائل مصدره الرباني.
٣٣. مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.
٣٤. سعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح.
٣٥. الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.
٣٦. سيرة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية.
٣٧. بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني
٣٨. عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه
٣٩. وعود القرآن بالتمكين للإسلام
٤٠. حديث القرآن عن التوراة.
٤١. جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.
٤٢. الأعلام الأعجمية في القرآن.
٤٣. سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم: من آدم إلى إبراهيم.
٤٤. سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم: أولاد إبراهيم عليه السلام.